أجاثا كريستي

Agatha Christie

«مقنعة للغاية». - الملحق الأدبي لجريدة التايمز

سر جريمة تشيمنيز

أجاثا كريستي

سر جريمة تشيمنيز

"مقنعة للغاية".

– الملحق الأدبي لجريدة «التايمز»

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

Agatha Christie™

The Secret of Chimneys

المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)
ص.ب ٣١٩٦٠ تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
الرياض ١١٤٧١ فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

المعارض الرياض (المملكة العربية السعودية)
شارع العليا تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
شارع الأحساء تليفون ٤٧٧٣١٤٠ ١ ٩٦٦+
العجلة مول تليفون ٢٠٥٧٠١٠ ١ ٩٦٦+
طريق الملك عبدالله (حي الحمرا) تليفون ٢٧٨٨٤١١ ١ ٩٦٦+
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦) تليفون ٢٧٥٤٧١٠ ١ ٩٦٦+

القصيم (المملكة العربية السعودية)
شارع عثمان بن عفان تليفون ٣٨١٠٠٢٦ ٦ ٩٦٦+

الخبر (المملكة العربية السعودية)
شارع الكورنيش تليفون ٨٩٤٣٣١١ ٣ ٩٦٦+
مجمع الراشد تليفون ٨٩٨٢٤٩١ ٣ ٩٦٦+

الدمام (المملكة العربية السعودية)
الشارع الأول تليفون ٨٠٩٠٤٤١ ٣ ٩٦٦+

الأحساء (المملكة العربية السعودية)
الهفوف طريق الظهران تليفون ٥٣١١٥٠١ ٣ ٩٦٦+
الجبيل – الجبيل الصناعية تليفون ٣٤٠١٥٥٥ ٣ ٩٦٦+

جدة (المملكة العربية السعودية)
شارع صاري تليفون ٦٨٢٧٦٦٦ ٢ ٩٦٦+
شارع فلسطين تليفون ٦٧٣٢٧٢٧ ٢ ٩٦٦+
شارع التحلية تليفون ٦٧١١١٦٧ ٢ ٩٦٦+
شارع الأمير سلطان تليفون ٤٢٠٢٠٥٠ ٢ ٩٦٦+
شارع عبدالله السليمان (جامعة بلازا) تليفون ٦٨٧٢٧٤٣ ٢ ٩٦٦+

مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)
أبراج الحجار تليفون ٥٦٠٦١١٦ ٢ ٩٦٦+

المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)
جوار مسجد القبلتين تليفون ٨٤٦٦٧٦١ ٤ ٩٦٦+

الدوحة (دولة قطر)
طريق سلوى – تقاطع رمادا تليفون ٤٤٤٠٢١٢ ٩٧٤+

أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)
مركز المهباء تليفون ٦٧٣٢٩٩٩ ٢ ٩٧١+

الكويت (دولة الكويت)
حولي – شارع تونس تليفون ٢٦١٠١١١ ٩٦٥+
الشويخ – شارع الجهراء (الدبيسي) تليفون ٤٩٢٨٢٢٤ ٩٦٥+

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

The Secret of the Chimneys © 1925 Agatha Christie Limited (a Chorion company). All rights reserved.

Agatha Christie's signature is a registered trademark of Agatha Christie Limited (a Chorion company). All rights reserved.

ARABIC language edition published by JARIR BOOKSTORE.
Copyright © 2008 All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronical or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system without permission from JARIR BOOKSTORE

سر جريمة تشيمنيز

تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم " ملكة الغموض " ، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية . وهى تعد أكثر كاتبة نشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات . ولم يفقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير . وقد قامت بتأليف ثمانين كتابا . ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة . كما قامت بتأليف سبع عشرة مسرحية . وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت .

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى " السر الغامض فى ستايلز " قرب نهاية الحرب العالمية الأولى . والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة . وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو . ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز ـ وقد نشرت رواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام ١٩٧٥ .

وفى عام ١٩٢٦ ، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام . قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها

العظيمة " من الذى قتل السيد روجر أكرويد ؟ " . تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر " Collins " والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتب والناشر دامت لخمسين عاما ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية . كما كانت رواية " من الذى قتل السيد روجر أكرويد ؟ " هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيا ـ تحت عنوان " Alibi " ـ واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند " فى " لندن " لمدة طويلة وقد تم افتتاح مسرحية ـ " مصيدة الفئران " ـ أشهر مسرحياتها على الإطلاق فى عام ١٩٥٢ وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ

وقد منحت اجاثا كريستى لقب " فارسة صاحبة مقام رفيع " فى عام ١٩٧١ . وتوفيت فى عام ١٩٧٦ . ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات " Sleeping Murder " وظهرت لاحقا فى نفس عام وفاتها بعد ذلك نشرت السيرة الذاتية لها ، ثم مجموعة القصص القصيرة " Miss Marple's Final Cases " و " Problem at Pollensa Bay " و " While the Light Lasts " وفى عام ١٩٩٨ تم تحويل أول مسرحية لها وهى " Black Coffee " إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو " تشارلز أوزبورن " .

إلى ابن أخى

فى ذكرى ذلك النقش بقلعة كومبتون

ويوم قضيناه فى حديقة الحيوان

الفصل ١

أنطونى كيد يقبل المهمة

www.liilas.com/vb3
uploaded and scanned by:
THE GHOST 92

" السيد جو ! "

" هذا ما لم يكن هو العجوز جيمى ماكجراث "

حدقت جماعة " جولة القلعة المختارة " ــ ممثلة فى سبع إناث ذوات طلعة كئيبة . وثلاثة رجال تتبدى عروقهم من تحت الجلود ـ باهتمام شديد . كان من الواضح أن السيد كيد قد التقى صديقا قديما . جميعهم معجب أيما إعجاب بالسيد كيد ، بقوامه الطويل النحيف ، ووجهه الذى لونته الشمس ، وطبعه المرح الذى يمكنه من حل ما قد ينشب من خلاف . ويميل بهم إلى مزاج طيب يشملهم جميعا . هذا صديقه إذا ــ والمؤكد أنه ذو طلعة جذابة . كان فى نفس طول السيد كيد تقريبا ، وإن كان أكثر امتلاء منه ، وأقل منه وسامة . إنه من نوعية الرجال الذين تقرأ عنهم فى الكتب ، ممن يحرصون على إقامة صالون اجتماعى وهو أمر شيق على أية حال . فالمرء يسافر إلى البلاد الأخرى ليرى أشياء لم

يعرف عنها سوى من خلال الكتب . إن جولتهم فى بولاوايو قد وصلت بهم الآن إلى حد الملل . فالشمس ساخنة لا تطاق . والفندق غير مريح . ولم يبد لهم أن هناك مكانا يستحق الزيارة حتى تحين لحظة انتقالهم إلى ماتوبوس . كان من حسن حظهم أن يقترح عليهم السيد كيد شراء البطاقات البريدية المصورة فقد كان هناك مجموعة ممتازة منها .

تنحى أنطونى كيد بصديقه جانبا يتحدثان

بادره ماكجراث متسائلا : " ما الذى تفعله مع هذه المجموعه المختارة من الفتيات ؟ هل قررت أن يكون لك طاقم حريمك الخاص ؟ "

تبسم أنطونى قائلا : " ليس مع هذه الصحبة الصغيرة ألم تمعن النظر فيهن بعد ؟ "

" لقد فعلت فظننت أنك قد عميت " .

" بصرى حاد كما كان على الدوام بل هذه هى جماعة " جولة القلعة المختارة " . وأنا قائدهم " .

" وما الذى دفعك إلى القيام بهذا الدور ؟ "

" احتياجى للمال . واطمئن . فهى وظيفة لا تتناسب مع مزاجى " .

فابتسم جيمى .

" لقد كنت لا تميل لأية وظيفة منتظمة . أليس كذلك ؟ " .

تجاهل أنطونى لمحة التشفى الساخر فى كلامه .

وعلق قائلا فى امل : " على كل ، سرعان ما ستطل فرصة جديدة برأسها على ... هذا ما آمله ... وهو ما يحدث عادة "

فضحك جيمى ضحكة خافتة .

ثم قال : " أعلم أنه ما إن تظهر بوادر أية مشكلة . حتى يكون " أنطونى كيد " طرفا فيها عاجلا أم آجلا . حاستك السادسة تقودك دوما إليها - كما أنك كالقط . بسبع أرواح متى يمكننا أن نتسامر فى مكان غير هذا ؟ "

تنهد أنطونى

" علىّ أن آخذ تلك الدجاجات الثرثارة لرؤية مقبرة رودس " .

وافقه جيمى الرأى وقال : " هذا جيد سوف يعدن من هناك منهكات بسبب وعورة ذلك الطريق . ويمكثن فى الفراش متأوهات من أوجاعهن بعد تلك الرحلة . عندها سنتمكن أنا وانت من الجلوس معا لنتناول الشراب ونتبادل الأخبار "

" معك حق . إلى أن نلتقى إذن يا جيمى " .

عاود أنطونى انضمامه إلى جماعته . فبادرته الآنسة تايلور - أصغر فرد فى الجماعة . وأكثرهن تقلبا فى المزاج - من فورها :

" أوه سيد كيد ... أكان هذا واحدا من أصدقائك القدامى ؟ " .

" بالفعل كان كذلك يا آنسة تايلور . إنه واحد من أصدقاء فترة الشباب البريئة " .

فتضاحكت الآنسة تايلور وهى تقول :

" آراه رجلا جذاب المظهر " .

" سأخبره بأنك وصفته بذلك " .

" أوه سيد كيد ... يا لك من شقى ! ويالها من فكرة ! ما كان الاسم الذى ناداك به ؟ " .

" السيد جو ؟ " .

" بلى . هل اسمك جو ؟ " .

" ظننت أنك تعلمين أن اسمى هو أنطونى يا آنسة تايلور " . صاحت الآنسة تايلور فى دلال : " ولكن ذاك الاسم يليق بك أكثر ! "

كان أنطونى حتى الآن يجيد القيام بمهامه تجاه الرحلة . كان من ضمن مهامه إلى جانب القيام بالترتيبات الضرورية للرحلة ، تهدئة أعصاب السادة العجائز الساخطين . حال تعرضت كرامتهم لما يزعجها . وتوفير فرص وفيرة للسيدات لشراء البطاقات البريدية المصورة . والتغزل فى محاسن من تقل عن سن الأربعين من بينهن . وقد كانت تلك المهمة الأخيرة أهون المهام بالنسبة له ، بسبب تلهف تلك السيدات على تفسير أية ملاحظة بريئة يبديها بالصورة التى تحلو لهن .

عاودت الآنسة تايلور الهجوم من جديد .

" لماذا يناديك بـ " جو " إذن ؟ " .

" لمجرد أن هذا ليس اسمي " .

" ولماذا قال السيد جو ؟ " .

" للسبب نفسه " .

اعترضت الآنسة تايلور فى سخط : " أوه . سيد كيد . إننى على يقين من أنك بغير حاجة إلى أن تقول هذا . لقد أخبرنى والدى ليلة أمس بما تمتلكه من صفات مهذبة " .

" هذا لطف من والدك بالتأكيد يا آنسة تايلور " .

" وكلنا متفقون على أنك رجل لبق مهذب " .

" أخجلتم تواضعنا " .

" كلا ، إن هذا هو ما أعنيه حقاً " .

" القلوب الطيبة أجمل من أن تشبه تويج الزهرة " . قالها أنطونى فى غموض . ومن دون تفكير فيما قصده بهذه الملحوظة . وهو يتمنى لو يحل موعد الغداء .

" لطالما اعتبرتها قصيدة جميلة . هل تحفظ الكثير من الشعر ، سيد كيد ؟ " .

" بوسعى أن أقول " وقف الصبى فوق قارب يحترق " ... وقف الصبى فوق قارب يحترق . من كل مكان . إلا أنه هرب" . هذا كل ما أعرفه ، لكننى أستطيع أن أنشدها مع قليل من التعبير الحركى إن أردت هذا . " وقف الصبى فوق قارب يحترق " - ووش - ووش - ووش - (هذه هى النيران ، كما ترين) " من كل مكان ، إلا أنه هرب " - وهنا أركض هنا وهناك ككلب مذعور " .

تعالت ضحكات الآنسة تايلور .

" أوه . انظروا إلى السيد كيد ! ألا يبدو مضحكا ؟ "

قال أنطونى بسرعة . " لقد حان وقت شاى الصباح تعالوا معى من هنا . فهناك مقهى ممتاز فى الشارع القادم "

فقالت السيدة كالديكوت بصوتها العميق : " من المفترض أن تكلفة هذا مشمولة فى الرحلة "

" إنه شاى الصباح . سيدة كالديكوت . أى أنها خدمة إضافية " . هكذا رد عليها أنطونى بلهجة مهنية صرفة

" عيب عليكم"

فقال أنطونى جذلا : " هكذا الحياة مليئة بالتجارب . أليس كذلك ؟ " .

التمعت عينا السيدة كالديكوت . وعلقت بلهجة من ينقب فى منجم قائلة

" إننى لشكاكة . وقد كنت أتحسب لهذا . لذا صببت بعض الشاى فى قارورة أثناء الإفطار هذا الصباح ' وبوسعى أن أعاود تسخينه فوق مصباح كحولى . هيا بنا يا أبى " .

. هكذا عاد السيد والسيدة كالديكوت فى زهو إلى الفندق . والسيدة سعيدة بنجاحها فى تدبر الأمر وتداركه

تمتم أنطونى " يا إلهى . كم يحتاج العالم إلى كثير من أمثال هؤلاء الهزليين "

قاد أنطونى بقية الجمع نحو المقهى . وسارت الآنسة تايلور إلى جواره . وأسئلتها لا تزال تتواصل .

" أمضى وقت طويل منذ آخر مرة التقيت هذا الصديق ؟ " .

" ما يفوق سبع سنوات "

" هل تعرفت عليه فى أفريقيا ؟ " .

" بلى . ولكن ليس فى هذا البلد . كانت أول مرة التقى فيها جيمى ماكجراث حينما كان مقيدا بالحبال فى انتظار أن يلقى به فى قدر الطهى . تعلمين أن بعض القبائل فى مجاهل أفريقيا من آكلة لحوم البشر . لقد وصلنا إليه فى اللحظة المناسبة "

" وما الذى حدث ؟ " .

" مواجهة صغيرة لطيفة للغاية . قمنا خلالها بإلقاء بعض الشحاذين داخل القدر . بينما سارع الباقون بالفرار " .

" أوه . يالها من حياة حافلة بالمغامرات تلك التى عشتها . سيد كيد " .

" بل كانت شديدة الهدوء . صدقينى "

ولكن كان من الواضح أن الآنسة لم تصدقه .

كانت الساعة العاشرة مساء حينما دلف أنطونى كيد إلى حجرة صغيرة قبع فيها جيمى ماكجراث يعاقر زجاجات شراب من أصناف متنوعة .

بادره قائلا : " أعد لى شرابا قويا ، فكم أحتاج إليه " .

" أنا واثق من ذلك يا فتى . فلم أكن لأقبل بوظيفتك هذه مهما كان المقابل " .

" أرشدنى إلى وظيفة غيرها ، وسأبادر بقبولها فى لمح البصر "

صب ماكجراث شرابه ، وجرعه سريعا بيد خبيرة وسرعان ما مزج كأسا أخرى ، ثم قال فى بطء :

" هل أنت جاد فى عرضك هذا يا بنى ؟ " .

" أى عرض ؟ " .

" أن تترك هذه الوظيفة لو تسنى لك الحصول على أخرى ؟ "

" لماذا ؟ أنت بالطبع لا تعنى أنك قد تحصلت على وظيفة شحاذ ؟ فلو كانت هناك وظيفة . فلماذا لا تقتنصها أنت ؟ " .

" لقد فعلت ـ إلا أنها لم تعجبنى . ولهذا أحاول أن أعرضها عليك " .

هنا نما الشك داخل نفس أنطونى .

" ما الذى يعيبها ؟ هل طلبوا منك أن تعمل معلما فى إحدى المدارس الدينية ؟ " .

" وهل تعتقد أن هناك من سيختارنى للتدريس فى إحدى هذه المدارس ؟ " .

" لو أنه لا يعرف حقيقتك بالطبع "

" بل هى وظيفة ممتازة ـ لا يعيبها أى شيء " .

" لا تقل لى إن الصدفة السعيدة قد جعلت مكانها فى أمريكا الجنوبية فلطالما كنت أصبو إلى أمريكا الجنوبية يبدو أن هناك ثورة صغيرة منظمة سوف تندلع قريبا فى واحدة من تلك الجمهوريات الصغيرة "

ابتسم ماكجراث قائلا :

" لديك حاسة تتصيد الثورات ـ وأى نوع من أنواع الاضطرابات"

" أشعر بان مواهبى قد تلقى تقديرا هناك . وإنى لأقول لك يا جيمى بأننى يمكن أن أكون ذا جدوى كبيرة فى أية ثورة ـ لأى جانب من الجانبين . وهو أمر أفضل من أى عمل يومى شريف " .

" أعتقد أننى قد سمعت منك هذا الكلام العاطفى . يا بنى . ولكن تلك الوظيفة ليست فى أمريكا الجنوبية ـ بل فى إنجلترا "

" إنجلترا ؟ إنها اذا عودة للبطل إلى وطنه الأم بعد سنوات الطوال . لا أعتقد أنهم قد يطالبون المرء بما عليه من ضرائب عن سبع سنوات . أليس كذلك يا جيمى ؟ " .

" لا أظن . حسنا . هل تود سماع المزيد عن هذا الموضوع ؟ " .

" لقد وافقت عليها بالفعل . إلا أن ما يقلقنى هو أنك لم تقبل بها " .

" سأصدقك القول يا أنطونى . إننى أبحث عن الذهب فى هذه المنطقة ـ وإن كان فى البقاع الداخلية النائية " .

أطلق أنطونى صفيرا منغوماً وهو يحدق فيه .

" لطالما كنت تبحث عن الذهب يا جيمى منذ أن عرفتك . تلك نقطة ضعفك ـ هوايتك الصغيرة الخاصة . لقد كنت تطارد هذا الحلم بإصرار لم أعهده فى أحد " .

" وسترى أننى سأقبض عليه فى نهاية المطاف " .

" حسناً ، فلكل منا هوايته . أنا أهوى المعارك . وأنت تهوى الذهب " .

" سأحكى لك الحكاية كاملة . من المفترض أنك تعرف بما يحدث فى هيرتزوسلوفاكيا ، أليس كذلك ؟ " .

فنظر إليه أنطونى بنظرة حادة ، وقال له بنبرة يغلفها الفضول : " هيرتزوسلوفاكيا ؟ " .

" نعم . هل تعرف أى شيء عنها ؟ " .

خيم الصمت للحظات قبل أن يرد أنطونى ، ثم قال ببطء :

" أعرف عنها ما يعرفه غيرى . إنها إحدى دول البلقان . أليس كذلك ؟ أما عن أنهارها الرئيسية . فلا أعرفها . وكذلك جبالها . وإن كنت أعلم أنها عديدة .

وعاصمتها ، إيكاريست . وأغلب سكانها من قطاع الطرق وهوايتهم اغتيال الملوك وإشعال الثورات . وآخر ملوكها هو نيكولاس الرابع ، والذى اغتيل بدوره منذ سبع سنوات تقريبا . ومنذ هذا الوقت أصبحت جمهورية . أى أنها فى المجمل بقعة تعج بالاحتمالات " .

" ليس بصورة مباشرة " .

فحدق فيه أنطونى طويلا بنظرة أسى أكثر منها نظرة غضب .

قال : " عليك أن تفعل شيئا حيال هذا يا جيمس . عليك بأخذ دورة دراسية فى المراسلة ، أو شيء من هذا القبيل . فلو أنك قد رويت مثل هذه القصة فى تلك الأيام الخوالى لكان مصيرك الإعدام والسحل . أو عقوبة لا تقل عن هذا فظاعة " .

تابع جيمى هذا الكلام غير متأثر جدا بهذه الانتقادات القاسية .

" هل سمعت من قبل عن الكونت ستيلبتيتش ؟ " .

قال أنطونى : " ها قد بدأت عقدة لسانك تنحل . كثيرون لا يعرفون شيئا عن هيرتزوسلوفاكيا . إلا أن عينيهم تلمع عندما يسمعون اسم الكونت ستيلبتيتش . إنه رجل البلقان العجوز " . أعظم رجل دولة فى العصر الحديث . أشرس وغد لم يتم إعدامه بعد . كلها وجهات نظر تعتمد على نوعية الصحيفة التى تستقى منها معلوماتك . إلا أن الأكيد هو أن ذكرى الكونت ستيلبتيتش

ستبقى حتى بعد أن يوارينا الثرى يا جيمس فقد كان له دور فى كل حركة وحركة مضادة شهدها الشرق الأدنى طيلة العشرين عاما الماضية . لقد كان ديكتاتورا ووطنيا ورجل دولة ـ ولا أحد يعرف شيئا محددا عن حقيقته . فيما عدا أنه الشخص الأكثر إثارة للفضول حسنا . ما صلتنا نحن به ؟ "

" لقد كان رئيس وزراء هيرتزوسلوفاكيا ـ ولذلك ذكرت اسم ذلك البلد أولا " .

" ليس لديك أى احساس بالتناسب يا جيمى . فلا أهمية مطلقا لهيرتزوسلوفاكيا مقارنة بستيلبتيتش . فلم تكن بالنسبة له سوى مكان ميلاد ومركز للعلاقات العامة . لكننى كنت أعتقد انه قد مات " .

" لقد مات بالفعل فى باريس منذ شهرين . وما حدثك عنه حدث منذ بضع سنوات " .

فقال انطونى " السؤال لا يزال قائما إذا . ما الذى تريد أن تخبرنى به ؟ "

تقبل جيمى التعنيف وواصل كلامه

" سأحكى لك ما جرى . لقد كنت فى باريس ـ منذ أربع سنوات تحديدا كنت أتريض ليلا فى إحدى البقاع النائية . حينما رأيت لصف دزينة من فرنسيين فتاة ينهالون ضربا على سيد عجوز . وقد كنت أمقت مثل هذه النزالات التى من طرف واحد . لذا بادرت بمحاولة

تخليص الرجل منهم . وأعتقد أن أحدا لم يضربهم بمثل هذه القسوة من قبل فقد ذابوا كالثلج ! "

قال أنطونى فى هدوء " هنيئا لك جيمس . كم كنت أود أن أشهد ذلك " .

أجابه جيمى فى تواضع " أود . لم يكن ذلك بشىء ذى بال . إلا أن العجوز قد حفظ ذلك الجميل . كانت تبدو عليه بوادر السكر . لا أشك فى هذا . إلا أنه كان متيقظا بما يكفى لأن يتحصل على اسمى وعنوانى . وأتانى ليشكرنى فى اليوم التالى . وقد قام بهذا بأسلوب راق كذلك . وحينها تبين لى أن من أنقذته كان الكونت ستيلبتيتش . لقد كان يمتلك منزلا على ضفاف نهر بو " .

أطرق أنطونى برأسه .

" أجل . فلقد ذهب الكونت ليعيش فى باريس بعد غيال الملك نيكولاس وطالبوه فيما بعد بأن يعود ليتولى الرئاسة . إلا أنه رفض فقد كان مخلصا للمبادىء الملكية . مع أن الأقاويل ترددت بأنه قد لعب أدوارا فى كل المؤامرات التى حيكت بمنطقة البلقان لقد كان غامضا جدا ذلك الكونت الراحل "

فبادره جيمى بقوله : " ألم يكن نيكولاس الرابع هذا هو الملك ذو الذوق المضحك فى اختياره لزوجاته ؟ "

" بلى . وياله من ذوق . أذكر تلك الشحاذة المسكينة كانت واحدة من بنات الشوارع تقبع بإحدى قاعات

الموسيقى فى باريس ـ لم تكن لتناسبه ولو كان زواجا من باب التحالف . إلا أن نيكولاس كان لديه ولع مخيف بها . وكانت هى تحلم بأن تكون تلك الملكة . إن الأمر يبدو ضربا من ضروب الخيال . إلا أنه قد حدث أسماها الكونتيسة بوبوفسكى . أو شيئا من هذا القبيل . وادعى أن دم عائلة رومانوف يجرى فى عروقها وتزوجها نيكولاس فى كاتدرائية إيكاريست على أيدى اثنين من رجال الدين لم يكن ليرضيان عما يقومان به . وتوجت باسم الملكة فاراجا . نجح نيكولاس فى خداع وزرائه وأعتقد أنه كان يظن أن هذا كل ما يهم فى الأمر ـ ولكنه نسى أن يضع عامة شعبه فى الاعتبار . فهم أرستقراطيون ورجعيون للغاية فى هيرتزوسلوفاكيا . ويحبون أن يكون ملوكهم وملكاتهم من ذوى الأصول النبيله . من هنا ظهر التذمر وعدم الرضا . وموجات القمع الذى لا يعرف الرحمة . إلى أن حدثت الثورة الأخيرة . والتى قتل فيها الملك والملكة . وأعلنوا قيام الجمهورية ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك البلاد جمهورية ـ إلا أن الأمور لم تهدأ هناك . حسب علمى . فقد اغتالوا رئيسا او رئيسين . كنوع من التسلية فيما يبدو . ليس هذا من شأننا على أية حال . كنت قد توقفت عند شكر الكونت لك لإنقاذ حياته " .

" أجل . حسنا كان هذا نهاية الموضوع . فقد عدت إلى أفريقيا . ونسيت ذلك الأمر حتى أسبوعين مضيا حينما

وصلنى طرد غريب الشكل . علمت أنه كان يتتبعنى فى كر عنوان لفترة لا يعلمها إلا الله حتى وصلنى . وكنت قد علمت من الصحف أن الكونت قد توفى فى باريس . كان ذلك الطرد يحوى مذكراته ـ او ذكرياته . أو أيا كان ما يطلقونها به . وكانت به مفكرة تبين لى أنه فى حال قمت بتسليم تلك النصوص إلى دار نشر بعينها فى لندن فى يوم الثالث عشر من أكتوبر أو قبل ذلك التاريخ . فإن على تلك الدار أن تسلمنى فى المقابل ألفا من الجنيهات " .

" ألف جنيه ؟ هل قلت ألف جنيه يا جيمى ؟ " .

" بالفعل يا بنى . وأدعو الله ألا يكون فى الأمر خدعة . فعليك ألا تثق فى الأمراء أو الساسة . هكذا دائما . إلا أن هذا هو الموقف . وبالنظر إلى ذلك الإصرار على أن يصلنى الطرد أينما كنت . فليس لدىّ وقت أضيعه . لكننى كنت قد جهزت للتو لهذه الرحلة إلى الداخل . وتهيأت للسفر . فقد لا تتاح لى مثل هذه الفرصة من جديد "

" لقد يأست منك يا جيمى . أتترك ألف جنيه مضمونة لتركض وراء سراب الذهب ذاك ؟ " .

وماذا لو كان فى الأمر خدعة ؟ لقد فات الأوان على ذلك . فقد حجزت للرحلة ولكل شيء . وأنا فى طريقى الآن إلى كيب تاون ـ هذا حتى ظهرت لى أنت ! " .

تبخر أنطونى واقفا واشعل سيجارة .

" لقد فهمت ما تريد يا جيمس . تذهب أنت فى رحلة البحث عن الذهب كما خططت . على أن تترك لى مهمة تحصيل الألف جنيه بدلا منك . حسنا . ما هو نصيبى فى هذا الاتفاق ؟ " .

" ما رأيك فى الربع ؟ " .

" مائتان وخمسون جنيها معفاة من ضريبة الدخل كما يقولون ؟ " .

" بالضبط "

" اتفقنا . لكنك ستحاب بالحنق لو علمت الآن أننى كنت مستعدا للذهاب فى مقابل مائة جنيه لا غير ! دعنى أخبرك يا جيمس ماكجراث . بأنك لن تغتنى أبدا " .

" لا بأس . هل اتفقنا إذن ؟ " .

" اتفقنا لقد قبلت المهمة وقبلت أيضا إرباك خطة جماعة " جولة القلعة المختارة " .

وارتشفا نخبهما فى وقار وجدية .

الفصل ٢

سيدة فى خطر

قال أنطونى وهو ينتهى من كأسه ويعيدها فوق الطاولة " ما اسم الباخرة التى كنت ستسافر على متنها ؟ "

" قلعة جرانارث "

" أفترض أن التذكرة محجوزة باسمك أنت . لذا من المفضل أن أسافر تحت اسم جيمس ماكجراث . ألم نكبر فى مرحلة تزوير جوازات السفر تلك ؟ " .

" لا سبيل لهذا . فأنت وأنا لا نشبه بعضنا البعض . ولكن قد يكون هناك تقارب فى التوصيفات العامة . طول ست أقدام . والشعر بنى . والعينان زرقاوان . وأنف عادى . وكذلك الفك و ـــــ "

" لا أرى أن هناك كثيرا من تلك الأوصاف مميزة " . أود أن أخبرك بأن تلك المجموعة قد جعلتنى من بين عدد كبير من المتقدمين بسبب مظهرى الجيد وأخلاقى اللطيفة " .

ابتسم جيمى

" لقد لاحظت أخلاقك هذا الصباح "

" يا لك من شيطان "

نهض أنطونى وقطع أرجاء الغرفة جيئة وذهابا ، وقطب حاجبيه مفكرا للحظات قبل أن يتكلم .

" جيمى . لقد توفى ستيلبتيتش فى باريس . فما جدوى إرسال نص مذكراته من باريس إلى لندن عبر أفريقيا ؟ " .

هز جيمى رأسه فى حيرة .

" هذا ما لا أعلمه "

" ما الذى منعهم من إرسالها فى طرد صغير عبر البريد ؟ " .

" أتفق معك فى أن المنطق يقتضى هذا " .

" بالطبع . . أعلم أن الاتيكيت يمنع الملوك والملكات والمسئولين الحكوميين من القيام بأى فعل بشكل بسيط ومباشر . ومن هنا كانت الحاجة إلى رسل الملوك وخلاف هذا . فكنت فى العصور الوسطى تعطى أحدهم خاتما وكلمة سر . " هذا خاتم الملك ! اعبر فى سلام ! " وفى العادة كان الثانى هو من يسرق ذلك الخاتم . وكنت أتعجب دوماً من السبب الذى يمنع أى ذكى من تزوير مثل تلك الخواتم . فيصنع منها عشرات النسخ ، ويبيع الواحد منها بثمن باهظ . يبدو أن أحدا لم يكن يتحلى بروح المبادرة فى تلك العصور الوسطى "

[illegible] جيمى

يبدو أنك غير مهتم بملاحظاتى على العصور [illegible] لنعد إذن إلى حكاية هذا الكونت . إن هذه [illegible] من فرنسا إلى إنجلترا عبر أفريقيا غير مريحة . [illegible] بالنسبة لشخصية دبلوماسية . فلو كان يود أن يضمن [illegible] الحصول على الألف جنيه ، لكان قد تركها لك فى [illegible] ولحمد الرب على أننا لم نفخر بهذه الوصية [illegible] فعلا لقبولها ! لابد أن ذلك الكونت كان من [illegible]

[illegible] هذا حقا ؟ "

[illegible] أنطونى وهو لا يزال يقطع أرجاء الغرفة [illegible] ثم سأل بغتة :

" هل قمت بالاطلاع على ذلك الشىء ؟ " .

" [illegible] على ماذا ؟ "

" [illegible] المذكرات " .

" لا بحق الرب لماذا تعتقد أننى أريد الاطلاع على [illegible] من هذا القبيل ؟ "

[illegible] أنطونى

" [illegible] فحسب تعلم أن العديد من المتاعب [illegible] فى الأصل بسبب مثل هذه المذكرات ، وما تحويه [illegible] حمقاء تنكشف للآخرين يبدو أن الأشخاص [illegible] على الابتعاد عن الأضواء والانغلاق على [illegible] حياتهم يتلذذون بإحداث المتاعب لغيرهم

حال مماتهم . فهم يجدون فى هذا نوعاً من الغبطة الخبيثة . جيمى ، ترى ما هى طبائع ذلك الكونت ؟ لقد التقيته وتحدثت إليه ، وأنت خبير جيد بطبائع البشر . فهل يمكن أن تتخيله وغدا عجوزا حقودا محبا للانتقام ؟ " .

هز جيمى رأسه .

" من الصعب أن أجزم بهذا . تعلم أنه كان فى تلك الليلة ثملاً ، وفى اليوم التالى كان مجرد سيد عجوز لبق يتحلى بأجمل الأخلاق والطبائع وهو يغمرنى بثنائه حتى أخجلنى " .

" ألم يبح لك بشيء ذى أهمية حين كان ثملاً ؟ " .

فحاول جيمى أن يتذكر شيئا مما قال وقد انعقد حاجباه .

" قال بأنه يعلم بمكان شيء اسمه . . . كوه . . آى . . . نوور " . نطق تلك الكلمات تطوعاً وهو غير متيقن منها .

قال أنطونى : " حسنا إذن . نحن جميعا نعرف ما يعنيه هذا . إنهم يحتفظون به فى البرج ، أليس كذلك ؟ خلف لوح سميك من الزجاج وقضبان حديدية ، وسط حراسة العديد من الجنود ذوى الملابس الأنيقة ، والذين يحرصون على عدم ملامسة أى شيء " .

وافقه جيمى قائلا : " هذا صحيح " .

" هل ذكر الكونت شيئا آخر ؟ هل ذكر مثلاً أنه كان يعرف مكان مجموعة والاس ؟ " .

هز جيمى رأسه نافياً .

تمتم أنطونى : " هممم ! " .

ثم أشعل سيجارة أخرى ، وعاد ليقطع أرجاء الغرفة بخطواته السريعة .

" أعتقد أنك لا تقرأ الصحف ، أليس كذلك أيها [illegible] ؟ " .

رد ماكجراث فى بساطة : " ليس فى أغلب الأوقات [illegible] بها ما يهمني " .

" احمد الرب أنى أكثر تحضرا منك . فلقد شهدت [illegible] مؤخرا الكثير من التقارير الإخبارية الواردة من [illegible] تلمح إلى وجود محاولات لإعادة الملكية إلى [illegible] .

قال جيمى : " لم يترك نيكولاس الرابع وراءه ابنا . [illegible] لا أعتقد مطلقاً أن سلالة أوبولوفيتش قد انتهت . [illegible] تحوى الكثير من الشباب الطموحين . وأبناء [illegible] وغيرهم من الأقرباء " .

" وهكذا لن تكون هناك أية صعوبة فى العثور على [illegible] .

" لا أعتقد هذا . أتعلم أننى غير مندهش من انقلابهم [illegible] الجمهورية . فشعب شجاع لديه عزيمة قوية [illegible] وان يجد صعوبة فى التأقلم مع الرؤساء بعد أن

اعتاد على الملوك . وبمناسبة الملوك . فقد تذكرت شيئا آخر تفوه به الكونت العجوز فى تلك الليلة . لقد قال بأنه يعرف العصابة التى تلاحقه . قال بأنهم أنصار الملك فيكتور " .

استدار أنطونى بسرعة مشدوها : " ماذا ؟ " .

فاتسعت ابتسامة ماكجراث . وقال متشدقا : " هل فى هذا ما يهمك يا سيد جو ؟ "

" لا تكن أحمق . يا جيمى . لقد أخبرتنى للتو بأمر غاية فى الأهمية " .

واقترب من النافذة وأخذ يتطلع إلى الخارج .

فسأله جيمى : " ومن هو الملك فيكتور هذا ؟ أهو ملك آخر من ملوك البلقان ؟ "

رد أنطونى فى بطء : " إنه ليس بذلك النوع من الملوك " .

" فمن يكون إذن ؟ "

ساد الصمت برهة . ثم قطعه أنطونى :

" إنه نصاب يا جيمى . أشهر لص مجوهرات فى العالم . رجل جرئ رائع . لا يهاب أى شىء . والملك فيكتور هو اسم شهرته فى باريس . فقد كانت باريس مقر عصابته . وقد ألقوا القبض عليه هناك وتم الحكم عليه بالسجن لسبع سنوات فى تهمة صغيرة . فلم يمكنهم أن يثبتوا عليه الجرائم الشنيعة التى ارتكبها . وقد اقترب موعد خروجه ـ هذا إن لم يكن قد خرج بالفعل " .

" وهل تعتقد أن للكونت علاقة بسجن ذلك اللص ؟ هل هو سبب مطاردة العصابة له ؟ طلبا للثأر ؟ "

" لا علم لى بذلك ويبدو الأمر مستبعدا . فلم يقم الملك فيكتور أبدا بسرقة مجوهرات تاج هيرتزوسلوفاكيا . على حد علمى . إلا أن الأمر برمته يحوى أسرارا . ألا ترى معى هذا ؟ موت الكونت . والمذكرات . والشائعات ـ سخف ـ الأمر كله مبهم إلا أنه مشوق . بالإضافة إلى أن هناك شائعة تقول بأنهم قد اكتشفوا النفط فى هيرتزوسلوفاكيا . ويراودنى إحساس يا جيمس . بأن تلك الدويلة الجمشية الصغيرة ستصبح موضع اهتمام كبير من كل شخص من الناس " .

" مثل من ؟ "

" رجال المال فى كل مكان بالمدينة " .

" ما الذى ترمى إليه ؟ "

" لا شىء سوى أنى أحاول أن أجد أية صعوبة فى هذه المهمة السهلة " .

" لا يمكنك أن تدعى وجود أية صعوبة فى تسليم الحقيبة إلى مكتب الناشر ؟ " .

ارتفعت نبرة صوت أنطونى وهو يقول : " كلا . لا أظن أنه ستكون هناك أية صعوبة فى هذا . ولكن هل تود أن تعرف إلى أين سأذهب بالمائتين وخمسين جنيها يا جيمى .

" إلى الجنوبية ؟ " .

" كلا يا صديقى . بل إلى هيرتزوسلوفاكيا . لابد أن أساند الجمهورية . ربما انتهى بى الأمر إلى كرسى الرئاسة " .

" وما المانع أيضا فى أن تنصب نفسك عميدا لعائلة أوبولوفيتش لتكون ملكا بالمرة ؟ " .

" كلا يا جيمى . فالملوك نصبوا ليبقوا . أما الرؤساء فلا يتولون المهمة سوى لأربع سنوات أو ما شابه . وسيعجبنى أن أحكم هيرتزوسلوفاكيا لمدة أربع سنوات " .

فنبهه جيمى قائلا . " لابد أن أخبرك بأن متوسط مدة بقاء الملك فى الحكم هناك تقل عن هذا بكثير " .

" ربما سوف يغوينى أن أختلس لنفسى نصيبك فى الألف جنيه . فلن تحتاج إليها حينما تعود محملا بسبائك الذهب . لسوف أستثمرها لك فى نفط هيرتزوسلوفاكيا . أتعلم يا جيمس أننى كلما فكرت فى الأمر ، أجد نفسى أكثر سعادة ورضا بأفكارك . فلم يكن لى أن أفكر فى هيرتزوسلوفاكيا لولا أنك قد ذكرتها لى . وسوف أقضى يوما واحدا فى لندن لأحصّل ذلك المال . ثم أنطلق من فورى مستقلا قطار البلقان السريع ! " .

" لن يمكنك الرحيل بهذه السرعة . فأنا أحتفظ لك بعمولة أخرى صغيرة . عن مهمة لم أذكرها لك بعد " .

ألقى أنطونى بجسده ليغوص فى أحد المقاعد وهو يحدق فى رفيقه بحدة

" كنت أعلم منذ البداية أن هناك ما تخفيه عنى . ومن هنا ذاتى الحيلة " .

" ليس فى الأمر شيء من هذا . بل هى مجرد مساعدة بسيطة .

" لآخر مرة أقولها لك يا جيمس . إننى أرفض أن يكون لى دور فى علاقاتك الغرامية الوحشية تلك " .

" ليست بعلاقة غرامية . إننى لم أر تلك السيدة من قبل . سأقص لك الحكاية برمتها " .

" إذا كان علىّ أن أستمع إلى حكاية أخرى من حكاياتك الطويلة المفككة تلك ، فلابد من كأس أخرى لى " .

فأجابه مضيفه طلبه . ثم بدأ يروى حكايته .

" بدأ الأمر حينما كنت فى أوغندا . حيث كان هناك شخص أنقذت حياته و ـــــ " .

" لو كنت مكانك يا جيمى لألفت كتيبا عنوانه " شخاص أنقذت حياتهم " . هذا ثانى إنقاذ أسمعه هذا المساء .

" حسنا . فى واقع الأمر أنى لم أقم بشيء هذه المرة سوى انتشاله فقط من مياه النهر . فلم يكن يعرف السباحة " .

" لحظة ، ألهذه القصة علاقة بالمهمة الأخرى ؟ " .

" لماذا ، هل تعرف هذا المكان ؟ " .

" إنه أحد الأماكن الفخمة فى إنجلترا يا عزيزى جيمس . مكان يذهب إليه الملوك والملكات خلال عطلات نهاية الأسبوع ، ويجتمع فيه الدبلوماسيون للتفاوض والتباحث " .

فقال جيمى ببساطة : " هذا أحد أسباب سعادتى لكونك ستتجه إلى إنجلترا بدلا منى . فأنت أعلم منى بهذه الأمور" . فرجل مثلى أنا أتى من غابات كندا الخلفية كفيل بارتكاب جميع أنواع الحماقات أما أنت الذى ذهبت إلى إيتون وهارو فـ ـــــ " .

قاطعه أنطونى فى تواضع . " إننى مجرد واحد منهم فقط " .

" فسيكون قادرا على إتمام المهمة . كنت قد سألتنى عن السبب الذى منعنى من إرسال الرسائل إليها . لقد بدت لى خطوة تنطوى على خطورة . فلقد استنتجت من الرسائل أن زوجها غيور . فلو أنه قد اطلع على خطابى ولو بالخطأ ، فما مصير تلك السيدة المسكينة حينئذ فى رأيك ؟ أو ربما تكون قد توفيت ـ فالرسائل مرسلة منذ مدة كما يبدو ـ فرأيت أن أنسب شيء هو أن يحملها شخص ما بنفسه إليها فى إنجلترا " .

ألقى أنطونى بسيجارته . واقترب من صديقه . وربت على ظهره بود

" يالك من فارس رحاله يا جيمى على غابات كندا ن تفتخر بك فلم أكن لأقوم بهذا على النحو الذى خططت أنت له " .

" ستقوم بهذه المهمة إذن ؟ " .

" بالطبع " .

فنهض ماكجراث . واتجه صوب أحد الأدراج . وأخرج منه حزمة من الرسائل ملقيا إياها على المنضدة .

" ها هى . أنصحك بان تلقى عليها نظرة "

" هل من ضرورة لهذا ؟ فأنا لا أحبذه " .

" فى الواقع . ومما ذكرته لى عن " تشيمنيز " . فإنى ص أنها كانت تمكث هناك كمجرد استراحة . ومن لأفضل أن نفحص الرسائل بحثا عما يدل على عنوانها ستديم "

" أعتقد أنك على حق "

تفحصا الرسائل بعناية . إلا أنهما لم يجدا ما كانا يأملان فى العثور عليه . فأعاد أنطونى تجميعها بعناية فى رزمة واحدة .

وقال معلقا : " ياله من وغد مسكين . إنها فى غاية الفزع "

فأومأ جيمى برأسه موافقا . وسأله فى قلق .

" هل تعتقد أنك ستنجح فى الوصول إليها ؟ "

" لن أغادر إنجلترا قبل أن أتوصل إليها . أأنت قلق بالفعل على مصير هذه السيدة المجهولة . يا جيمس ؟ " .

فمرر جيمى إصبعه فى شرود فوق التوقيع . وقال آسفا : " ياله من اسم جميل . . . فيرجينيا ريفيل "

الفصل ٣

قلق فى المرتفعات

" تماما . يا رفيقى العزيز . تماما " . قالها اللورد كاترهام .

كان قد نطق بهذه الجملة ثلاث مرات حتى الآن . وهو يأمل فى كل مرة أن تكون نهاية لهذه المقابلة وحتى الآن لم يسنى له أن يفلت بنفسه من هذا الموقف . فقد كان يمقت حبارد على الوقوف على عتبات هذا النادى اللندنى الذى ينتمى إليه لأجل أن يستمع إلى هذه الفصاحة المطوّلة التى ستفيض بها الشريف جورج لوماكس

كليمينت إدوارد آليستير برينت . الماركيز التاسع كاترهام . سيد صغير البنية . ذو ملابس رثة لا تعكس بحال الصورة الشائعة للماركيز كانت له عينان زرقاوان واحيتان . وأنف دقيق يعكس كآبة . وأسلوب يعبر عن حصيلة مهذبة وغامضة فى آن واحد .

كانت أكبر محنة مرت بحياة اللورد كاترهام هو اضطراره إلى أن يخلف أخاه الماركيز الثامن منذ أربع

سنوات مضت . فقد كان لورد كاترهام السابق رجلاً ذا شأن وشخصية قوية وكلمة مسموعة فى سائر إنجلترا . وقد شغل فى وقت من الأوقات منصب وزير الدولة للشئون الخارجية ، وكان له شأن عظيم فى مجالس الإمبراطورية كافة ، وكانت بلدته " تشيمنيز " مشهورة بكرم الضيافة . وبفضل التأييد البارع من زوجته ـ ابنة دوق " بيرث " ـ كانت حفلات نهاية الأسبوع فى " تشيمنيز " شاهدة على وقائع وأحداث غيرت من تاريخ البلاد ، ويكاد يكون كل مشاهير إنجلترا ـ بل أو فى أوروبا ـ واحداً ممن أقاموا فى تلك البلدة فى وقت أو آخر .

لا بأس بهذا . فقد نال الماركيز التاسع لكاترهام كل احترام وتقدير ، احتراماً لذكرى أخيه . وقد قام هنرى بهذا بشكل رائع . إلا أن اعتراض لورد كاترهام الوحيد كان على اعتبار " تشيمنيز " تابعة للدولة ، وليست منزلاً ريفياً خاصاً . ولم يكن هناك شيء يصيب لورد كاترهام بالملل أكثر من السياسة ـ فيما عدا السياسيين أنفسهم . من هنا جاء جزعه من بلاغة جورج لوماكس المتواصلة . كان جورج لوماكس رجلا قوى البنية ، يميل إلى السمنة ، أحمر الوجه ، جاحظ العينين ، يمتلك إحساساً بأهميته قويا .

" أتبينت مقصدى يا كاترهام ؟ لا يمكننا أن نحتمل فضيحة من أى نوع فى هذا التوقيت بالذات . فالموقف بالغ الحساسية " .

رد اللورد متهكماً : " لطالما كان الموقف كذلك " .

" يا عزيزى ، إن وضعى يحتم على أن أعرف ! "

عاد اللورد للجملة التى يتمناها خلاصاً : " أوه ... تماماً ... تماماً " .

" أية غلطة فى موضوع هيرتزوسلوفاكيا ستقضى علينا . فمن المحتم أن تتحصل شركة بريطانية على امتيازات النفط . ولابد أنك على دراية بهذا ، أليس كذلك ؟ " .

" بالطبع ، بالطبع " .

" سيصل الأمير ميشيل أوبولوفيتش نهاية هذا الأسبوع ، ويمكن إتمام الأمر كله فى " تشيمنيز " أثناء حفل صيد سنعلن عنه " .

قال اللورد : " لكننى كنت أفكر فى السفر خارج البلاد هذا الأسبوع " .

" هذا هراء يا عزيزى كاترهام ، فلا أحد يسافر خارج البلاد فى بدايات أكتوبر " .

رد لورد كاترهام وهو يتابع بتوق سيارة أجرة تسير ببطء على مقربة منهما : " يبدو أن طبيبى يرى أننى فى حالة سيئة " .

لقد كان يود لو تحرر من كل هذا ، إلا أن لوماكس كان مصاباً بعادة تضييق الحصار على أى شخص يدخل معه فى حوار جاد ـ ولا شك أن هذا نتاج خبرته الطويلة . وهو هنا يعول كثيراً على كونه اللورد كاترهام .

" عزيزى . إننى أحملك هذا كمسئولية رسمية . ففى لحظات الأزمات الوطنية ، كتلك التى تقترب منا بسرعة ـــــ " .

وتململ اللورد فى ضيق . فقد شعر بغتة أنه يفضل أن يقيم أى عدد من الحفلات على أن يضطر إلى سماع جورج لوماكس وهو يقتبس كلمات من خطبه . إنه يعلم عن تجربة أن لوماكس قادر على أن يستمر على هذا المنوال لعشرين دقيقة دون توقف .

فقال فى عجالة : " حسنا ، سأفعل هذا . على أن تشرف أنت على جميع الترتيبات " .

" لن نعمل على ترتيب أى شيء يا صديقى العزيز . فـ " تشيمنيز " أنسب مكان . هذا علاوة على ما تمثله من تاريخ . وسأمكث فى دار العبادة التى تقع على بعد يقل عن سبعة أميال من هنا فلا ينبغى لى أن أحضر هذا الحفل بالذات " .

" بالفعل" . هكذا وافقه اللورد ، على الرغم من أنه لم يكن ليعرف سبب هذه الحتمية ، ولم يكن تواقا لأن يعرفه .

" وإن كنت لن تمانع فى دعوة بيل إيفرسلاى . فسيكون ذا فائدة فى نقل الرسائل " .

قال لورد كاترهام فى لمحة حماس : " يسعدنى هذا . فإنه شخص محترم . كما أن بندل يحبه " .

" تعلم بالطبع أن الصيد نفسه ليس ذا أهمية . بل هو مجرد ذريعة " .

وعاد الضيق يخيم على لورد كاترهام من جديد .

" هذا كل شيء إذن . الأمير ، جناحه الذى سيقيم به بيل إيفرسلاى ، هيرمان إيزاكشتاين ـــــ " .

" قلت من ؟ " .

" هيرمان إيزاكشتاين . ممثل الرابطة التى حدثتك عنها " .

" تقصد رابطة كل البريطانيين ؟ " .

" نعم . لماذا تسأل ؟ " .

" لا شيء ... لا شيء ... كنت أتساءل فحسب . هذا شيء . يالها من أسماء غريبة تلك التى يتسمى بها هؤلاء الأشخاص " .

" وسيتواجد بالطبع شخص أو اثنان من غير ذوى صلة ـ حتى يبدو الأمر طبيعيا . وستعمل السيدة إيلين على ترتيب هذا ـ على أن يكونوا من الشباب البعيدين عن السياسة الذين يمثلون أى خطورة أو أهمية " .

" ومن المؤكد أن بندل سيحضر بدوره " .

هنا خطر للوماكس خاطر : " إننى لأتساءل الآن تذكر الموضوع الذى كنت أتحدث عنه للتو ؟ " .

" لقد تحدثت فى العديد من الموضوعات " .

" كلا ... كلا . بل قصدت ذلك الحادث السيئ " .
ثم خفض صوته هامسا : " تلك المذكرات - مذكرات الكونت ستيلبتيتش " .

رد اللورد وهو يمنع نفسه من التثاؤب : " أرى أنك مخطىء فى هذا . فالناس يبحثون عن الفضائح . تبا لتلك المذكرات ، لقد قرأت شيئا منها - ووجدتنى أستمتع بهذا بدورى " .

" ليس القصد هو ما إذا كان الناس سيقرءونها أم لا - فسيقرءونها وبسرعة - ولكن ذيوعها فى هذه الفترة كفيل بهدم كل شيء - كل شيء إن شعب هيرتزوسلوفاكيا يرغب فى إعادة الملكية . وهو مستعد لتقديم التاج للأمير مايكل ، والذى يلقى دعما وتشجيعا من حكومة جلالته ـــــ "

" وهو الذى على استعداد لمنح الامتيازات للسيد آيكى هيرمانشتاين وشركاه فى مقابل قرض يقارب المليون أو نحو ذلك ، لأجل أن يضعه على العرش ـــــ "

ناشده لوماكس فى همس معذب : " كاترهام ، كاترهام . شيء من التعقل ، أرجوك . شيء من التعقل قبل كل شيء " .

واصل لورد كاترهام كلامه فى شيء من الجذل . مع أنه خفض صوته تلبية لرغبته : " المقصد هو أن فى مذكرات ستيلبتيتش ما يمكن أن يفسد الأمر كله . ففيها أشياء عن استبداد وسوء سلوك من قبل عائلة

وبولوفيتش . هاه ؟ وهناك أسئلة مطروحة فى المجلس التشريعى . ما الداعى إلى استبدال هذه الحكومة الديمقراطية واسعة الأفق بأخرى تتصف بالاستبداد المطلق ؟ سياسة يمليها الرأسماليون من مصاصى الدماء . فتسقط الحكومة . وأشياء من هذا القبيل - هاه ؟ "

أطرق لوماكس برأسه .

فتنهد قائلا . " وقد يكون هناك ما هو أسوأ فترض ... افترض أن بها أية إشارة إلى ... إلى حادث لاختفاء المؤسف ذاك ... تعلم ما أعنيه " .

حدق فيه لورد كاترهام

" كلا - لا علم لى . أى اختفاء ؟ " .

" لابد أنك قد سمعت به لقد حدث أثناء وجودهم فى " تشيمنيز " . وقد أصيب هنرى بحزن شديد آنذاك وكد الأمر يفسد مستقبله كله " .

فقال لورد كاترهام : " لقد نجحت بالفعل فى إثارة فضولى ، من أو ما هو الذى اختفى ؟ " .

مال لوماكس للأمام وهمس فى أذن لورد كاترهام . الذى بادر بالتراجع للوراء .

" أرجوك ألا تهمس هكذا فى أذنى " .

" هل سمعت ما قلته ؟ " .

قال لورد كاترهام فى تردد : " نعم . أتذكر الآن أننى قد سمعت شيئا عن هذا وقتها . يالها من مسألة مثيرة

للفضول بالفعل . وإنى لأتساءل عمن فعلها . فلم يتم استعادته أبدا ؟ "

" بالفعل . وبالطبع كان علينا أن نتعامل مع الأمر بحساسية بالغة . فلم يكن من الممكن السماح بتسرب الخبر . إلا أن ستيلبتيتش كان موجودا هناك وقتها . وقد عرف شيئا ما . لم يعرف كل شيء . ولكنه عرف شيئا ما . كنا قد تجادلنا معه مرة أو مرتين حول المسألة التركية . فافترض أن حالة من الحقد المطلق اعترته فقرر أن يطلع العالم كله على فحوى تلك المذكرات . فكر فى حجم الفضيحة ـ وتبعاتها المتصورة وغير المتصورة . سيبادر الجميع بالتساؤل عن سبب إخفاء أمر كهذا "

رد اللورد بابتهاج واضح : " سيبادرون إلى هذا بالطبع "

تمالك لوماكس نفسه . بعد أن لاحظ أن صوته قد علا قليلا

تمتم قائلا : " لابد لى من أن أتمالك أعصابى . لابد لى من أن أتمالك أعصابى . إلا أننى سأطرح عليك هذا السؤال يا رفيقى العزيز . لو أنه كان لا ينتوى الاذى . فلماذا برأيك أرسل المخطوط إلى لندن بهذه الطريقة الملتوية ؟ " .

أمر غريب بالفعل . فهل أنت متأكد من معلوماتك هذه ؟ " .

" من دون شك . فلدينا عملاؤنا فى باريس . وقد تم إرسال المذكرات فى سرية قبيل وفاته بأسابيع " .

قال اللورد بنفس الجذل الذى أبداه من قبل : " معك حق . يبدو أن هناك سرا خفيا بها "

" لقد عرفنا أنها قد أرسلت إلى شخص يدعى جيمى . أو جيمس ماكجراث . وهو كندى يعيش حاليا فى أفريقيا "

واصل اللورد كاترهام جذله قائلا : " إنه شأن ميلودرامى بالفعل . أليس كذلك ؟ "

" ومن المتوقع وصول جيمس ماكجراث على متن سفينة شركة جرانارث غدا ـ الخميس "

" وما الذى قررتم القيام به ؟ "

" سنبادر بلقائه على الفور . ونبين له التبعات الخطيرة المحتملة لهذا الموضوع . ونرجوه أن يوجل نشر هذه المذكرات لشهر واحد على الأقل . وأن يسمح بشيء من التعامل العاقل مع المادة التى سيتم نشرها "

" وماذا لو رفض هذا الطلب أو قال لكم " فلتذهبوا إلى الجحيم أولا قبل أن أفعل ذلك " . أو شيئا من هذا القبيل ؟ " .

رد لوماكس ببساطة : " هذا هو ما أخشاه بالفعل " . ثم أضاف :

" لهذا خطر لى فجأة أن من الأفضل أن نطلب منه المجيء إلى تشيمنيز هو الآخر . ومن الطبيعى أن يشعر

بشيء من الزهو لكونه سينتقى الأمير مايكل . وعندها قد يكون من الأسهل التعامل معه "

بادره لورد كاترهام : " لن اقوم بهذا . فأنا لا أطيق التعامل مع الكنديين ولم أتعامل معهم أبدا ـ خاصة أولئك الذين عاشوا فى أفريقيا لمدة طويلة !

" ربما وجدته شخصا رائعا رغم كل شيء ـ ماسه مطموسة كما يقولون

" كلا يا لوماكس . لن أقوم بهذا ـ على شخص غيرى أن يتعامل معه " .

قال لوماكس : " لقد خطر لى أن أنسب شخص لهذه المهمة هو امرأة . فسلخبره بما يكفى من دون إفراط فبوسع المرأة أن تسيطر على الامر كله برقة وكياسة ـ فتطرح عليه المسأله من دون أن يشعر أنه يسقط فى فخ . وهذا لا يعنى أننى أوافق على تدخل المرأة فى السياسة ـ فلقد خربت المناصب السياسية التى تشغلها النساء بالفعل هذه الأيام . إلا أن المرأة فى مجالها الخاص قادرة على فعل الأعاجيب . انظر إلى زوجة هنرى وما فعلته لأجله لقد كانت مارسيا مضيفة سياسية رائعة ومتفردة " .

فسأله لورد كاترهام بصوت خافت . وقد شحب وجهه قليلا عند ذكر زوجة أخيه وشخصيتها المهيبة " أتعنى أنك ستدعو مارسيا إلى هذا الحفل ؟ "

" لا لا لقد اسأت فهم مقصدى لقد كنت أتحدث عن تأثير المرأة عموما . ولكننى أقترح وجود امرأة إلى جانبه . ذات سحر وجمال وذكاء . فما رأيك ؟ " .

" تقصد بندل ؟ لن تنفعنا بندل فى هذا الصدد فهى ذات ميول شيوعية متطرفة إذا كان لديها أى ميول سياسية من الأساس . وستنفجر ضاحكة منك إن عرضت عليها هذا الأمر "

كنت افكر فى الليدى إيلين فابنتك يا كاترهام حرة بالفعل . إلا أنها لا تزال طفلة ونحن بحاجة إلى إحدى تلك اللباقة الاجتماعية والاتزان والخبرة بهذا العالم . لذا أقترح هنا ابنة عمى فيرجينيا "

تبدل وجه اللورد . وبدأ يشعر بأن الحفل سيكون أسوأ فى نهاية المطاف وقال : " السيدة ريفيل اقتراح جيد بالفعل . يا لوماكس فهى أكثر نساء لندن سحرا " .

كما أنها مطلعة على شئون هيرتزوسلوفاكيا . فقد كان زوجها يعمل بالسفارة هناك . كما تذكر . وهى ـ كما تعلم ـ امرأة ذات شخصية ساحرة "

غمغم لورد كاترهام : " يا لها من شخصية سيئة ! "

تفقنا إذن " .

وهكذا خفف السيد لوماكس من ضغطه على اللورد وعاونه . وبادر الأخير بالفكاك منه .

" إلى اللقاء يا لوماكس . ستشرف على جميع الترتيبات . أليس كذلك ؟ " .

وسارع كاترهام باستقلال إحدى سيارات الأجرة اللورد كاترهام يكره الشريف جورج لوماكس . كان يمقت فيه وجهه الأحمر المكتنز . وأنفاسه الثقيلة ، وعينيه الزرقاوين الجاحظتين . وتذكر عطلة نهاية الأسبوع القادمة فتنهد وشعر بغثيان مقيت . إلا أن بعض الابتهاج حل به حينما تذكر أيضا أنه سيلقى فيرجينيا ريفيل

تمتم لنفسه : " شخصية ممتعة .. شخصية ممتعة بالفعل "

الفصل ٤

تقديم سيدة فائقة السحر

عاد جورج لوماكس من فوره إلى وايتهول وحينما وصل إلى الشقة الفاخرة التى يدير فيها شئون الدولة . سمع صوت هرج ومرج

كان السيد بيل إيفرسلاى يحفظ الرسائل بعناية . إلا أنه لاحظ أن ذلك المقعد الكبير بجوار النافذة لا يزال دافئا بعد فترة من جلوس جسد بشرى عليه .

إن بيل إيفرسلاى شاب ودود . يخمن المرء عمره فى حدود الخامسة والعشرين . قوى البنية ، أخرق فى حركته . ذو وجه أقرب إلى القبح . يزين وجهه صفان من الأسنان ناصعة البياض وزوج من العيون البنية التى تعكس صدقا .

" لم يرسل ريتشاردسون ذلك التقرير بعد ؟ " .

" كلا يا سيدى هل أتصل به بشأنه ؟ "

" لا يهم أهناك رسائل هاتفية ؟ " .

" إن الآنسة أوسكار تتولى امر أغلبها . والسيد إيزاكشتاين يرغب فى أن يعرف ما إذا كان هناك إمكانيه لتناول الغداء معه فى سافوى غدا " .

" اطلب من الآنسة أوسكار أن ترجع إلى جدول مواعيدى . ويمكنها أن تتصل به إذا كان الوقت يسمح بهذا " .

" حسنا يا سيدى " .

" بالمناسبة يا إيفرسلاى . أود منك أن تحول إلىّ مكالمة الآن . ابحث عن الرقم فى الدليل . السيدة ريفيل ، ٤٨٧ شارع بونت " .

" حسنا يا سيدى " .

تناول بيل دليل الهاتف ، وأخذ يمسح الدليل بعينيه باحثا عن الاسم ، وسرعان ما أغلق الدليل بصوت مسموع وتناول الهاتف من فوق المكتب . إلا أنه توقف بغتة . وكأنه تذكر أمرا مهما للتو .

" سيدى ، لقد تذكرت الآن . إن الحرارة مقطوعة عن خطها الهاتفى . أقصد السيدة ريفيل . فقد كنت أحاول الاتصال بها منذ قليل " .

اكفهر وجه جورج لوماكس ، وقال وهو يخبط على الطاولة فى غضبه لم يقصدها " مزعج . . مزعج جدا "

" لو كان الأمر مهما يا سيدى ، فربما أمكننى أن أتوجه إلى منزلها بسيارة أجرة . فمن المؤكد أنها تكون هناك فى هذه الساعة من الصباح "

تردد جورج لوماكس ، وهو يقلب الأمر فى عقله . بينما ترقبه بيل منتظرا ، وهو مستعد لأن ينطلق من فوره ، عندما يتلقى إشارة بهذا .

وأخيرا قال لوماكس : " ربما كان هذا بالفعل أفضل تصرف . حسنا إذا . خذ سيارة أجرة إلى هناك . واسأل السيدة ريفيل عما إذا كانت ستمكث فى المنزل هذه الصغيرة عند الساعة الرابعة . فأنا متلهف للقائها بشأن موضوع مهم "

" حسنا يا سيدى "

وتناول بيل قبعته وانصرف .

بعدها بعشر دقائق كانت سيارة الأجرة تتوقف به عند ٤٨٧ شارع بونت . قرع الجرس وكذلك دق الباب بسرعة . فتح الباب خادم واجم الوجه . فحياه بيل برأسه تحية ودودة . فهو يعرفه .

" صباح الخير يا شيلفيرز ، هل السيدة ريفيل موجودة ؟ "

" أعتقد يا سيدى أنها كانت تهم بأن تغادر للتو "

فناداه صوت آت من ناحية الدرج قائلا : " هل هذا أنت يا بيل ؟ لقد عرفتك من تلك الطرقات القوية على الباب . تعال وتحدث إلىّ " .

تطلع بيل إلى الوجه الذى كان يضحك منه . والذى كان دوما يختزله ـ وليس هو وحده ـ فى مجرد حالة من الثرثرة المنفرة . صعد الدرج درجتين درجتين والتقط بقوة يدى فيرجينيا ريفيل الممدوتين إليه .

" مرحبا يا فيرجينيا ! "

" مرحبا يا بيل ! "

شيء غريب جدا ذلك السحر . فهناك مئات النساء أشد حسنا من فيرجينيا ريفيل ، وبوسعهن أن ينطقن نفس هذه العبارة الأخيرة وبنفس الترنيمة . ومع هذا فلن يكون لهن أبدا نفس ما وقع عليه من أثر فهاتان الكلمتان خرجتا من فم فيرجينيا . لتخلبا لب بيل

لم تتعد فيرجينيا ريفيل السابعة والعشرين من عمرها بعد ، طويلة القامة . نحيفة فى أناقة ـ يمكن لشاعر أن يكتب قصيدة تغزل فى هذه النحافة التى تحافظ على مثالية كل جزء من قدها . شعرها برونزى اللون . مزدان بصبغة مائلة إلى الخضرة فى ذهبه . يميز وجهها ذقن دقيق يعكس قوة إرادة . وأنف جميل . وعينان ميالتان إلى الزرقة تعكسان لمعة لها لون زهرة القنطريون العنبرى العميق بين جفنين ناعسين . وفم عذب لا يمكن وصفه . فى ركنه غمازة الحسن المعروفة باسم " بصمة فينوس " كان وجها باهرا بتعبيراته . وهناك نوع من الحيوية تشع

من حولها تستحوذ على الانتباه . فيكاد يكون من المحال أن يتجاهل امرأة بنفس حضور فيرجينيا ريفيل .

قادت بيل إلى قاعة صغيرة ذات لون بنفسجى باهت مع جدران أخرى تلونت بالأخضر والأصفر . وكأن طائر زعفران حط فجأة فوق مرج أخضر .

قالت فيرجينيا : " عزيزى بيل . ألا يفتقدك مكتب الخارجية الآن ؟ ظننت أنهم سيعجزون عن الاستغناء عنك " .

" إننى هنا رسول إليك من كودرز "

هكذا كان بيل يشير إلى رئيسه فى استخفاف .

" وبالمناسبة . يا فيرجينيا ، وهذا إن سألك . تذكرى أن تخبريه بأن خطك الهاتفى كان معطلا هذا الصباح "

" لكنه لم يكن معطلا " .

" أعلم هذا لكننى أخبرته بأنه كذلك " .

" لماذا ؟ عرفنى بأساليبكم يا رجال مكتب الخارجية " .

فرماها بيل بنظرة تأنيب

" فعلت هذا حتى يتسنى لى الحضور إلى هنا لأرال بصبع " .

" عزيزى بيل . يالها من فظاظة منى ، ولطف منك كيد ! " .

" لقد أخبرنى شيلفيرز بأنك كنت تهمين بالخروج " .

" بالفعل - إلى شارع سلون . هناك مكان يبيع أحزمة للفخذ غاية فى الروعة " .

" مساكات للفخذ ؟ "

" نعم يا بيل . أحزمة للفخذ حزام يحيط بالفخذ بإحكام . يرتديها المرء على الجلد "

" لقد أخجلتنى يا فيرجينيا . لم يكن من الضرورى أن تصفى ملابسك الداخلية لشاب لا تربطك به أية صلة ليست هذه بلباقة "

" لا علاقة لهذا الكلام باللباقة يا بيل كلنا لدينا أفخاذ - على أننا نحن النسوة المسكينات نحاول إلى أبعد حد أن نتظاهر بأننا بلا أفخاذ فهذا الحزام مصنوع من مطاط أحمر وينتهى فوق الركبة بقليل . ويستحيل أن يسير المرء وهو يرتديه " .

" يا للقسوة ! فلماذا ترتدينه إذا ؟ " .

" لأنها تكسب المرء شعورا نبيلا بأنه يعانى من أجل الحصول على قوام ممشوق هلا توقفنا الآن عن الكلام عن حزام فخذى أخبرنى برسالة جورج "

" إنه يرغب فى معرفة ما إذا كنت ستكونين موجودة هنا فى الساعة الرابعة بعد الظهر أم لا "

" كلا . فسوف أكون فى رانيلاف . ما الداعى إلى هذا الاستدعاء الرسمى ؟ هل تعتقد أنه سيأتى ليعرض علىّ الزواج ؟ " .

" ليس لى أن أسأل فى هذا "

" لو كان الأمر كذلك . فسيكون عليك أن تخبره بأنى فضل أن يكون هذا بدافع قوى من داخله "

" مثلى أنا إذن ؟ "

" الأمر معك ليس له علاقة بهذا يا بيل هى مجرد عادة "

" فيرجينيا . ألن "

" كلا . كلا يا بيل . لن أخوض فى هذا صباحا وقبيل أن أتناول غدائى حاول أن تنظر إلىّ على أننى شخص حنون يقترب من منتصف العمر . ويهتم بمصلحتك بإخلاص " .

" ولكننى أحبك يا فيرجينيا "

" أعلم هذا يا بيل . أعلم هذا . وأنا أحب أن أكون محبوبة ألا تجد فى هذا شرا تخشاه ؟ إننى أحب أن يكون كل رجل فى هذا العالم واقعا فى هواى "

قال بيل واجما " أرى أن هذا هو حال أغلبهم "

" إلا أننى آمل ألا يكون جورج واحدا من هؤلاء . ولا أعتقد أنه من الممكن أن يكون كذلك . فهو متزوج من محصبه . هل أخبرك بشيء آخر ؟ "

" إنه يبلغك بأن الأمر مهم " .

" لقد أثرت فضولى بالفعل يا بيل . فقليلة هى الأشياء التى يراها جورج مهمة . أرى أن علىّ أن أؤجل مشوار رانيلاف هذا فبوسعى الذهاب فى أى يوم آخر . أخبر

جورج بأنى سأنتظره . وبكل ترحاب عند الساعة الرابعة "

ألقى بيل نظرة إلى ساعة يده

" يبدو أن الأمر لا يستحق أن أعود إلى المكتب قبيل ساعة الغداء . هلا خرجنا لنتناول شيئا من الطعام معا يا فيرجينيا " .

" سأخرج للغداء فى مكان أو آخر " .

" لا يهم اليوم . حددى أنت الموعد المناسب . والغى كل مواعيدك " .

فقالت وهى تبتسم له : " سيكون هذا لطيفا "

" أنت عزيزة على قلبى يا فيرجينيا . إنك معجبة بى ، أليس كذلك ؟ أكثر من غيرى " .

" أنا بالفعل معجبة بك يا بيل ولو كان علىّ أن أتزوج أحدا - إن اضطررت إلى ذلك - ولو لم يكن لى من خيار سوى الزواج أو الموت تعذيبا . لن أتردد فى اختيارك - فى الحال سأطلبك بالاسم " .

" حسنا . إذا ـــــ "

" إلا أننى لست مضطرة للزواج . فكم أحب أن أبقى أرملة محطمة للقلوب "

" بوسعك أن تبقى هكذا وان تفعلى ما يحلو لك فلن ترينى إلا بالكاد فى هذا المكان " .

" لم تفهم قصدى يا بيل فلو كان لى أن أتزوج . فسوف أقدم على هذا من كل قلبى "

اطلق بيل زفرة قوية . وتمتم فى حزن : " يبدو أننى سأقدم يوما ما على الانتحار " .

" كلا . لن تفعلها يا عزيزى بيل . فلسوف تقع فى هوى فتاة جميلة تصطحبها إلى العشاء - مثلما فعلت منذ عشرين " .

فارتبك السيد ايفرسلاى للحظة

" لو كنت تقصدين دوروثى كيركباتريك - سأقول لك فى شىء ، إنها فتاة فى غاية اللطف والصراحة . ولا شىء من هذا " .

" بالطبع يا عزيزى بيل . لا ضير بالفعل من هذا . فكم أحب أن تستمتع بوقتك . ولكن تتظاهر بأنك ستموت بسبب كسير ، هذا هو كل ما أريد " .

استعاد السيد إيفرسلاى كرامته . ورد عليها بحدة :

" إنك لا تفهمين شيئا على الإطلاق فالرجال ـــــ "

" يحبون تعدد العلاقات ! هذا أمر أعلمه فأحيانا ما ينتابنى شك عنيف فى كونى أنا نفسى على هذه الشاكلة . لو كنت تحبنى حقا يا بيل . فعليك أن تسارع الآن باصطحابى إلى الغداء "

الفصل ٥

أول ليلة فى لندن

كثيرا ما تكون هناك ثغرة فى أشد الخطط إحكاما . وقد كان هناك خطأ واحد ارتكبه جورج لوماكس ـ كان هناك نقطة ضعف فى كل إعداداته . وقد كانت نقطة ضعف هذه هى بيل .

كان بيل إيفرسلاى شابا فى غاية اللطف . وكان لاعبا جيدا للكريكيت والجولف . وذا أخلاق لطيفة . وطباع محببة . إلا أنه لم يتحصل على منصبه بمكتب الخارجية عن كفاءة . ولكن بفضل الاتصالات الجيدة . وقد كانت هذه وظيفته تليق به . حيث كان الخادم المطيع لجورج . الذى لا يكاد يقوم بعمل مسئول أو يحتاج إلى مجهود عقلى . فدوره أن يكون ملازما لجورج على الدوام . وأن يقابل الأناس غير المهمين والذين لا يود جورج لقاءهم . ويحقق متطلباته . أى أن يشغل وقته فيما يفيد بشكل ما . وقد كان بيل يجيد القيام بكل ذلك بكل أمانة . فعندما يتغيب جورج . يسترخى بيل فى أكبر مقاعد

THE GHOST 92

المكتب بكل ارتياح ليطالع اخبار الرياضة فى الصحف ، محافظا بذلك على تقليد اعتاد عليه .

ولأنه اعتاد أن يرسل بيل فى العديد من المهمات . فقد أرسله جورج إلى مكاتب " يونيون كاسل " حتى يتبين موعد وصول السفينة قلعة جرانارث . وبيل - مثله مثل أكثر المثقفين من الشباب - يتصف بصوت عذب إلا أنه يكاد لا يسمع . حتى أن أى أستاذ خطابة لا يفوته خطأه فى نطق كلمة " جرانارث " - وبالتالى فقد سمعها منه الموظف كارنفرى .

وهكذا أخبره بأن السفينة قلعة كارنفرى ستصل يوم الخميس القادم . فشكره بيل ومضى تلقى جورج لوماكس المعلومة ورسم خطته على هذا الأساس . ولم يكن يعرف شيئا عن الخطوط الملاحية لشركة يونيون كاسل . وسلّم بأن جيمس ماكجراث سيصل يوم الخميس .

لذلك . وفى ذات اللحظة التى كان يتبع فيها اللورد كاترهام على عتبات النادى صباح الأربعاء . كانت الدهشة تغمره حينما أدرك أن قلعة جرانارث قد رست فى ميناء ساوثهامبتون بعد ظهر الأمس ففى الساعة الثانية من تلك الظهيرة . ترجل أنطونى كيد - الذى كان يسافر تحت اسم جيمى ماكجراث - من القطار النهرى عند ووترلو . ثم استقل سيارة أجرة . وبعد لحظات من التردد أمر السائق بأن يذهب به إلى فندق بليتز .

" قد احصل على بعض الراحة هناك " ، هكذا فكر أنطونى وهو ينظر بشيء من الاهتمام عبر نافذة السيارة .

لقد مرت أربعة عشر عاما بالتمام والكمال منذ أن كان هنا لآخر مرة .

وصل أنطونى إلى الفندق ، وحجز الغرفة ، ثم ذهب ليتمشى قليلا على كورنيش النهر . كم أسعده أن يعود إلى هنا من جديد لقد تغير كل شيء بالطبع . فقد كان هناك مطعم صغير - بعد جسر بلاك فريرز بقليل - حيث اعتاد أن يتناول عشاءه بصحبة كثير من أصدقائه المخلصين . كان وقتها من الشيوعيين . يرتدى ربطة عنق حمراء فاقعة . كان شابا صغيرا ـــــ صغيرا جدا .

عاد أنطونى أدراجه إلى " البليتز " . وبينما كان يهم بعبور الطريق . اعترض طريقه رجل . مما كاد يفقده توازنه وسرعان ما استعاد كلاهما توازنه ، وتمتم الرجل معتذرا . وعيناه تمسحان وجه أنطونى عن قرب . كان صغيرا . ومظهره ينم على أنه أحد المنتمين للطبقة العاملة . إلا أن به مسحة تبوح بأن جزءا منه أجنبى .

رفع أنطونى إلى الفندق . وهو يتساءل عن سبب تلك النظرة المدققة ربما لم يكن بها شيء . إلا أن آثار الشمس التى لفحت وجهه كانت غير معتادة بين أغلب البريطانيين الذين يتميزون بالشحوب . وهو الأمر الذى لفت انتباه صاحبنا ذاك فيما يبدو . صعد أنطونى إلى غرفته . واتجه إلى المرآة بغتة وبدافع خفى أخذ يتأمل قسمات

وجهه . قليلون من بين أصدقائه المقربين من يمكنه التعرف عليه الآن . هذا إن حدث والتقاهم وجها لوجه نحى هذه الفكرة جانبا وهو يهز رأسه ببطء .

حينما فارق لندن . كان أنطونى فى الثامنة عشرة من عمره ـ صبيا عاديا . ممتلئا قليلا . يرتسم على محياه تعبير ملائكى خادع . ولم يكن هناك فرصة أن يتعرف أحد على هذا الصبى الذى تحول الآن لرجل نحيف برونزى الوجه . يرتسم على وجهه تعبيرات الفضول والسخرية

رن جرس الهاتف الذى يقع بجوار الفراش . فرفع أنطونى سماعته

" مرحبا ! "

فجاءه صوت موظف الاستقبال .

" السيد جيمس ماكجراث ؟ " .

" معك يتحدث " .

" لقد طلب أحدهم لقاءك " .

بوغت أنطونى مدهوشا .

" يريد أن يراني أنا ؟ " .

" نعم يا سيدى . رجل أجنبي " .

" ما اسمه ؟ "

صمت الرجل لحظة . ثم قال : " سأرسل لك أحد السعاة ببطاقته " .

أعاد أنطونى السماعة وانتظر . وخلال بضع دقائق سمع طرقا على الباب وظهر له خادم يحمل بطاقة فوق فضية .

تناول أنطونى البطاقة . التى كان مطبوعا عليها هذا الاسم .

البارون لولوبريتزيل

لقد عرف الآن سبب صمت موظف الاستقبال

نظر أنطونى لدقيقة أو دقيقتين يحدق فى البطاقة . بعدها اتخذ قراره .

" ليصعد إلىّ هذا السيد "

" حسنا يا سيدى " .

وخلال بضع دقائق كان البارون لولوبريتزيل بالغرفة . رجل ضخم الجثة ذو لحية سوداء هائلة أشبه بالمروحة . وقبعة صلعاء

ضم البارون كعبى قدميه معا بدقة مسموعة . ثم انحنى بحسده

قال : " السيد ماكجراث "

حاول أنطونى أن يحاكى حركته هذه بقدر ما أمكنه .

قال : " بارون " . ثم سحب كرسيا وهو يضيف " هلا تفضلت بالجلوس . أعتقد أننى لم أحظ بشرف لقائك من قبيل ؟ " .

وافقه البارون وهو يهم بالجلوس وقال فى أدب " بالفعل . وهذا لسوء حظى " .

بادره أنطونى بنفس النبرة : " وسوء حظى كذلك "

قال البارون " دعنا ندخل فى الموضوع مباشرة إذن إننى ممثل حزب الموالين الهيرتزوسلوفاكى فى لندن "

تمتم أنطونى : " تمثله على نحو رائع بالتأكيد " .

فانحنى البارون فى تقدير لهذا الإطراء ، وقال فى شموخ وكبرياء : " أنت شديد اللطف . لن أخفى عنك أى شيء . سيد ماكجراث . لقد حانت لحظة إعادة الحكم الملكى الذى أسقط منذ مقتل جلالة الملك نيكولاس الرابع . طابت ذكراه " .

غمغم أنطونى " آمين " .

" سوف ننصب على العرش سمو الأمير مايكل . الذى يلقى دعم الحكومة البريطانية " .

قال أنطونى . " جميل . لطف منك أن تخبرنى بكل ذلك " .

" كان كل شيء معدا ـ حتى أتيت أنت فظهرت المشاكل " .

كان البارون يحدق فيه بعين صارمة .

اعترض أنطونى بقوله : " عزيزى البارون "

" أجل . أجل . إننى على يقين مما أتحدث عنه فبجعبتك مذكرات الكونت ستيلبتيتش الراحل " .

وتحولت نظرته إلى أنطونى لنظرة اتهام .

" لو فرضنا أنها معى بالفعل . فما علاقة مذكرات الكونت بالأمير مايكل ؟ " .

" إنها ستثير الكثير من الفضائح " .

فقال أنطونى مهدئا إياه . " هكذا حال أغلب المذكرات "

" بالنظر إلى كم الأسرار التى عرفها . فإنى أقول لك لو كشف ولو ربع تلك الأسرار . فإن هذا قد يكون كفيلا بإشعال الحرب فى أوروبا بأسرها " .

قال أنطونى " حنانيك . فلا يمكن أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة " .

" ستسوء صورة عائلة أوبولوفيتش بالخارج . أنت تعلم ما تتصف به الروح البريطانية من ديمقراطية "

قال أنطونى : " بإمكانى أن أصدق أن عائلة أوبولوفيتش قد يكون لها بعض الأحكام الاستبدادية المتفاوتة بين الحين والآخر . فهذا شيء يجرى فى مقابلهم . إلا أن الناس فى إنجلترا يتوقعون أشياء من هذا الجنس من البلقان . ولا علم لى بسبب هذا . إلا أن هذا هو الواقع " .

قال البارون وهو يتنهد : " أنت لا تفهمنى . لا تفهمنى على الإطلاق . لكننى أخشى أن أصارحك " .

سأله أنطونى " ما الذى تخشاه على وجه التحديد ؟ " .

فقال شارحا بلهجة بسيطة " لا أستطيع تحديد هذ
إلى أن أقرأ المذكرات . ولكن من المؤكد أن بها شيئا
فهؤلاء الدبلوماسيون دائما ما يتصفون بالحماقة . وكما
يقول المثل الدارج فإن عربة التفاح بأكملها سوف تفسد "

لاطفه أنطونى قائلا : " اسمعنى . إننى على يقين من
أنك تتخذ موقفا شديد التشاؤم تجاه هذا الأمر . أنا على
دراية تامة بالناشرين - إنهم يرقدون على النصوص كدجاج
يرقد على بيضه . فلن يتم نشر تلك المذكرات قبيل مرور
عام من الآن على الأقل "

" اما أنك شاب شديد المكر او انك شديد السذاجة
فلقد اتفقت إحدى الصحف على نشر هذه المذكرات على
الفور "

بوغت أنطونى بما سمعه . فقال محاولا بث بعض من
الأمل : " أود ! لكنك قادر على إنكار صحة أى مما
ينشر " .

إلا أن البارون هز رأسه فى أسف .

" كلا ، كلا ، إنك تحاول أن تخفف من خطورة الأمر
ليس الا . ولكن دعنا نتحدث جديا الآن - الن تنال لقاء
مهمتك هذه ألفا من الجنيهات ؟ ترى أن معلوماتى لا
يستهان بها "

" إننى أهنىء إدارة المخابرات فى حزبكم "

" اننى مستعد لأن أمنحك ألفا وخمسمائة من
الجنيهات " .

حدق فيه انطونى بدهشة . قبيل أن ينهز رأسه فى
حزن . وقال فى أسف - " أخشى أن هذا لن يجدى
معك "

" جيد . أعرض عليك إذن الفى جنيه "

" انت تغرينى أيها البارون . تغرينى بالفعل . إلا
انى مازلت مصرا على عدم جدوى هذا " .

" لتحدد أنت المبلغ . إذا "

" اخشى أنك لا تدرك طبيعة الموقف إننى مستعد
للاعتراف بأنك تقف فى صف الأخيار . وأن هذه المذكرات
ستضر بقضيتكم . الا أننى قبلت القيام بهذه المهمة .
حتى أن أتمها افهمتنى ؟ لا يمكن أن أسمح لنفسى
بخيانة الجانب الآخر من أجل المال هذا أمر لا
يجدى "

سمع إليه البارون فى انتباه . ثم أطرق برأسه مع
بداية كلام أنطونى عدة مرات .

" فهمت . إنه حفاظ الإنجليزى على كلمة الشرف "

" اننا لا ننظر للأمر على هذا الوجه بالذات لكننى
يمكننى أن أقول بأن نتفق معا فى المعنى مع بعض
الاختلاف فى التعبير "

عندها نهض البارون واقفا .

" إننى أكن كل الاحترام لهذا الشرف الإنجليزى .
حبيا أن نجرب وسيلة أخرى . اتمنى لك صباحا
سعيدا "

وضرب عقبيه معا فى حركة عسكرية . ثم انحنى وخطا فى سرعة خارج الغرفة منتصب القامة فى اعتداد .

تأمل أنطونى الموقف " على أن اتساءل الآن عما يعنيه بهذا . هل هذا تهديد ؟ لا . فلست خائفا من هذا العجوز " الوليبوب " يا له من اسم يليق به بالمناسبة سأناديه بالبارون " لوليبوب " .

انطلق أنطونى داخل الغرفة جيئة وذهابا دون أن يحسم بعد ما سيتخذه من خطوات فعليه أن يمضى المذكرات خلال أسبوع على الأقل . واليوم هو الخامس من أكتوبر . وليس لدى أنطونى أية نية أن يسلمها حتى اللحظة الأخيرة . والحق أنه قد صار الآن متلهفا لأن يقرأ تلك المذكرات . لقد كان ينتوى هذا وهو على متن السفينة . إلا أن الحمى التى أصابته منعته من هذا . ولم تجعله فى حالة تتيح له الصبر لفك شفرة خط يدوى مبهم غير مقروء . فلم يكن أى جزء منها مكتوبا على الآلة الكاتبة ولكنه صار الآن شديد التصميم على أن يطلع بنفسه لمعرفة سر كل هذه الضجة التى أحدثتها

كما أن هناك مهمة أخرى تنتظره .

عندها بادر بتناول دليل الهاتف وبحث عن اسم " ريفيل " . كان هناك ستة أسماء بنفس اللقب إدوارد هنرى ريفيل . جراح . يقطن فى شارع هارلى وجيمس ريفيل وشركاه . شركة تعمل فى مجال

السراجة ؛ ولينوكس ريفيل من سراى أبوت بيرى . السعيد ؛ والآنسة مارى ريفيل التى تقطن بمكان ما فى الشرق . والشريفة السيدة تيموثى ريفيل التى تقطن فى ٤ شارع بونت . والسيدة ويلليس ريفيل فى ٤٢ ميدان بلوحان استثنى أنطونى السراجين والآنسة مارى ريفيل . فتبقى له أربعة أسماء عليه البحث فيها ـ ولم يكن هناك ما يدعوه إلى افتراض أن تلك السيدة قد عاشت فى لندن من الأصل ! فأغلق الدليل وهو يهز رأسه نافضا عنه كل الأفكار .

سأدع الأمر الآن للصدفة تلعب دورها . فغالبا ما تصير شىء فى مثل هذه الظروف "

لقد كان مكمن حظ أنطونى كيد هو إيمانه به إلى حد ما . فقد وصل أنطونى إلى بغيته بعدها بأقل من نصف ساعة . حينما كان يتصفح إحدى المجلات . كانت هذه المجلة تعرض لأحد التابلوهات التى نظمتها دوقة سترث " وأسفل صورة الغلاف التى كانت لامرأة ترتدى رداء شرقيا ، كان هذا التعليق

الشريفة السيدة تيموثى ريفيل وهى فى زى كليوباترا . قبيل زواجها كان اسم السيدة " ريفيل " هو الشريفة " فيرجينيا كاوثورن " ، ابنة الورد إدجباستون " .

حدق أنطونى فى الصورة للحظات . وهو يضم شفتيه وكأنه على وشك الصفير . ثم فصل الصفحة بأكملها عن المجلة ، وطواها ووضعها فى جيبه . وصعد من جديد . وفتح حقيبته وأخرج منها حزمة الرسائل . وأخرج الصفحة المطوية من جيبه وأدخلها فى الرباط الذى يربط الحزمة

بعد ذلك استدار فى حدة حينما سمع صوت مفاجئ يأتيه من ورائه . كان هناك رجل يقف عند الباب . بدا لأنطونى أنه من أولئك الذين تخيل عدم وجودهم إلا فى فرق الأوبرا الكوميدية . كان رجلا ترتسم على محياه نظرة شر ، ذا رأس عريض وشفتين منسحبتين فى ابتسامة تنم عن الشر .

سأله أنطونى " ما الذى تفعله هنا بحق الله ؟ ومن سمح لك بالصعود من الأصل ؟ " .

قال الغريب " إننى أدخل إلى أى مكان يحلو لى " . كان صوته أجش ولكنه أجنبية . وإن كانت إنجليزيته معبرة بما فيه الكفاية .

فكر أنطونى قائلا : " وغد آخر " .

وقال له فى حدة . " عليك الخروج من هنا اتسمعنى ؟ "

كانت عينا الرجل تحدقان فى حزمة الرسائل التى يقبض عليها أنطونى

" سأخرج حينما تعطينى ما أتيت لأجله "

وهل لى أن اسأل عن ماهية ذلك الشىء ؟ "

فترب الرجل خطوة .

وهمس قائلا " مذكرات الكونت ستيلبتيتش "

فقال أنطونى : " من المحال أن آخذ ما تقوله بمأخذ حـ إنك تجيد بالفعل دور شرير المسرح هذا . يعجبنى سوبك كثيرا من أرسلك إلى هنا ؟ البارون لوليبوب ؟ "

" البارون ؟ ـــــ " أخذ الرجل يتمتم بسيل من ـــ المكتومة بطريقة متشنجة

هكذا تنطقون اسمه إذا ، أليس كذلك ؟ مزيج من ـرة والنباح كالكلب . لا أعتقد أن بوسعى أن أنطقه ـ فلم تخلق أحبالى الصوتية لهذا الغرض . سأظل ـيه لوليبوب . لقد أرسلك إلى هنا إذا ، أليس ـ ؟ "

ولكنه لم يسمع سوى نفى حماسى . بيل كاد الرجل ـ بمجرد سماعه الاسم . ثم أخرج من جيبه ورقة ـ بها على الطاولة .

ـال " انظر ، انظر وارتعد . أيها الإنجليزى ـعون "

نظر أنطونى فى فضول . وليس بدافع الخوف على ـه يجد رسما ليد بشرية باللون الأحمر .

ـال معلقا . " تبدو لى كاليد ولكنها قد تكون كذلك ـير تكعيبيا لغروب الشمس فى القطب الشمالى "

" بيل هى علامة هوية رفاق اليد الحمراء . وأنا رفيق من رفاق اليد الحمراء "

نظر إليه أنطونى فى اهتمام كبير قائلا : " لا تقل لى هذا . وهل الباقون على شاكلتك ؟ لا علم لى بما يمكن لجمعية تحسين النسل أن تصف به حالة كهذه " .

زمجر الرجل غاضبا

" انت كلب . بيل أسوأ من كلب . أنت عبد للملكيه الواهنة . أعطنى المذكرات وسأتركك وشأنك . تلك هى روح الرحمة بين الإخوة "

قال أنطونى : " من المؤكد أن هذا لطف منكم . إلا أننى أخشى أن تكونوا ضحية لسوء فهم . فلدىّ تعليمات بأن أسلم المخطوط ـ لا إلى جماعتكم الحبيبة . ولكن إلى شركة نشر بعينها "

ضحك الآخر ضحكة غريبة : " باه ! هل تعتقد أننا سنسمح لك بأن تصل لهم وأنت على قيد الحياة ؟ توقف عن هذا الهراء . وناولنى تلك الأوراق . وإلا أطلقت عليك النار " .

وسحب من جيبه مسدسا ولوح به فى الهواء

إلا أنه أساء الحكم على أنطونى كيد . فلم يكن معتادا على مواجهة ذوى رد الفعل السريع ـ أو من هم أسرع مما يمكن أن يظن . فلم ينتظر أنطونى حتى يصبح فى مجال نيران المسدس . فما إن هم الرجل بإخراجه من جيبه ، حتى كان أنطونى يثب نحوه ويطيح به من يده . كانت

[illegible] اللطمة كفيلة بأن تفقد الرجل توازنه . فصار ظهره [illegible] مهاجمته .

كانت الفرصة أكبر من أن تفوّت . فمن خلال ركلة [illegible] موجهة استطاع أنطونى أن يطيح بالرجل إلى الرواق [illegible] مدخل الغرفة . فنهض بسرعة على قدميه واندفع [illegible] ولم يعبأ أنطونى بمطاردته . وفضل العودة إلى [illegible]

[illegible] لنفسه : " كان هذا كافيا لرفاق اليد الحمراء [illegible] مجرد مظهر ليس إلا . سرعان ما يتبدد مع أى [illegible] سليم . لكننى أتساءل كيف تمكن هذا الشخص من [illegible] إلى غرفتى . ولكن يبقى هناك أمر بالغ الوضوح ـ [illegible] المهمة سلسة كما ظننت . لقد صرت الآن مطاردا [illegible] " الموالين " و" الثوريين " على حد سواء . وأعتقد أنه [illegible] سيرسل " الوطنيون " و " الليبراليون المستقلون [illegible] مفوضا أيضا . إلا أننى متيقن الآن من ضرورة [illegible] هذه المخطوطات الليلة "

[illegible] انطونى إلى ساعته . فتبين له أنها تقارب [illegible] . فقرر أن يتناول عشاءه فى غرفته . لم يكن [illegible] المزيد من الزيارات المفاجئة . إلا أنه شعر بأن عليه [illegible] حذره . ولم تكن لديه نية بأن يترك حقيبته [illegible] للسرقة بينما يتوجه لتناول طعامه بالمطعم . فقرع [illegible] وسأل من أتاه عن قائمة الطعام . واختار صنفين [illegible] الطعام . ودون النادل طلباته وغادر الغرفة .

أثناء انتظاره وصول وجبته . أخرج حزمة المخطوطات ووضعها على الطاولة مع الرسائل

سمع أنطونى طرقا على الباب . ودلف النادل ومعه منضدة صغيرة تحمل مستلزمات الوجبة . خطا أنطونى فى سرعة نحو رف الموقد ووقف هناك وظهره للغرفة . حيث كان يواجه المرآة مباشرة وينظر فيها بغير اهتمام . حينما لاحظ شيئا غريبا

لقد كانت عينا النادل مسمرتين على الطرد الذى يحوى المخطوطات . وهو ينظر بنظرات سريعة نحو ظهر أنطونى الساكن . ثم انسل فى خفة حول الطاولة . كانت يداه ترتجفان بينما يلعق لسانه شفتيه الجافتين باستمرار لاحظه أنطونى عن قرب . كان رجلا طويلا ، رشيق الحركة كغيره من النذل ، ووجهه حليق سريع التعبيرات . وخمن أنطونى أنه إيطالى ، وليس بالفرنسى

وعند اللحظة الحاسمة استدار أنطونى فجأة . ارتبك النادل بعض الشيء . إلا أنه تظاهر بأنه يستخدم الملحة

وسأله أنطونى بغتة : " ما اسمك ؟ "

" جوزيبى يا سيدي"

" هل أنت إيطالى ؟ " .

" نعم يا سيدى "

كان أنطونى يتحدث معه بلغته ، وكان الرجل يجيبه بطلاقة . وفى النهاية أمره أنطونى بالانصراف بإيماءة من

ـه . ولكن عقله لم يتوقف لحظة عن التفكير . وهو ـول وجبته الشهية التى قدمها له جوزيبى

هل أساء الظن ؟ أكان اهتمام جوزيبى بالطرد مجرد ـعور عادى ؟ قد يكون الأمر كذلك . إلا أنه تذكر ذلك ـعاء المحموم الذى أصاب الرجل . فوجد نفسه ميالا ـ ما يظنه . لكنه لم يخرج عما أصابه من حيرة .

قال لنفسه : " أبعد عنك هذه الأفكار . لا يمكن أن ـ كل وراء هذه المخطوطات . ربما أكون واهما "

تنبى أنطونى من طعامه ، وتم رفع الأطباق . فقرر ـعن فى تلك المذكرات . إلا أن تلك المطالعة كانت ـنة . بسبب رداءة خط يد الكونت . ووجد نفسه ـب عدة مرات فى تسارع أدهشه . ومع نهاية الفصل ـع من المذكرات . وجد نفسه عاجزا عن أن يواصل ـراءة

ـل ما قرأه حتى الآن لم يبعث فيه سوى ملل لا ـ . كما أنه لم يجد ما ينم عن أية فضيحة كانت

جمع أنطونى الخطابات ولف المخطوطات والتى كانت ـع معا فى كومة على الطاولة وأغلق الحقيبة عليها ـحبه . ثم أغلق الباب . ووضع الكرسى وراءه كاحتياط ـتى ووضع على الكرسى زجاجة مياه أتى بها من ـحم

ـر أنطونى إلى ما قام به من استعدادات بنوع من ـحر . وتخفف من ملابسه وتوجه إلى الفراش وألقى

نظرة أخيرة على مذكرات الكونت . إلا انه شعر بتثاقل جفنيه ، فوضع المخطوطات أسفل الوسادة . وأطفأ المصباح وسرعان ما استسلم للنوم .

لابد أن أربع ساعات كانت قد مضت قبيل أن يستيقظ بغتة . لم يكن يعرف سبب ما أيقظه ـ ربما كان صوتا . ربما هى الحاسة السادسة التى تتنامى لدى الرجال الذين عاشوا حياة حافلة بالمغامرات . فصارت تنبئه بالخطر .

رقد أنطونى ساكنا للحظات . وهو يحاول التركيز . كان بوسعه أن يسمع حفيفا يقترب خلسة . ثم صار واعيا لوجود شبح بينه وبين النافذة ـ يقف عند الحقيبة .

قفز أنطونى من الفراش فجأة . وهو يضيء المصباح فقفز جسد عن المكان الذى انحنى عنده نحو الحقيبه .

لقد كان النادل جوزيبى وفى يده اليمنى يلتمع سكين حادة . اندفع بقوة نحو أنطونى . الذى كان الآن واعيا تماما لما يحدق به من خطر . كان أعزل بينما كان جوزيبى متفوقا بفضل سلاحه .

قفز انطونى إلى أحد الجوانب . متفاديا طعنة من سكين جوزيبى وفى اللحظة التالية كان الرجلان ملتحمين يتصارعان على الأرض . كانت كل ملكات أنطونى متركزة على إحكام قبضته على ذراع جوزيبى اليمنى حتى يعجزه عن استخدام سكينه . واستطاع أن يلويها ببطء إلى الخلف . وفى ذات الوقت شعر بيد

الإيطالى الأخرى تقبض على قصبته الهوائية . لتخنقه [illegible] انه أصر بشدة على أن يلوى ذراعه اليمنى للخلف .

كان هناك صوت رنين حاد والسكين تسقط على الأرض . فى ذات الوقت الذى خلص فيه الإيطالى نفسه من قبضة أنطونى . فنهض أنطونى بسرعة بدوره . إلا أنه [illegible] فاندفع نحو الباب محاولا أن يمنع الآخر من [illegible] ورأى ـ متأخرا جدا ـ ان الكرسى والزجاجة من [illegible] لا يزالان على حالهما .

لقد دلف جوزيبى إلى الغرفة عبر النافذة . ومنها [illegible] وفى تلك اللحظة التى أتيحت له عند تحرك [illegible] نحو الباب . كان قد قفز إلى الشرفة . ومنها إلى [illegible] المجاورة وسرعان ما اختفى عبر نافذتها .

كان انطونى متيقنا من عدم جدوى مواصلة مطاردته [illegible] وسيلته فى الهرب وسيلة من يدرك ما يفعله بلا [illegible] وكان أنطونى سيوقع نفسه فى مأزق .

توجه أنطونى نحو الفراش . وهو يمد يده أسفل [illegible] ليسحب المذكرات . لقد كان من حسن حظه أنه [illegible] هنا وليس فى الحقيبة . فتوجه صوب الحقيبة [illegible] ما فيها . وهو ينتوى استخراج الخطابات .

[illegible] أطلق سبابا ساخطا مكتوما .

[illegible] اختفت الرسائل .

www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3
www.liilas.com/vb3

الفصل ٦

فن الابتزاز الرقيق

كانت الساعة الرابعة إلا خمس دقائق بالضبط حينما وصلت فيرجينيا ريفيل ـ بدافع من فضول منطقى ـ إلى المنزل فى شارع " بونت " . فتحت الباب بالمفتاح ، ودخلت إلى البهو لتلقى من فورها شيليفرز بارد الأعصاب .

" أرجو المعذرة يا سيدتى . لكن هناك ـ هناك شخصا يريد مقابلتك ـــــ "

لم تلق فيرجينيا فى تلك اللحظة بالا لأسلوب الكلام غير الملحوظ الذى غطى به شيليفرز ما يعنيه .

" السيد لوماكس ؟ وأين هو ؟ هل هو بغرفة الصيوف ؟ " .

رد شيليفرز بلهجة تانيب " كلا يا سيدتى . ليس السيد لوماكس بل شخصا آخر ـ كنت مترددا فى أن أسمح له بالدخول . إلا انه أخبرنى بأن الأمر الذى أتى من أجله غاية فى الأهمية ـ له صلة بالكابتن الراحل .

هذا ما فهمته منه . لذا ارتأيت أنك قد ترغبين فى لقائه . لذا فقد أجلسته فى فى المكتب "

وقفت فيرجينيا تفكر للحظات . إنها أرملة منذ بضع سنوات . وكان تفضيلها ألا تتحدث عن زوجها الراحل إلا فيما ندر دليلا على أن هذا السلوك غير المكترث يخفى تحت طياته جراحا لم تلتئم بعد . إلا أن هناك من رأى فى هذا دليلا على النقيض . وانها وجدت أن من الزيف أن تبدى أسى لا تشعر به فى داخلها نظرا لعدم اكتراثها بتيم ريفيل من الأساس .

تابع شيليفرز كلامه قائلا : " كان على أن أخبرك يا سيدتى . بأن الرجل يبدو أجنبيا " .

زاد اهتمام فيرجينيا بعض الشيء . فقد كان زوجها يعمل بالسلك الدبلوماسى . وكانا يعيشان معا فى هيرتزوسلوفاكيا حينما وقعت حادثة مصرع الملك والملكة فقد يكون هذا الرجل هيرتزوسلوفاكيا . خادما عجوزا صرعته الأيام .

فجاوبته بإيماءة موافقة سريعة : " أحسنت الفعل يا شيلفيرز . أقلت إنك أجلسته فى المكتب ؟ "

عبرت فيرجينيا الردهة بخطوات رشيقة . وفتحت باب الغرفة الصغيرة التى تحيط بغرفة الطعام .

كان الزائر جالسا فى مقعد بجوار المدفأة . حينما نهض فور دخولها ووقف ينظر إليها . وقد كانت فيرجينيا تتمتع بقدرة ممتازة على تذكر الوجوه . فتيقنت من فورها

ـ لم تره من قبل . كان طويل القامة ذا بشرة داكنة . ـ الجسد . ومن المؤكد أنه أجنبى . إلا أنها كانت تعتقد أنه ليس سلافى الأصل . بل رات أنه قد يكون ـ يا أو ربما أسبانيا .

ـ ألته : " كنت ترغب فى لقائى ؟ أنا السيدة ـ ـ "

ـ يجبها الرجل لدقيقة أو دقيقتين . كان يتطلع إليها ـ ـ . وكأنه يقيمها عن كثب . وسرعان ما شعرت ـ ـ حة مقنعة فى أسلوبه .

ـ ـ ته بشيء من نفاد الصبر : " هلا تفضلت بالإفصاح ـ ـ غرض من زيارتك هذه ؟ "

ـ نت السيدة ريفيل ؟ السيدة تيموثى ريفيل ؟ " .

ـ جل . لقد أخبرتك بهذا للتو " .

ـ بالفعل . ومن الجميل أنك قد قبلت لقائى . سيدة ـ ـ وإلا فقد كان علىّ ـ كما أخبرت خادمك ـ أن أتم ـ ـ لامر مع زوجك "

ـ ظرت إليه فيرجينيا فى دهشة ، إلا أن شيئا ما ـ ـ ى الصمت قبل أن تنطق بكلمة . ونجحت فى أن ـ ـ ـ ر على أعصابها لتقول بلهجة جافة :

ـ ربما وجدت صعوبة فى القيام بذلك " .

ـ لا أعتقد هذا . فأنا شديد الإصرار . إلا أنى سأدخل ـ وضوع مباشرة . ربما تعرفين هذا ؟ " .

وأظهر شيئا كان فى يده . فنظرت إليه فيرجينيا بعد
اكتراث .

" هل بوسعك أن تخبرينى بما يكون هذا سيدتى ؟ "

ردت فيرجينيا . وقد تيقنت الآن من أنها تتعامل مع
شخص معتوه " يبدو لى أنه خطاب " .

قال الرجل وهو يمد يده نحوها " قد تكونين
لاحظت كذلك اسم المرسل إليه "

قالت له فيرجينيا فى لطف " بوسعى القراءة . إنه
مرسل إلى كابتن اسمه أونيل يقطن فى شارع كوينيل . رقم
١٥ . باريس "

كان الرجل يبحث فى ملامح وجهها بلهفة عن شيء
لم يجده بعد .

" هلا قرأته من فضلك ؟ "

تناولت فيرجينيا المظروف منه . وأخرجت ما بداخله
وتأملت الرسالة . إلا أن ملامحها سرعان ما توترت وهى
تناولها إياه من جديد

" هذه رسالة شخصية ـ وليس لى أن أطلع عليها "

أطلق الرجل ضحكة ساخرة

" اهنئك سيدة ريفيل على تمثيلك المتميز هذا . لقد
لعبت دورك بامتياز . إلا أنى أرى صعوبة فى أن تنكرى
هذا التوقيع ! " .

" التوقيع ؟ " .

قبت فيرجينيا الرسالة ـ لتصدمها المفاجأة . فقد كان
ـقيع ، المدون بخط رقيق . يحمل اسم فيرجينيا
ـس ولما لاحظت ما عقد لسانها من عجب ودهشة .
ـت من جديد إلى بداية الخطاب وأخذت تقرؤه بكل
ـعـ ثم وقفت ساكنة وغارقة فى أفكارها لدقيقة . فلقد
ـحت طبيعة الخطاب وبكل وضوح عما هى بانتظاره
ـ

ـرها الرجل " حسنا سيدتى ألبس هذا
ـ ؟ " .

ـت " بالفعل . هو اسمى "

ـ بوسعها أن تضيف " ولكنه ليس خط يدى "
ـ أنها بدلا من هذا رسمت ابتسامة مبهرة على
ـها

ـدلت فى عذوبة " ما رايك فى أن نجلس لنتحدث
ـ هذا الأمر ؟ "

ـ دوره ليندهش . فلم يتوقع أن تسلك هذا المسار
ـه غريزته أنها لا تخشاه

ـود أولا وقبل كل شيء أن أعرف الكيفية التى
ـت بها إلىّ " .

كان أمرا هينا "

خرج من جيبه صفحة منتزعة من مجلة . وناولها
ـد ولو كان أنطونى كيد موجودا لتعرف على تلك
ـحة .

وأظهر شيئا كان فى يده . فنظرت إليه فيرجينيا بعدم اكتراث .

" هل بوسعك أن تخبرينى بما يكون هذا سيدتى ؟ "

ردت فيرجينيا ، وقد تيقنت الآن من أنها تتعامل مع شخص معتوه : " يبدو لى أنه خطاب " .

قال الرجل وهو يمد يده نحوها : " قد تكونين لاحظت كذلك اسم المرسل إليه " .

قالت له فيرجينيا فى لطف : " بوسعى القراءة . إنه مرسل إلى كابتن اسمه أونيل يقطن فى شارع كوينيل ، رقم ١٥ ، باريس "

كان الرجل يبحث فى ملامح وجهها بلهفة عن شيء لم يجده بعد

" هلا قرأته من فضلك ؟ "

تناولت فيرجينيا المظروف منه . وأخرجت ما بداخله وتأملت الرسالة . إلا أن ملامحها سرعان ما توترت وهى تناولها إياه من جديد .

" هذه رسالة شخصية ـ وليس لى أن أطلع عليها " .

أطلق الرجل ضحكة ساخرة

" أهنئك سيدة ريفيل على تمثيلك المتميز هذا . لقد لعبت دورك بامتياز . إلا أنى أرى صعوبة فى أن تنكرى هذا التوقيع ! " .

" التوقيع ؟ "

قلبت فيرجينيا الرسالة ـ لتصدمها المفاجأة . فقد كان التوقيع . المدون بخط رقيق . يحمل اسم فيرجينيا ريفيل . ولما لاحظت ما عقد لسانها من عجب ودهشة ، عادت من جديد إلى بداية الخطاب وأخذت تقرؤه بكل تمعن . ثم وقفت ساكنة وغارقة فى أفكارها لدقيقة . فلقد فضحت طبيعة الخطاب وبكل وضوح عما هى بانتظاره الآن .

بادرها الرجل : " حسنا سيدتى . أليس هذا اسمك ؟ " .

قالت : " بالفعل ، هو اسمى " .

كان بوسعها أن تضيف : " ولكنه ليس خط يدى " .

إلا أنها بدلا من هذا رسمت ابتسامة مبهرة على وجهها .

وقالت فى عذوبة : " ما رأيك فى أن نجلس لنتحدث حول هذا الأمر ؟ "

جاء دوره ليندهش . فلم يتوقع أن تسلك هذا المسار . وأنبأته غريزته أنها لا تخشاه .

" أود أولا وقبل كل شيء أن أعرف الكيفية التى وصلت بها إلىّ " .

" كان أمرا هينا " .

أخرج من جيبه صفحة منتزعة من مجلة . وناولها إياها . ولو كان أنطونى كيد موجودا لتعرف على تلك الصفحة .

أعادتها إليه بتجهم مدروس .

قالت : " عرفت الآن أن الأمر كان هينا للغاية "

" تفهمين بالطبع سيدة ريفيل أن هذه ليست بالرسالة الوحيدة . بل هناك أخريات " .

قالت فيرجينيا : " يبدو أننى كنت فى غاية الحماقة "

تبينت فرجينيا أن نبرتها غير المكترثة قد أربكته فشعرت بالمتعة وهى تلعب هذا الدور .

فابتسمت له فى عذوبة وهى تقول . " على أية حال . فقد كان لطفا منك ان تاتى إلى هنا لتعيدها إلى "

خيم الصمت لحظة بينما تنحنح قبل أن يقول

" إننى رجل فقير ، سيدة ريفيل " ، قالها بنبرة حملها أقصى ما استطاع من أهمية .

" إذا فلا شك أنك ستدخل بسهولة إلى مملكة الجنة ، أو هكذا كنت أسمع على الدوام " .

" لا يمكن أن أعيد لك هذه الخطابات من دون مقابل " .

" أعتقد أنك قد أسأت الفهم . فتلك الخطابات ملك من كتبها "

. " ربما كان هذا ما يقوله القانون يا سيدتى ، إلا أن هناك مثلا شائعا فى هذه البلاد يقول " التملك تسعة أعشار القانون " . ولكنى أتساءل عما إذا كنت ستستعينين بالقانون فى هذا الشأن من الأصل ؟ "

حذرته فيرجينيا : " ولكن القانون شديد الحزم أمام سيدتين " .

" حذانيك سيدة ريفيل . لست بهذه الحماقة التى حسبتها فلقد قرأت تلك الرسائل ـ إنها رسائل من امرأة لحبيبها . وجميعها تنم عن مدى خشية الزوجة من فضاح أمرها . فهل تودين أن أسلمها لزوجك ؟ " .

" لقد نسيت واحدا من الاحتمالات . فتلك الرسائل مكتوبة منذ عدة سنوات مضت . ألم تفترض أنه من الممكن ـ أننى قد أكون أرملة " .

هز رأسه بثقة .

" فى تلك الحالة ـ وإن لم يكن لديك ما تخشينه ـ ما كنت تجلسين الآن هنا لتعقدى اتفاقا معى "

ابتسمت فيرجينيا . ثم سألته فى نبرة من يعقد اتفاقا حدا : " وما ثمنك ؟ " .

" سأسلمك جميع الرسائل لقاء ألف من الجنيهات وهو مقابل ضئيل جدا كما ترين ، إلا أننى لا أميل إلى صفقات كهذه " .

قالت فيرجينيا بحسم : " ومن قال إنى سأدفع لك هذا المبلغ ؟ "

" سيدتى . إننى لا أقبل المساومة . لن تنالى هذه الرسائل إلا مقابل ألف جنيه " .

فكرت فيرجينيا مليا . ثم قالت : " عليك أن تترك لي فرصة حتى أفكر فى الأمر . فلن يكون من السهل على أن أجمع مثل هذا المبلغ " .

" ربما أعطيتنى الآن مبلغاً كدفعة مقدمة ـ خمسون جنيها مثلا ـ وسوف أتصل بك لاحقا " .

تطلعت فيرجينيا إلى ساعة الحائط . كانت الرابعة وخمس دقائق . وتخيلت أنها قد سمعت الجرس .

فقالت فى تعجل : " حسناً . عد إلىَّ فى الغد . ولكن فى ساعة متأخرة عن هذه . عند الساعة السادسة " .

توجهت صوب مكتب مجاور للحائط ، وفتحت أحد أدراجه . وأخرجت مجموعة غير مرتبة من الأوراق النقدية .

" هذه حوالى أربعين جنيها . سيكفيك هذا الآن " .

اختطف المال من يدها فى لهفة .

فقالت : " والآن انصرف فورا . إذا سمحت " .

غادر الغرفة فى سرعة استجابة لمطلبها . ومن خلال بابها المفتوح لمحت فيرجينيا جورج لوماكس بالردهة . وشيلفيرز يقوده للتو إلى أعلى . فنادته فيرجينيا مع انغلاق البوابة الأمامية للمنزل .

" تعال إلى هنا يا جورج . هلا أحضرت لنا الشاى من فضلك يا شيلفيرز ؟ " .

فتحت فيرجينيا النافذتين . ودلف جورج لوماكس إلى الغرفة ليجدها واقفةً ، وعيناها تتراقصان والريح تتلاعب بخصلات شعرها .

" سأغلقهما خلال دقيقة يا جورج ، لكننى شعرت بضرورة تهوية الغرفة . هل شاهدت ذلك المبتز فى الردهة ؟ " .

" لماذا ؟ " .

" المبتز يا جورج . م ب ت ز : مبتز . أى ذلك الذى يبتز الآخرين " .

" عزيزتى فيرجينيا . أنت تمزحين بالتأكيد ! " .

" لكننى جادة يا جورج " .

" ومن الذى يود ذلك الشخص ابتزازه ؟ " .

" أنا يا جورج " .

" وماذا فعلت إذا يا عزيزتى فيرجينيا ؟ " .

" هذه المرة لم أفعل شيئا . إلا أن هذا السيد الطيب يعتقد شخصاً آخر " .

" أعتقد أنك اتصلت بالشرطة ؟ " .

" كلا . لم أفعل . أرى أنك تعتقد أنه كان علىَّ القيام بذلك " .

فكر جورج فى الأمر ملياً وهو يقول : " لا ، لا ربما ـ ربما لم يكن عليك القيام بهذا ـ لقد تصرفت بحكمة فيما يبدو . فقد تتعرضين للقيل والقال لو انتشر الأمر . وربما ـ عليك تقديم الدليل على ـــــ " .

قاطعته قائلة : " بل كنت سأرتاح لهذا وكنت سأحب أن يتم استدعائى . وعندها كنت سأتعرف على أساس كل تلك النكات التى نقرؤها عن القضاة كم هذا مشوق ! لقد كنت فى شارع فاين أول أمس لأتعرف على دبوس من الألماس كنت قد فقدته . فقابلت مفتشا فى غاية اللطف ـ بل هو ألطف من التقيت من رجال " .

اعتاد جورج ألا يلتفت لما ليس له صلة بما يهتم به .

" ما الذى فعلته مع هذا النصاب ؟ "

" أخشى يا جورج . أكون قد سمحت له بأن يبتزني " .

" ماذا ؟ " .

" يبتزنى " .

كان تعبير الرعب المرتسم على وجه جورج حادا لدرجة أن فيرجينيا كانت تعض على شفتها السفلى .

" تقصدين ـ هذا إن كنت فهمت ما تقصدين ـ أنك لم تصححى له سوء فهمه ؟ " .

هزت فيرجينيا رأسها نافية . وهى ترمقه .

" يا إلهى . لابد أنك قد جننت يا فيرجينيا "

" أعتقد أن هذا هو ما يتراءى لك بالفعل "

" ولكن لماذا ؟ لماذا بحق الله ؟ " .

" لعدة أسباب . أولها . أنه كان يجيد القيام بعمله ـ أى ابتزازى ـ وأنا أكره أن أقطع على أى فنان إبداعه كما أنه لم يسبق أن ابتزنى أحد من قبل ـــــ " .

" هذا ما أتمناه بالفعل "

" ورغبت فى التعرف على إحساس من يتعرض للابتزاز "

" لقد يأست من أن افهمك يا فيرجينيا " .

" كنت أعلم أنك لن تفهمني " .

" أتمنى ألا تكونى قد أعطيته مالا " .

قالت فى اعتذار : " مبلغ بسيط " .

" كم ؟ "

" أربعون جنيها "

" فيرجينيا ! " .

" عزيزى جورج . إنه مبلغ أدفعه لقاء فستان سهرة ثم هو مثير أن يستطيع المرء شراء تجربة جديدة وكأنه يشترى رداء جديدا ـ هكذا الأمر فى الحقيقة " .

اكتفى جورج لوماكس بهز رأسه . بينما ظهر شيلفيرز فى تلك اللحظة ومعه صينية الشاى . فوفر عليه فرصة التعبير عما يعتريه من غضب . وعادت فيرجينيا للحديث فى الموضوع وهى تتعامل بأصابعها الماهرة مع براد الشاى الفضى الثقيل

" كما كان لدىّ دافع آخر يا جورج ـ دافع أذكى بكثير فنحن النساء شرسات مع بعضنا البعض . الا أنى قد أسديت لامرأة أخرى معروفا هذا المساء فلن يحب ذلك الرجل عن فيرجينيا ريفيل الأخرى فهو يعتقد أنه قد عثر على ضالته بالفعل . يا للشيطانة

الصغيرة المسكينة . فلقد كانت واقعة تحت تأثير رعب مذل وهى تكتب ذلك الخطاب . وكانت ستصبح أسهل مهمة يقوم بها هذا المبتز فى حياته . ومع أنه لا يعرف حقيقة الوضع . إلا أن عليه أن يواجه خيارا صعبا وبالنظر إلى ميزة أن تعيش حياة بريئة . سوف أتلاعب به وأحطم آماله ـ كما يقولون فى الكتب . المكر . يا جورج . الكثير من المكر " .

ظل جورج يهز رأسه رافضا وقال باصرار : " لا يعجبنى هذا لا يعجبنى هذا " .

" لا تشغل بالك يا جورج . فأنت لم تأت إلى هنا حتى نتحدث عن المبتزين . ما الذى جاء بك ؟ الإجابة الصحيحة : " حتى أراك ! " . مع التشديد على حرف الكاف . هذا ما لم تكن قد تناولت الكثير من الكعك بالزبد . وفى هذه الحالة يكفى لعينيك أن تجيبنى " .

فقال جورج بجدية : " لقد أتيت لأراك . وأنا سعيد لأنى وجدتك وحدك " .

" أوه . لقد فاجأتنى يا جورج " . قالتها وكأنها تزدرد الكشمش .

" كنت أود أن أطلب منك خدمة . فلطالما كنت أعتبرك . امرأة ذات سحر خاص يا فيرجينيا " .

" أوه . جورج ! " .

" كما أنك ذات ذكاء ! " .

" حقا ؟ وكيف كان لذلك الرجل أن يعرفنى ؟ " .

" عزيزتى فيرجينيا . هناك شاب سيصل إلى إنجلترا فى الغد . وأود أن تلتقيه " .

حسنا يا جورج . ولكن لابد أن يكون من الواضح أن هذا الأمر يخصك وحدك " .

" وأنا متيقن من أنك قادرة على استغلال سحرك الخاص "

مالت فيرجينيا رأسها قليلا إلى الجانب .

" عزيزى جورج . تعلم أننى لا أمتهن السحر . فغالبا ما أميل إلى البعض ـ وبعدها . . يعيلون هم إلى . لكننى لا أخيل قدرتى على اصطناع إعجابى بغريب لا حيلة له . مثل هذه الأمور لا تتم يا جورج . لا تتم مطلقا . هناك من المحترفات من يمكنهن أداء هذا الدور بصورة أفضل منى بكثير " .

" لا تفكير فى هذا الموضوع إطلاقا يا فيرجينيا . بالمناسبة . فإن هذا الشاب كندى يدعى ماكجراث ـ "

قالت فى استنتاج ذكى : " كندى ذو أصول سكتلندية "

" قد يكون غير معتاد على التعامل مع أرقى طبقات المجتمع الإنجليزى . أحبه أن يقدر سحر وتميز سيدة انجليزية حقيقية "

" تقصدنى أنا ؟ " .

" بالضبط " .

" لماذا ؟ " .

" معذرة ؟ "

" قلت لماذا ؟ أنت لا تقدم سيدة إنجليزية حقيقية لتتعرف على كل كندى ضال يضع قدمه على سواحلنا ما الذى ترمى إليه يا جورج ؟ ولتكن صرحاء . ما الذى سيعود عليك من كل هذا ؟ " .

" لا أرى أن هذا يهمك فى شىء يا فيرجينيا "

" لا يمكن أن أخرج لمثل تلك الأمسية ما لم أعرف الأسباب والأهداف "

" أسلوب غريب جدا فيرجينيا فأى شخص سيعتقد أن ـــــ "

" أليس كذلك ؟ هيا يا جورج ، لابد أن تمدنى بالقليل من المعلومات " .

" عزيزتى فيرجينيا ، إن الأمور متوترة قليلا فى إحدى دول أوروبا الوسطى . ومن المهم ـ ولأسباب غير ذات صلة بموضوعنا ـ أن يتم تعريف هذا الـ ـــ السيد ماكجراث بأن إعادة النظام الملكى فى هيرتزوسلوفاكيا أمر حتمى للحفاظ على السلام فى أرجاء أوروبا " .

ردت فيرجينيا بهدوء : " إن ذلك الحديث عن السلام فى أوروبا ليس سوى هراء . ولكننى أؤيد الأنظمة الملكية فى أى مكان وزمان ، وخاصة لشعب رائع كالشعب الهيرتزوسلوفاكى إذا فأنت تعمل على تنصيب ملك هناك . أليس كذلك ؟ قل لى من هو ؟ "

تردد جورج فى الرد ، إلا أنه لم يجد سبيلا لتفادى الإجابة عن السؤال . لم تكن المقابلة تجرى كما خطط له . لقد كان يأمل فى أن تكون فيرجينيا أداة طيعة فى يده ، وأن تكون ممتنة لتلميحاته ، وألا تطرح أسئلة محرجة . إلا أنه وجد أن الحال ليس كذلك . فقد بدت مصممة على معرفة كل شىء بينما كان جورج ـ الذى طالما كان متشككا فى قدرته على تقدير النساء ـ مصمما على أن أى هذا مهما كلفه الأمر . لقد ارتكب خطأ . فلم تكن فيرجينيا هى المرأة المناسبة للقيام بهذا الدور . وقد تتسبب فى الكثير من المشاكل . كما أن حكايتها عن مقابلتها مع ماكجراث جعله يتخوّف بشكل كبير . فهى مخلوقة لا يمكن الاعتماد عليها ، ولا تأخذ الأمور الحساسة بأى قدر من الجدية .

رد جورج على فيرجينيا التى كان من الواضح أنها تنتظر منه ردا على سؤالها . " الأمير مايكل أوبولوفيتش . أرجو ألا يعرف أحد بهذا "

" لا تعبث بى يا جورج . إن الصحف لا تتوقف عن التلميحات حول هذا الموضوع . والمقالات التى تستكشف حياة عائلة أوبولوفيتش . وتتحدث عن الراحل نيكولاس الرابع وكأنه قديس وبطل وليس مجرد قزم غبى وقع فى حب ممثلة درجة ثالثة سلبته عقله " .

حينئذ أجفل جورج . فلقد كان مقتنعا إلى أقصى حد الآن بأنه قد أخطأ فى طلب مساعدة فيرجينيا . وعليه أن يعيد سيطرته على الموقف

فقال فى عجالة وهو ينهض ليودعها " معك حق يا عزيزتى فيرجينيا . ما كان علىّ أن أعرض عليك هذا الاقتراح . لكننا متلهفون لأن ترى دول الكومنولث المستقله معنا أزمة هيرتزوسلوفاكيا هذه عيننا لعين . وأعتقد أن ماكجراث قد أثر فى الدوائر الصحفيه وفكرت ـ بالنظر إلى ميلك للملكية ومعرفتك بتلك البلاد ـ أن من المناسب أن تلتقيه " .

" هذا هو السبب إذا ؟ "

" بلى . ولكن بوسعى القول إنك لم تكونى تهتمين به "

فرمقته فيرجينيا لثانية ثم ضحكت

" يا لك من كذاب قذر يا جورج ! "

" فيرجينيا ! "

" قذر . قذر بالفعل ! لو كنت تلقيت ما تلقيته أنت من تدريبات . لكان بمقدورى ان آتى بحيلة أفضل من هذه ـ حيلة يمكن أن تنطلى على أحد ولكننى سأعرف كل شىء عن هذا بنفسى أيها المسكين . تأكد من هذا لغز السيد ماكجراث . ولن أتعجب إذا ما سمعت بأخبار وأنا فى " تشيمنيز " خلال عطلة هذا الأسبوع " .

" فى تشيمنيز ؟ هل أنت ذاهبة إلى تشيمنيز ؟ " .

لم يستطع جورج أن يخفى قلقه . فقد كان يأمل فى ـ يصل إلى اللورد كاترهام فى الوقت المناسب حتى لا ـيع أمر تلك الدعوة

" لقد هاتفتنى بندل وودعتنى هذا الصباح "

وراهن جورج على محاولة أخيرة .

قال : " إنه حفل ممل جدا . فيما أرى . ومن الصعب يكون متوافقا مع طبيعتك يا فيرجينيا "

" أيها المسكين . ما الذى يمنعك من أن تصارحنى ـق بى ؟ فلم يفت الأوان بعد "

تناول جورج يدها ثم تركها فى وهن

قال فى برود ومن دون خجل " لقد أخبرتك ـحقيقة " .

فرفقته فيرجينيا قائلة " هذه الحيلة أفضل . الا ـ ليست الأفضل بعد عليك أن تبتهج يا جورج . ـوف أكون فى تشيمنيز . مستغلة كل سحرى ـ حسبما ـت . لقد صارت الحياة فجاة مبعثا للعجب ففى ـاية يأتينى مبتز . ثم جورج الذى يواجه مصاعب ـوماسية . فهل سيصارح هذه المرأة الجميلة التى تبغى ـ بشكل مثير للشفقة ؟ كلا . فلن يكشف عن أى شىء حى الفصل الأخير . وداعا يا جورج . ألا من نظرة شغف حيرة منك قبل أن تذهب ؟ كلا ؟ عزيزى جورج . لا ـل عبوسا هكذا ! " .

هرولت فيرجينيا نحو الهاتف عندما خرج جورج بخطوات متثاقلة نحو البوابة الأمامية .

تحصلت على الرقم الذى طلبته وطلبت محادثة الليدى " إيلين برينت " .

" هل هذا أنت يا بندل ؟ سوف آتى إلى تشيمنيز فى الغد ماذا ؟ سيضايقوننى كلا . لن يحدث لن تنجح تلك الجياد البرية فى إبعادى يا بندل ! أراك هناك إذا ؟ " .

الفصل ٧

السيد ماكجراث يرفض دعوة

لقد اختفت الرسائل !

لم يكن أمامه سوى أن يتقبل حقيقة اختفائها . أدرك أنطونى جيدا أنه ليس بوسعه أن يطارد جوزيبى عبر شوارع فندق " بليتز " فهذا كفيل بلفت الأنظار . كما أنه سيزيد من صعوبة اللحاق به من الأصل .

ستنتج أن جوزيبى قد أخطأ الظن بحزمة الرسائل ، التى كانت موجودة وسط اللفافات الأخرى . واعتقد أنها المذكرات . لذا فمن المحتمل أن يحاول بعد أن يكتشف خطأه الرجوع لنيل المذكرات . وهو الاحتمال الذى قرر أنطونى أن يكون مستعدا له تمام الاستعداد .

أما الخطة الأخرى التى خطرت بباله فهى أن ينشر إعلانا باسم مجهول يطلب فيه إعادة مجموعة الرسائل . بافتراض أن جوزيبى مبعوث منظمة رفاق اليد الحمراء هذه . أو أنه ـ تابع لحزب الموالين ـ وهو الاحتمال الأقرب فى نظر أنطونى . فإن هذه الرسائل لن تكون ذات

أهمية لأى منهما ، وربما يقرر أن يستفيد ببعض المال لقاء إعادة تلك الرسائل .

بعد أن قلب كل هذه الاحتمالات فى عقله ، عاد أنطونى إلى فراشه ليغرق فى نوم عميق حتى الصباح . فهو لم يتخيل أن جوزيبى سيكون متلهفاً لمواجهة ثانية تلك الليلة .

وحينما نهض أنطونى كانت الخطة قد اكتملت فى عقله . فتناول إفطاره بشهية مفتوحة ، وهو ينظر فى الصحف التى كانت تعج بأنباء الاكتشافات النفطية الجديدة فى هيرتزوسلوفاكيا ، وبعدها طلب مقابلة المدير . ولأنه أنطونى كيد الذى وهب مهارة التصميم على أن ينال كل ما يريد ، فقد تمت الموافقة على طلبه .

استقبله المدير ـ وهو فرنسى ذو أسلوب رفيع التهذيب ـ فى مكتبه الخاص .

" علمت أنك ترغب فى لقائى . سيد ـ ماكجراث ؟ ".

" بالفعل . لقد وصلت إلى فندقكم بعد ظهر الأمس وتناولت العشاء الذى قدمتموه لى فى جناحى على يد نادل اسمه جوزيبى " .

ثم صمت .

فقال موافقاً فى لامبالاة : " بوسعى القول إن لدينا نادلا بهذا الاسم " .

" لقد لاحظت شيئا غير طبيعى فى تصرفات ذلك الرجل . إلا أننى لم ألق لهذا بالا وقتها . وفيما بعد .

خلال الليل ، استيقظت على صوت حركة أحد الأشخاص داخل غرفتى . أنرت المصباح ، لأجد أنه جوزيبى ووجدته يعبث فى محتويات حقيبتى الجلدية ".

هنا تلاشت كل اللامبالاة التى كانت ترتسم على وجه المدير .

وصاح فى تعجب : " لكننى لم أسمع شيئاً عن هذا . لم يتم إبلاغى وقتها ؟ " .

" تعاركت مع الرجل لدقائق ـ وبالمناسبة ، فقد كان مسلحا بسكين . ونجح فى نهاية المطاف فى أن يهرب من النافذة " .

وما الذى فعلته عندئذٍ يا سيد ماكجراث ؟ " .

" قمت بفحص محتويات الحقيبة " .

وهل سرق منك شيئا ؟ " .

جاوبه أنطونى ببطء : " لا شيء ـ ذا أهمية "

عندها رجع المدير بظهره إلى الوراء وهو يتنهد فى ارتياح . ثم قال معلقا : " كم يسعدنى هذا . ولكن اسمح لى ـ سيد ماكجراث ، فأنا لم أفهم تماما طريقة تعاملك مع هذا الموقف . فأنت لم تحاول أن تنبه أحداً بالفندق ؟ حتى أن تطارد اللص ؟ " .

هز أنطونى كتفيه .

" إنه لم يسرق شيئاً ذا قيمة . كما أخبرتك . ولكننى على بالطبع أن هذه المسألة تخص الشرطة بـ ـــــ " .

صمت بغتة . وتمتم المدير بكلمات خلت من أية حماسة :

" الشرطة ـ بالطبع ـــ "

" على أية حال . لقد كنت متيقنا من أن الرجل سينجح فى تأمين فراره . ولم أجد داعيا لإزعاج الشرطة . خاصة أنه لم يسرق شيئا ذا بال " .

تبسم المدير قليلا

" أرى أنك تدرك . أننى لست متلهفا لاستدعاء الشرطة . فهو أمر مأساوى من وجهة نظرى . فلو علمت الصحف بأى خبر له صلة بفندق كبير له سمعته مثل هذا الفندق ، فإنها تعمل على تضخيمه بصورة مبالغ فيها . مهما كانت تفاهة ما حدث "

وافقه أنطونى قائلا : " بالفعل . وأنا الآن أخبرك بأننى لم أفقد شيئا مهما . وهو الأمر الصحيح نوعا ما فذلك الشيء لا يمثل قيمة لدى اللص . إلا أنه يمثل لى أن قيمة كبيرة " .

" ها ؟ " .

" إنها خطابات تفهمنى بالتأكيد " .

وانطبع على وجهه تعبير فائق ينم عن الحذر والتعقل . لا يستطيعه سوى فرنسى

تمتم قائلا : " إننى أفهم هذا . إلا أن هذه ليست بالمسألة التى تخص الشرطة " .

نحن متفقان بالفعل حول هذه النقطة . ولكنك تفهم ى عزم على استعادة هذه الرسائل . فلقد اعتاد أهالى ـــ لجزء من العالم الذى أتيت منه أن ينجزوا أمورهم ـــبهم إلا أن ما أطلبه منك هو أن تمدنى بجميع علومات الممكنة حول ذلك النادل . جوزيبى "

ف المدير بعد صمت للحظات : " لا اعتراض لى على ـ ولكن ليس بوسعى بالطبع أن أمنحك المعلومات جلا . ولو عدت بعد نصف ساعة ستكون المعلومات حاضرة لدى فأمنحك إياها "

شكرك كثيرا . فهذا يناسبني" .

فى غضون نصف ساعة كان أنطونى قد عاد لمكتب ـير . ليجده قد وفى بوعده له . ودونَّ سريعا على ـصة ورقية كل ما يتعلق بالمدعو جوزيبى مانيللى .

كما ترى ، لقد أتانا منذ ثلاثة أشهر . وهو نادل ـهر ذو خبرة . وقد كان يقوم بعمله بشكل جيد ومرض . هو مقيم فى إنجلترا منذ خمس سنوات " .

نظر الرجلان فى قائمة الفنادق والمطاعم التى عمل بها يطالى . وجد أنطونى فيها ما أثار اهتمامه فقد وقعت حادثتا سرقة كبيرتان فى فندقين من بين الفنادق خلال رة عمل جوزيبى بهما . إلا أنه لم يكن موضع اتهام فى ـ القضيتين إلا أن الأمر يستحق الانتباه إليه على أية حال

فهل جوزيبى هذا مجرد لص فنادق ماهر ليس إلا ؟ وهل كان بحثه فى حقيبة انطونى مجرد جزء من صنعته كلص ؟ كان بوسعه أن ينال رزمة الرسائل فى اللحظة التى أضاء فيها أنطونى المصباح . ويضعها سريعا فى جيبه بصورة آلية حتى تفرغ يداه لبحث جديد . وفى تلك الحالة . فإن ما فعله لن يعدو كونه مجرد سرقة عادية .

ولكن هذا لا يتسق مع ما بدا على الرجل من اهتمام وتلهف حينما لمح تلك الأوراق على الطاولة فلم تكن هناك أية نقود أو أشياء ثمينة حتى تستثير لديه غريزة السرقة .

كلا . لقد شعر أنطونى باقتناع بأن جوزيبى أداة لجهة خارجية . ومع المعلومات التى تلقاها من المدير . قد يكون هناك إمكانية لمعرفة شىء عن حياة جوزيبى الخاصة وبالتالى تتاح الفرصة لتعقبه والعثور عليه . وهكذا أمسك بالقصاصة الورقية ونهض .

" إننى لا أعرف كيف أشكرك لكننى لا أرى ضرورة ملحة لأن أسألك الآن عما إذا كان جوزيبى لا يزال عاملا بالفندق ؟ " .

ابتسم المدير .

" إنه لم ينم فى فراشه . كما ترك جميع متعلقاته هنا . فلابد أنه قد هرع إلى الخارج بعد مهاجمته إياك ولا أعتقد أننا سنراه من جديد "

" هكذا أرى حسنا ، أشكرك شكرا جزيلا . سامكث بالفندق فى الوقت الحاضر " .

" أملى أن تنجح فيما اعتزمت عليه ، رغم شكى فى هذا " .

" لطالما كنت متفائلا " .

كان أول ما انتوى أنطونى القيام به أن يسأل الندل الآخرين ممن تعاملوا مع جوزيبى . إلا أنه لم يتحصل منهم إلا على القليل . بعد ذلك كتب إعلانا حسب الخطة التى قرر ان يتبعها . وأرسله إلى خمس من كبريات الصحف وكان يهم بالخروج للمرور على المطعم الذى كان جوزيبى يعمل به فى السابق حينما رن جرس الهاتف . فرفع أنطونى سماعته .

" مرحبا . من يتحدث ؟ " .

رد عليه صوت ذو نبرة غير مميزة .

" هلا تحدثت مع السيد ماكجراث ؟ "

" معك . من أنت ؟ "

" معك السيدان بالدرسون وهودجكينز . لحظة من فضلك . سأوصلك بالسيد بالدرسون " .

فكر أنطونى : " ها نحن مع الناشرين الوجهاء أرى أن القلق قد بدأ ينتابهم أيضا ، أليس كذلك ؟ ولكن ما الذى يدعوهم لهذا فلا يزال هناك أسبوع قبل الموعد " .

باغته صوت حماسى عبر سماعة الهاتف .

" مرحبا ! هل أنت السيد ماكجراث ؟ " .

" نعم "

" أنا السيد بالدرسون من دار نشر بالدرسون وهودجكينز . ماذا عن ذلك المخطوط يا سيد ماكجراث ؟ " .

قال أنطونى : " ماذا عنه ؟ "

" أريد أن أعرف كل شيء عنه . فلقد علمت يا سيد ماكجراث أنك قد وصلت للتو إلى هذه البلاد قادما من جنوب أفريقيا . وبالتالى فقد لا يمكنك أن تفهم طبيعة الموقف . فهناك مشاكل تتعلق بذلك المخطوط . بل مشاكل كبرى . حتى إننى أتمنى أحيانا لو أننا لم نطلب أن ننشره " .

" هل أنت جاد ؟ " .

" أؤكد لك هذا . وأنا متلهف فى الوقت الحالى إلى أن أحوزه خلال أسرع وقت ممكن . حتى نستطيع أن نصنع منه نسختين . فإذا حدث وتم تدمير الأصل . فعندها لن يحيق بنا اى ضرر " .

قال أنطونى . " يا إلهى ! "

" أعلم أن هذا قد يبدو عبثا بالنسبة لك يا سيد ماكجراث . إلا أننى أؤكد لك أنك لا تقدر الموقف . فهناك جهود دءوبة قائمة على قدم وساق لأجل ألا يصل هذا المخطوط إلينا . وأصارحك القول وبلا مبالغة إنك لو

حاولت أن تحضرها بنفسك فإن احتمال أن تنجح فى وصول إلى هنا لن يزيد على واحد إلى عشرة " .

قال أنطونى . " أشك فى هذا . فأنا حينما أنتوى وصول إلى مقصدى . فلا شيء يمكن أن يمنعنى عن ذ "

" إنك تواجه جماعة من أخطر البشر . وأنا نفسى لم أصدق هذا منذ شهر مضى . وأود أن أعرفك يا سيد ماكجراث أنهم قد عرضوا علينا رشوة . ثم هددونا وبعدها حاولونا من قبل جماعة بعد أخرى حتى صرنا لا ندرى من حرنا شيئا . فأقترح عليك ألا تحاول أن تأتى بالمخطوط إلى هـ وسوف يأتيك أحد موظفينا إلى الفندق لتسلمه مخطوط "

فسأله أنطونى : " ولو فرضنا أن تلك العصابة قد وصلت إليه ؟ "

" عندها ستكون مسئوليتنا نحن ـ وليست مسئوليتك سوف تسلمها لممثلنا وتتحصل على إخلاء طرف مكتوب ـ الشيك بقيمة . . آه . . . الألف جنيه ، والذى طلب نا تسليمه لك فلن يكون متاحا حتى الأربعاء القادم وفقا شروط اتفاقنا مع القائمين على وصية مؤلفها الراحل عرف بالطبع من أقصده . ولكن لو كنت مصرا على تسلم شيك الآن . فسوف أرسل إليك شيكا باسمى مع مبعوثى "

فكر أنطونى للحظات . فقد كان ينوى الاحتفاظ بالمذكرات حتى آخر يوم فى المهلة . حيث كان متلهفا لأن يتبين بنفسه سبب كل هذه الضجة . إلا أنه أدرك مدى قوة حجج الناشر

قال فى تنهيدة خفيفة : " حسنا . لك هذا . ابعث إلى برسولك . وأنا أرغب فى الحصول على الشيك الآن هذا إذا لم يكن لديك مانع . فقد أسافر خارج إنجلترا قبل الأربعاء القادم "

" بالتأكيد يا سيد ماكجراث . سيصلك مندوبنا صباح الغد . وسيكون من الحكمة ألا نرسل أحدا من مكتبنا مباشرة . لذا فإن من سنرسله واسمه السيد هولمز يعيش فى جنوب لندن . وسيمر بك وهو فى طريقه إلينا . وسيعطيك ايصالا بالاستلام . وأقترح عليك أن تقوم الليلة بوضع مجموعة زائفة فى خزانة المدير . فسيعرف أعداؤك بهذا . وهو ما سيحميك من أى اقتحام لجناحك ليلا " .

" حسنا . سأفعل هذا " .

وأغلق أنطونى الخط وهو غارق فى أفكاره .

بعد ذلك قرر أن يواصل خطته الرامية إلى تتبع أخبار جوزيبى الهارب . على أنه لم يخرج بشيء . فقد كان جوزيبى يعمل بالمطعم فعلا . إلا أن أحدا لا يعلم شيئا عن حياته الخاصة أو عن معارفه .

تمتم أنطونى فى سخط : " لكننى سأنال منك . أيها الشاب . سأنال منك . إنها مجرد مسألة وقت " .

ومرت ليلته الثانية فى لندن بسلام تام

وفى التاسعة من الصباح التالى . وصلته فى غرفته رسالة السيد هولمز الممثل لشركة بالدرسون وهودجكينز . وبعد سرعان ما صعد إليه فى غرفته . كان رجلا ضئيل الجسم ، وسيما ، هادىء الطباع . سلمه أنطونى المخطوط . وتلقى مقابله شيكا قيمته ألف جنيه . وضع السيد هولمز المخطوط فى حقيبة صغيرة بنية اللون كان يحملها ، وتمنى لأنطونى صباحا طيباً ، ثم انصرف . جرى كل هذا فى سلاسة شديدة .

تمتم أنطونى بصوت عال . وهو يحدق فى شرود عبر النافذة : " ولكن ربما قتله أحدهم وهو فى طريقه إلى هناك . هذا ما يشغل بالى الآن - وبشدة " .

وضع أنطونى الشيك داخل مظروف . ومعه رسالة قصيرة . ثم أغلق المظروف بعناية . وهكذا قدم له جيمى - الذى كان يمر بضائقة مالية نوعا ما وقت أن التقى أنطونى فى بولاوايو - مبلغا لا يستهان به من المال ، حتى وإن كان لا يستطيع الاستفادة منه عمليا فى هذه اللحظة .

قال أنطونى لنفسه " ها قد انتهينا من إحدى مهمتين . وتبقى الثانية . ومع أنى قد أفسدت الأمر إلى الآن . لكننى لن أستسلم . أعتقد أن على التوجه - بشيء من التنكر المناسب لأخفى شخصيتى - إلى ٤٨٧ شارع بونت " .

جمع أنطونى أغراضه . ثم هبط الدرج وسدد حسابه . وأمر بوضع حقيبته داخل إحدى سيارات الأجرة . ودفع بقشيشا مناسبا لكل من قابله ، على الرغم من أن أغلبهم لم يقم بشيء ذى بال ، وكان على وشك أن يغادر داخل السيارة . حينما هرع إليه صبى صغير يهبط الدرج بسرعة وفى يده خطاب .

" لقد أتاك للتو يا سيدى "

أعطى أنطونى الصبى شلنا وهو يتنهد . وفتح الخطاب بينما انطلقت السيارة به وهى تزمجر بشدة مع صوت قعقعة يأتى من علبة التروس

كان محتوى الخطاب مثيرا للفضول . حتى إنه اضطر لقراءته أربع مرات قبل أن يفهم فحواه . كان مكتوبا بالإنجليزية الفصحى (وخاصة بذلك الأسلوب المستخدم فى المكاتبات الحكومية) ويفترض كاتبه أن السيد ماكجراث كان سيصل إلى إنجلترا قادما من جنوب أفريقيا اليوم ـ الخميس . مع إشارة مبهمة إلى مذكرات الكونت ستيلبتيتش . وطلب من السيد ماكجراث ألا يقدم على أية خطوة قبل أن يلتقى السيد جورج لوماكس لحوار سرى وخاص . ومع أطراف أخرى معينة لم تتم الإشارة إليها سوى بالتلميح . كما حوى دعوة شخصية للذهاب إلى تشيمنيز كضيف على اللورد كاترهام . يوم الجمعة القادم

يا لها من رسالة مبهمة غامضة ! لقد استمتع بها أنطونى كثيرا .

تمتم أنطونى فى شغف " يالإنجلترا العزيزة . متأخرة عن موعدها بيومين . كالمعتاد . إلا أن ما يؤسفنى هو أننى لن أستطيع الذهاب إلى تشيمنيز بشخصية مزيفة . لكننى أتساءل عما إذا كان من الممكن النزول فى أحد المقاهى ؟ فبوسع السيد أنطونى كيد أن يمكث فى مخبئه من دون أن يعلم بأمره أحد " .

ارتكن أنطونى إلى نافذة السيارة . وأمر السائق بأن يغير وجهته إلى وجهة أخرى . فأجابه السائق بما بدا أنه تعبير احتقار .

توقفت السيارة عند واحد من نُزل لندن الغامضة . ولكنه دفع أجرة تتناسب مع ذلك المشوار الطويل .

حجز أنطونى غرفة باسمه . ثم توجه إلى حجرة مكتب خاوية . وأخرج ورقة من مفكرة مطبوع عليها شعار فندق بليتز . وأخذ يكتب عليها بسرعة

وضح أنطونى فيما كتبه أنه قد وصل يوم الثلاثاء السابق . وأنه قد سلم المخطوطات إلى دار نشر بالدرسون وهودجكينز . وأنه آسف لاضطراره إلى الاعتذار عن عدم قبول دعوة اللورد كاترهام الكريمة . حيث إنه سيغادر لندن من فوره . ووقع الرسالة " المخلص ، جيمس ماكجراث " .

قال أنطونى لنفسه وهو يثبت الطابع على المظروف " والآن بدأنا الجد فليخرج جيمس ساكجراث من الصورة . ليدخل أنطونى كيد " .

الفصل ٨

قتيل

فى نفس تلك الظهيرة من يوم الخميس كانت فيرجينيا ريفيل تمارس التنس فى رانيلاف . وفى طريق عودتها إلى شارع بونت . وبينما هى مسترخية داخل تلك السيموزين الفارهة . كانت ترتسم على شفتيها ابتسامة خفيفة بينما تردد ما ستقوله خلال المقابلة القادمة حتى تحفظه . كان هناك احتمال وارد ألا يظهر ذلك المبتز ثانية . إلا أنها شعرت بيقين بأنه سيأتى . فقد أجادت دور الفريسة السهلة . ولكن ربما سيكون هناك بانتظاره مفاجأة !

ولما توقفت السيارة عند المنزل . التفتت لتتحدث إلى السائق قبل أن تصعد الدرج .

" كيف حال زوجتك يا والتون ؟ فلقد نسيت أن أسالك عنها "

" إن حالها أفضل يا سيدتى . وقد قال لى الطبيب بأنه سيأتى ليراها عند السادسة والنصف . هل ستحتاجين السيارة مرة أخرى ؟ " .

صمتت فيرجينيا لدقيقة تفكر .

" لن أكون بالمنزل خلال عطلة نهاية الأسبوع سوف أسافر فى قطار السادسة وأربعين دقيقة من بادينجتون ، ولكننى لن أحتاجك ثانية . وسأستقل سيارة أجرة . فأفضل أن تكون مع الطبيب . ولو رأى أن من الأفضل لزوجتك أن تخرج من المنزل خلال عطلة نهاية الأسبوع . فأنصحك بأن تسافر بها إلى أى مكان يـ والتون . وسوف أتحمل أنا المصاريف "

وقطعت على الرجل تشكراته بإيماءة متعجلة من رأسها . وهى تصعد الدرج فى سرعة . باحثة فى حقيبتها عن مفتاح المنزل ، حينما تذكرت أنه ليس معها ، فأخذت تقرع الجرس فى عجالة .

لم يجبها أحد على الفور . وبينما وقفت تنتظر كان هناك شاب يصعد الدرج من خلفها . كان يرتدى ملابس رثة ، ويحمل فى يده رزمة من المنشورات الإعلانية . مد يده بواحدة منها إلى فيرجينيا . كانت هناك عبارة ظاهرة مطبوعة عليها : " لماذا خدمت بلادى ؟ " . وكان يحمل فى يسراه صندوقا للتبرعات .

قالت له فيرجينيا فى رجاء : " لا يمكننى ان ابتاع شيئا من هذه القصائد الملة فى يوم واحد . فلقد ابتعت واحدة هذا الصباح . إلا أننى أقدر بالفعل هذه الموهبة " .

انطلق الشاب يضحك بغتة . فضحكت فيرجينيا معه . وأخذت تتأمله فى استهانة ، ورأت فيه شيئا ألطف من سابقيه من عاطلى لندن . أعجبها فيه وجهه الأسمر . الذى ارتسمت عليه بعض ملامح قساوة الحياة . حتى أنها تمنت لو استطاعت أن تجد له عملا

عندها انفتح الباب ، ونسيت فيرجينيا كل شيء عن مشكلة بطالة هذا الشاب . فقد كانت مندهشة من أن التى فتحت لها الباب كانت خادمتها إيليس

سألتها بلهجة آمرة حادة ، وهى تدلف إلى البهو : " أين شيليفرز ؟ " .

" لكنه قد ذهب مع الآخرين يا سيدتى " .

" أى آخرين ؟ وإلى أين ذهب ؟ " .

" إلى داتشيت يا سيدتى ـ إلى الكوخ . كما أمرته برقية التى أرسلتها إليه " .

سألتها فيرجينيا فى دهشة : " برقية أرسلتها أنا ؟ " .

" ألم ترسلى برقية يا سيدتى ؟ من المؤكد ألا خطأ فى ذلك فلقد جاءت قبل ساعة من الآن "

" أنا لم أرسل أية برقية . ما الذى حوته تلك البرقية ؟ "

" أعتقد أنها لا تزال فوق المنضدة " .

هرعت إيليس نحو المنضدة . وعادت وهى تحمل لسيدتها فى زهو .

" ها هى ، يا سيدتى " .

كانت البرقية موجهة إلى شيليفرز وتقول :

" أرجو أن تذهب بمتاع إلى الكوخ على الفور وتشرف على تجهيزات حفل اقيمه هناك خلال عطلة نهاية الأسبوع عليك أن تستقل قطار الساعة الخامسة وتسع وأربعين دقيقة "

لم يكن بالبرقية شىء غير عادى . فلم تكن سوى رسالة كثيرا ما أرسلت مثلها من قبل . حينما يخطر لها أن تنظم حفلا فى بيتها الذى يقع على ضفاف النهر كانت دائما تأخذ كل المتاع إلى هناك . وتترك مهمة الإشراف عليها لامرأة عجوز لم يكن شيليفرز ليلحظ أى شىء غير طبيعى فى هذه الرسالة . وينفذ الأوامر بأمانة كأى خادم مطيع .

شرحت لها إيليس . " أما أنا فمكثت . حيث أعلم أنك سترغبين فى أن أعد الحقائب " .

صاحت فيرجينيا فيها ، وهى تلوح بالبرقية فى غضب : " إنها خدعة سخيفة . وأنت تعرفين جيدا . يا إيليس . أننى مسافرة إلى تشيمنيز . فلقد أخبرتك بهذا صباحا " .

" لقد اعتقدت يا سيدتى أنك قد غيرت رأيك . وهو ما يحدث أحيانا . أليس كذلك ؟ "

قرت فيرجينيا بهذه الحقيقة بابتسامة خفيفة . فقد كان عقلها منشغلا بالبحث عن سبب هذه الدعابة الغريبة . إلا أن إيليس تطوعت باقتراح .

فقد شبكت يديها وهى تصيح : " يا إلهى ! لابد أنهم هم المحتالون ، اللصوص ! لقد أرسلوا البرقية المزيفة حتى يخرجوا كل قاطنى هذا المنزل . ومن ثم يتسنى لهم سرقته "

هزت فيرجينيا فى شك . " اعتقد أن هذا احتمال ضعيف " .

" أجل يا سيدتى . لا شك فى هذا . فكلنا نقرأ فى الصحف كل يوم حوادث من هذا القبيل . عليك أن تبلغى الشرطة على الفور ـ على الفور ـ قبل أن يصلوا ويقضوا علينا " .

" لا تدعى الحماس يأخذك يا إيليس . إنهم لن يأتوا ويقتلونا فى الساعة السادسة مساء " .

" أرجوك يا سيدتى . دعينى أذهب لأحضر شرطيا من الخارج الآن ، وعلى الفور "

" ما الداعى إلى هذا بحق السماء ؟ تعقلى يا إيليس واستعدى لتعدى حقائبى للسفر إلى تشيمنيز إن لم تكونى قد فعلت هذا بالفعل . وأعدى فستان السهرة الجديد .

والكريب ماروكين الأبيض ، وكذلك رداء القطيفة الأسود ـ فهو ذو طابع سياسى رسمى ، أليس كذلك ؟ " .

" سيدتى تبدو فى أبهى صورها حينما ترتدى الرد الحريرى الأزرق " . هكذا اقترحت عليها إيليس ، بغريزتها المهنية الواثقة .

" كلا ، لن آخذه معى . تعجلى يا إيليس ، هيا أيتها المطيعة . فليس لدينا متسع من الوقت . ولسوف أرسل برقية إلى شيليفرز فى داتشيت . وسأتحدث إلى الشرطة ونحن فى طريقنا ونطلب منهم أن يحرسوا المكان . لا تقلبى عينيك ثانية يا إيليس ـ فلو أصابك الجزع من قبل حتى أن يحدث أى شىء . فماذا ستفعلين إذن لو أن هناك من خرج من ركن خفى ليغرس سكينه فى جسدك ؟ " .

ارتعش جسد إيليس ، وهى تهرع صاعدة الدرج إلى الطابق العلوى ، ملقية بنظرات متوجسة من وراء كتفيها بين لحظة وأخرى .

سخرت فيرجينيا منها وهى تراها على هذه الحال . ثم عبرت البهو نحو غرفة المكتب الصغيرة حيث يقبع الهاتف . لقد كان اقتراح إيليس عليها أن تهاتف الشرطة اقتراحاً وجيهاً . لذا انتوت أن تنفذه دون تأخير .

فتحت فيرجينيا باب المكتب وتوجهت صوب الهاتف . إلا أنها توقفت ويدها على السماعة . فقد كان هناك رجل يجلس فى المقعد الكبير ، وقد نام ململم

جسده فى وضعية مثيرة للفضول . فلقد نسيت وسط كل هذا التوتر أمر الزائر الذى كانت تتوقع مجيئه . ومن الواضح أنه قد نام أثناء انتظاره لها .

اقتربت فيرجينيا من المقعد ، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة قليلا . إلا أن الابتسامة سرعان ما اختفت .

فلم يكن الرجل نائما . . . بل *كان قتيلاً* .

أدركت هذا على الفور بغريزتها ومن قبل حتى أن تقع عيناها على ذلك المسدس الصغير القابع لامعا فوق أرضية الغرفة . والثقب المحترق قليلا الذى استقر فوق قلبه مباشرة . والبقعة الدموية التى أحاطت به ، وفمه الذى بدا فى منظر مريع يشيب الرءوس .

تسمرت فيرجينيا فى مكانها ، وقد ثبتت يديها على صدرها . ووسط هذا السكون سمعت إيليس وهى تهبط الدرج فى سرعة .

" سيدتى ! سيدتى ! " .

" حسنا ، ماذا هناك ؟ " .

تحركت بسرعة نحو الباب . كان كل تركيزها منصبا على أن تخفى ما حدث عن إيليس ـ فى الوقت الحالى على الأقل . فمن السهل أن تصاب إيليس بانهيار عصبى من رؤية هذا المشهد ، كانت متيقنة من هذا ، وشعرت بمدى الحاجة إلى استعادة رباطة جأشها حتى تستطيع التفكير بشكل سليم ...

" سيدتى . أليس من الأفضل أن أغلق البوابة بالسلسلة ؟ فقد يأتى هؤلاء المجرمون فى أى وقت " .

" افعلى ما تشائين "

سمعت فيرجينيا صوت صلصلة السلسلة . ثم سمعت إيليس وهى تصعد الدرج ثانية بسرعة . وعندها تنهدت فى ارتياح

بعد ذلك نظرت إلى الرجل القابع فى المقعد ، ثم نظرت إلى الهاتف . فقد كانت قد اتخذت قرارها بأن تهاتف الشرطة على الفور .

إلا أنها لم تنفذ ما قررته بل وقفت فى مكانها صامتة . وقد شلها الرعب وكثير من الأفكار المتضاربة التى تتسارع فى عقلها . تلك البرقية الغامضة ! هل لها علاقة بهذا الذى أمامها ؟ وماذا لو كانت إيليس قد انصرفت ولم تمكث ؟ كانت ستدخل إلى هنا بنفسها ـ هذا بافتراض أن مفاتيحها معها كما اعتادت . وعندها كانت ستجد نفسها وحدها بالمنزل مع رجل قتيل ـ رجل سمحت له بأن يبتزها فى وقت سابق . كان لديها تفسير لما حدث بالطبع . إلا أن مجرد التفكير فى هذا التفسير لم يكن بالشيء الذى يرتاح إليه عقلها . لقد تذكرت الآن كم كان جورج مبهرا فى توصله إلى هذا التفسير . وهل كان غيره سيفكر نفس التفكير ؟ تلك الرسائل ـ إنها لم تكتبها بطبيعة الحال ، ولكن هل سيكون من السهل عليها أن تثبت هذا ؟

وضعت فيرجينيا يديها على جبهتها . وهى تعتصرهما بشدة

" علىَّ أن أفكر فى حل . لابد أن أفكر فى حل " .

من الذى سمح للرجل بالدخول ؟ من المؤكد أنها ليست هى . فلو كانت قد فعلت ذلك . فمن الطبيعى أنها كانت ستخبرها بذلك فور أن تراها . لقد كان الأمر برمته يبدو غموضا كلما أمعنت التفكير فيه . لم يكن أمامها سوى شيء واحد ـ أن تهاتف الشرطة .

مدت فيريجينيا يدها نحو سماعة الهاتف ، وفجأة تذكرت جورج . رجل ـ إنها بحاجة إلى رجل إلى جوارها ـ رجل متزن عملى التفكير . يتبين الأمر على حقيقته ـ يهتدى إلى أفضل سبيل للتصرف حياله .

لا أنها هزت رأسها فى رفض . ليس جورج . فأول ما سيفكر جورج فيه هو خشيته على وضعه ومنصبه . فهو لن يستطيع أن يتورط فى أمر كهذا . ليس جورج بالرجل المناسب إذا .

بعدها ارتاحت ملامح وجهها حينما ورد بيل إلى خاطرها ! وسرعان ما طلبته على الهاتف .

لا أنها علمت من المكالمة أنه قد سافر إلى تشيمنيز منذ نصف ساعة مضت .

صاحت وهى تعتصر سماعة الهاتف : " أوه . لا " . كان من المريع أن تبقى محبوسة هنا بصحبة جثة دون أحد تتحدث إليه .

فى تلك اللحظة رن جرس البوابة الأمامية

قفزت فيرجينيا . ثم رن جرس البوابة من جديد بعدها لحظات . كانت تدرى أن إيليس بالأعلى تعد الحقائب لن تسمع الجرس

فتوجهت فيرجينيا نحو البهو . وسحبت السلسلة عن الباب . وهى تفكه بعد أن أحكمت إيليس إغلاقه من لعها . ثم فتحت البوابة وهى تتنفس فى عمق . لتجد لك الشاب العاطل واقفا على عتبتها .

فغمرها ارتياح مفاجىء بعد كل هذا الشد العصبى

قالت له . " تعال أعتقد أننى قد وجدت له وضيفة "

قادته فيرجينيا إلى غرفة الطعام . وسحبت له كرسى . وجلست قبالته . وحدقت فيه بتيقظ

قالت " أرجو المعذرة . ولكن هل أنت ـ أقصد ـ "

بادرها الشاب . " إيتون من أكسفورد . أهذا ما أردت سؤالى عنه ؟ "

أقرت فيرجينيا قائلة : " شىء من هذا القبيل" .

" ليس هناك من معين لى فى هذه الحياة منذ ولدت وانا غير قادر على الانتظام فى أى عمل . أتمنى ألا يكون العمل الذى تعرضينه علىّ من هذا النوع "

بدت ابتسامة على وجهها للحظات .

" بل هو عمل لا صلة له بأى نظام " .

فقال الشاب بنبرة ارتياح : " هذا جيد " .

لاحظت فيرجينيا فى استحسان وجهه البرونزى قوامه الطويل النحيف .

قالت : " اسمع . إننى فى ورطة . وأغلب أصدقائى من نوعية تخاف على سمعتها . أى أن لديهم ما يخشون فقدانه " .

" وأنا ليس لدىّ ما أخشى عليه فخبرينى بما حدث . ما المشكلة ؟ "

صارحته فيرجينيا من فورها : " هناك قتيل فى غرفة المجاورة . لقد قتله أحدهم . ولا أدرى كيف أتصرف فى موقف كهذا " .

سردت تلك الكلمات ببساطة طفل . وسرعان ما خجلتها تلك البساطة التى تقبل بها الشاب مثل هذا الخبر بدا معتادا على سماع مثل هذا الكلام . بل كأنه سمعه فى كل يوم فى حياته .

قال فى شىء من حماس : " ممتاز فلطالما رغبت فى القيام بدور رجل التحرى الخاص . هلا توجهنا لرؤية تلك الجثة ، أم أن لديك حقائق تودين أن تخبرينى به أولا ؟ " .

" أعتقد أن من الأفضل أن أخبرك ببعض الحقائق أولا " . صمتت للحظات وهى تفكر فى أنسب طريقة تبدأ بها قصتها ، ثم بدأت تتحدث فى هدوء وإيجاز :

فى تلك اللحظة رن جرس البوابة الأمامية

قفزت فيرجينيا . ثم رن جرس البوابة من جديد بعدد بلحظات . كانت تدرى أن إيليس بالأعلى تعد الحقائب ولن تسمع الجرس

فتوجهت فيرجينيا نحو البهو . وسحبت السلسلة عن الباب . وهى تفكه بعد أن أحكمت إيليس إغلاقه من هلعها . ثم فتحت البوابة وهى تتنفس فى عمق . لتجد ذلك الشاب العاطل واقفا على عتبتها .

فغمرها ارتياح مفاجىء بعد كل هذا الشد العصبى

قالت له . " تعال . أعتقد أننى قد وجدت لك وظيفة " .

قادته فيرجينيا إلى غرفة الطعام . وسحبت له كرسيا . وجلست قبالته . وحدقت فيه بتيقظ .

قالت : " أرجو المعذرة . ولكن هل أنت ـ أقصد ـ "

بادرها الشاب . " إيتون من أكسفورد . أهذا ما أردت سؤالى عنه ؟ " .

أقرت فيرجينيا قائلة : " شىء من هذا القبيل"

" ليس هناك من معين لى فى هذه الحياة منذ ولدت . وأنا غير قادر على الانتظام فى أى عمل . أتعنى ألا يكون العمل الذى تعرضينه علىّ من هذا النوع " .

بدت ابتسامة على وجهها للحظات .

" بل هو عمل لا صلة له بأى نظام " .

فقال الشاب بنبرة ارتياح . " هذا جيد " .

لاحظت فيرجينيا فى استحسان وجهه البرونزى وقوامه الطويل النحيف .

قالت : " اسمع . إننى فى ورطة . وأغلب أصدقائى من نوعية تخاف على سمعتها . أى أن لديهم ما يخشون خسارته " .

" وأنا ليس لدىّ ما أخشى عليه . فخبرينى بما حدث . ما المشكلة ؟ " .

صارحته فيرجينيا من فورها : " هناك قتيل فى غرفة المجاورة . لقد قتله أحدهم . ولا أدرى كيف أتصرف فى موقف كهذا " .

سردت تلك الكلمات ببساطة طفل . وسرعان ما تجبتها تلك البساطة التى تقبل بها الشاب مثل هذا الخبر . بدا معتادا على سماع مثل هذا الكلام . بل كأنه سمعه فى كل يوم فى حياته

قال فى شىء من حماس . " ممتاز . فلطالما رغبت فى القيام بدور رجل التحرى الخاص . هلا توجهنا لرؤية تلك الجثة . أم أن لديك حقائق تودين أن تخبرينى به أولا ؟ " .

" أعتقد أن من الأفضل أن أخبرك ببعض الحقائق أولا " . صمتت للحظات وهى تفكر فى أنسب طريقة تبدأ بها قصتها . ثم بدأت تتحدث فى هدوء وإيجاز

" لقد جاءنى هذا الرجل لأول مرة بالأمس وطلب رؤيتى . كانت معه رزمة من الرسائل ـ رسائل غرامية ـ موقعة باسمى ـــــ " .

جاوبها الشاب فى هدوء : " وهى رسائل لم تكتبيها من الأصل " .

نظرت فيرجينيا إليه فى دهشة .

" ومن أين لك أن تعرف هذا ؟ " .

" أوه . بل هو تخمين تابعى كلامك " .

" لقد أراد أن يبتزنى ـ وأنا ـ حسنا . لا أدرى إن كنت ستفهم كلامى أم لا . ولكننى ـــ أتحت له فرصة أن يبتزنى "

نظرت إليه فى ترقب . بينما أومأ لها برأسه مطمئنا

" إننى أتفهم هذا بالطبع . فلقد كنت تريدين أن تجربى مثل هذا الشعور " .

" إنك بارع لدرجة مخيفة ! فهذا ما شعرت به بالفعل " .

قال الشاب فى تواضع : "*انا* بارع بالفعل . ولكن أود أن أقول لك إن قليلين هم من يفهمون أمرا كهذا . فأغلب الناس يفتقرون إلى الخيال " .

" أرى أن هذا صحيح . فقد طلبت من هذا الرجل أن يعود اليوم ـ عند السادسة مساء . وقد وصلت إلى المنزل قادمة من رانيلاف لأجد أن هناك برقية غامضة قد وصلت وتطلب من جميع الخدم مغادرة المنزل عدا خادمتى

خاصة . ثم دلفت إلى غرفة المكتب لأجد هذا الرجل وقد طلق عليه أحدهم النار " .

" ومن سمح له بالدخول ؟ " .

" لا علم لى . فلو كانت خادمتى . لكانت قد أخبرتنى بهذا " .

" وهل عرفت بما حدث ؟ " .

" لم أخبرها بشيء " .

أومأ الشاب برأسه . ونهض واقفا .

قال فى عجالة : " لنتوجه الآن لفحص الجثة . إلا انى أصارحك القول بأن أفضل شيء دائما هو قول الصدق . فالكذبة تجرك إلى سلسلة من الأكاذيب ـ كما أن الكذب المستمر أمر بالغ الرتابة "

" أنت تنصحنى إذن بأن أتصل بالشرطة ؟ " .

" ربما . ولكن علينا أن نلقى نظرة على الرجل أولا " .

قادته فيرجينيا إلى خارج الغرفة . ولكنها توقفت عند مدخلها وهى تلتفت نحوه .

قالت . " بالمناسبة . إنك لم تخبرنى باسمك حتى الآن ؟ " .

" اسمى ؟ اسمى أنطونى كيد " .

THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92
THE GHOST 92

الفصل ٩

أنطونى يتخلص من الجثة

تبع أنطونى فيرجينيا إلى خارج الغرفة وهو يبتسم فى نفسه . فلقد اتخذت الأحداث منحى غير متوقع . إلا أن لأسى سرعان ما عاوده حينما انحنى على الجثة المتكومة فى المقعد .

قال فى حدة : " لا تزال جثته دافئة . لقد لقى مصرعه منذ أقل من نصف ساعة " .

" قبيل أن آتى إلى هنا ؟ " .

" بالضبط "

فانتصب واقفا . وهو يعقد حاجبيه فى سخط . ثم صرح على فيرجينيا سؤالا لم تفهم مغزاه للوهلة الأولى .

" لم تدخل خادمتك إلى هذه الغرفة بالطبع ؟ " .

" كلا " .

" وهل تعرف أنك قد دخلتها ؟ " .

" لماذا ـــ نعم . فلقد حادثتها من وراء الباب "

" بعد أن وجدت الجثة ؟ " .

" أجل "

" ولم تبوحى بشيء ؟ "

" وهل كان هذا من الأفضل لى ؟ لقد ظننت أنهب ستصاب بانهيار عصبى عند معرفة ذلك ـ فهى فرنسية . وكما تعلم فهم مرهفو الحس ـ وكنت أرغب فى التركيز على أنسب مخرج من هذا المأزق " .

أطرق أنطونى برأسه إلا أنه لم يرد .

" أرى أنك تشفق على ؟ "

" بل هو سوء حظ . سيدة ريفيل . فلو كنت قد اكتشفت أنت والخادمة الجثة معا . فور عودتك . لكانت المسألة أبسط مما هى عليه الآن بكثير . فعندها سيكون من المؤكد أن الرجل قد لقى مصرعه *قبل* عودتك إلى المنزل "

" أما الآن فقد يقولون إنه قد قتل بعدما . فهمت مقصدى ؟ " .

رافبها أنطونى وهى تستوعب الفكرة . وعندها تيقن من أول انطباع كونه عنها . حينما تحدثت إليه على الدرج بالخارج . فبخلاف جمالها . كانت تتصف أيضا بالشجاعة ورجاحة العقل .

كانت فيرجينيا مستغرقة فى تلك الورطة التى وجدت نفسها بداخلها . لدرجة أنه لم يخطر ببالها أن تتساءل عن الكيفية التى عرف بها هذا الغريب اسمها .

تمتمت قائلة : " لماذا لم تسمع إيليس صوت إطلاق النار ؟ " .

فأشار أنطونى إلى النافذة المفتوحة . بينما أتاهما صوت هدير سيارة عابرة .

" تلك هى الإجابة . إن لندن ليست بالمكان الذى يسهل فيه سماع صوت طلقة مسدس "

لتفتت فيرجينيا وقد اعترت جسدها رجفة سريعة وهى تنظر إلى الجثة على المقعد .

وعلقت فى فضول . " يبدو لى أنه إيطالى الجنسية " .

فقال أنطونى : " بل من المؤكد أنه إيطالى . وأقول إنه كان يعمل نادلا وكان يمارس الابتزاز فى وقت فراغه . وقد يكون اسمه جوزيبى "

صاحت فيرجينيا : " يا إلهى ! هل أنا الآن بصحبة سيرلوك هولمز ؟ "

قال أنطونى فى أسف . " كلا . أخشى أن يكون ما حدث نوعا من الخداع الصريح . وسوف أخبرك بكل شيء عما قريب . أنت الآن تقولين إن هذا الرجل عرض عليك بعض الرسائل وطلب منك مالا . هل أعطيته إياه ؟ "

" نعم . لقد فعلت "

" كم ؟ "

" أربعون جنيها " .

قال أنطونى ومن دون البوح بأية دهشة . " هذا سيئ . لنلق نظرة الآن على تلك البرقية " .

فالتقطتها فيرجينيا من فوق المنضدة وناولته إياها . لاحظت الأسى الذى بدا على وجهه حينما نظر فيها .

" ما الأمر ؟ " .

مد يده بها وهو يشير فى صمت إلى مصدر إرسالها .

قال : " بارنز . وأنت كنت فى رانيلاف هذه الظهيرة . فما الذى يمنع أن تكونى أنت من أرسلها ؟ " .

شعرت فيرجينيا بالاندهاش من كلماته . وبدا لها أن الفخ يزداد ضيقا من حولها . لقد كان يجبرها على تبين جميع الاحتمالات التى لم ترغب فى التفكير فيها .

أخرج أنطونى منديله ولفه حول يده ، ثم التقط المسدس .

قال فى نبرة اعتذار : " علينا نحن المجرمين أن نكون حذرين . البصمات ، كما تعلمين " .

لاحظت فيرجينيا حينئذ أن شخصيته قد صارت جافة . ونبرة صوته تغيرت حيث صارت مقتضبة وغليظة .

قال : " سيدة ريفيل . هل رأيت هذا المسدس من قبل ؟ "

قالت فيرجينيا فى تعجب : " كلا " .

" هل أنت متيقنة من هذا ؟ " .

" بالتأكيد " .

" وهل تمتلكين مسدسا ؟ " .

" كلا " .

وهل حدث من قبل أن امتلكت مسدسا ؟ " .

كلا . مطلقا " .

هل أنت متيقنة من هذا ؟ " .

تمام اليقين " .

حدق فيها بثبات للحظات . ولم ترفع فيرجينيا بصرها عن عينيه وهى مندهشة من نبرته .

عندها استرخى جسده وهو يتنهد فى ارتياح ثم قال .

هذا غريب . فما تعليلك لوجود هذا المسدس هنا ؟ " .

حينئذ كان يمسك بالمسدس نحوها . كان صغيرا ، خفيف المنظر . يكاد يكون أشبه باللعبة ـ مع أنه قادر على أن يسلب المرء روحه . وكان اسم فيرجينيا محفورا عليه .

هنا صاحت فيرجينيا : " هذا محال ! " .

كانت دهشتها صادقة ولم يسع أنطونى سوى أن يصدقها .

قال فى هدوء : " اجلسى . يبدو أن المشكلة أكبر من صورتنا الأولى لها . ما هى فرضياتك بداية ؟ هناك فرضيتان محتملتان . فهناك بالطبع فيرجينيا الحقيقية صاحبة الرسائل . وربما تكون قد تتبعته بطريقة ما . صعقت عليه النار ، ثم ألقت بالمسدس ، وسرقت الرسائل . وخرجت . هذا افتراض ممكن . أليس كذلك ؟ " .

قالت فيرجينيا فى استسلام : " أعتقد هذا "

" أما الفرضية الأخرى فهى أكثر إثارة للاهتمام . فكر من يرغب فى قتل جوزيبى ، يرغب كذلك فى توريط فى الجريمة ـ بل قد يكون هذا هو الهدف الرئيسى فبوسعهم أن يرسلوه بسهولة إلى أى مكان يشاءون . إ أنهم قد بذلوا جهدا جبارا حتى يصلوا به إلى هنا . وأي كانت هويتهم فإنهم يعرفون كل شيء عنك . وعن كوخ فى داتشيت . وترتيباتك المعتادة هناك . وحقيقة أن موجودة فى رانيلاف هذه الظهيرة يبدو لى أنه سؤ عبثى . ولكن هل لك أعداء ؟ " .

" ليس لدىّ أعداء بالطبع ـ ليس من هذا النوع على أية حال " .

قال أنطونى : " السؤال هو ما الذى علينا أن نفعه الآن ؟ أمامنا مساران متاحان الأول أن نهاتف الشرطة ، ونخبرهم بالقصة كلها ، ونثق فى قوة وضع فى المجتمع وحياتك البرينة الخالية من أى أخطاء حتى الآن . الثانى أن أحاول التخلص من هذه الجثة بنجاح . وأنا بطبيعتى أشد ميلا إلى المسار الثانى . فلطا رغبت فى أن أرى إن كنت من البراعة التى تمكننى من أن أخفى جرما . إلا أننى كنت أرفض دوما إراقة الدماء وفى المجمل ، فإنى أتوقع أن الخيار الأول أصح . وفى هذه الحالة علينا إدخال نوع من التنقيح على الخطه

أولا نهاتف الشرطة . ولكن علينا أن نخفى س والرسائل ـ هذا إن كانت لا تزال معه " .

وسرعان ما فتش أنطونى جيوب القتيل .

ـ قال : " لقد نظفوا جيوبه من كل شيء . لا شيء ـ ويبدو أن هناك الكثير من الأعمال القذرة المتعلقة ـ الرسائل . مرحى . ما هذا ؟ هناك فتحة فى البطانة ـ شيئا . إنها ممزقة للخارج ، وبداخلها قصاصة

خرج أنطونى القصاصة الورقية وهو يتحدث . وقربها ضوء . واقتربت منه فيرجينيا

صرخ قائلا : " من المؤسف أننا لا نمتلك بقيتها "

تشيمنيز . الحادية عشرة وخمس وأربعون دقيقة . الخميس . . يبدو لى أنه موعد "

هـ صاحت فيرجينيا : " تشيمنيز ؟ يا لغرابة صفة ! "

ما وجه الغرابة ؟ هل لأنه مكان راق لا يمكن لمثله يدعى إليه ؟ " .

بل لأننى سأتوجه إلى " تشيمنيز " هذا المساء . أو ـ سأتوجه إلى هناك "

نبه أنطونى إلى كلامها . فسألها : " ما الذى صبه ؟ كرري ما قلت ثانية " .

كررت فيرجينيا كلامها : " كنت سأذهب إلى تشيمنيز ا المساء " .

حدق أنطونى فيها

" بدأت تتضح لى بعض الأمور . ربما كنت مخطئا - إلا انها ليست سوى فكرة . لنفرض أن أحدهم أراد أن يمنعك من الذهاب إلى تشيمنيز بأية طريقة ؟ " .

تبسمت فيرجينيا وهى تقول : " هذا ما كان يريده جورج لوماكس . إلا أننى لا يمكن أن أشك فى أن يكون جورج هو مدبر جريمة القتل هذه " .

لم يبادلها أنطونى الابتسام . فقد كان غارقا فى أفكاره .

" لو أنك هاتفت الشرطة . فإن هذا يعنى استحالة ذهابك إلى تشيمنيز اليوم - أو حتى الغد . وأنا أريد منك الذهاب إلى تشيمنيز . فأعتقد أن هذا كاف لأن يفقد أصدقاؤك المجهولون اتزانهم . هل يمكن أن تسلمى نفسك لى يا سيدة ريفيل ؟ " .

" أى أننا سنتبع الخيار الثانى ؟ " .

" بالفعل هو الخيار الثانى . وأول ما سنفعله هو أن نخرج خادمتك من المنزل . هل بوسعك القيام بهذا ؟ "

" بكل سهولة "

توجهت فيرجينيا إلى البهو ونادت عليها من أسفل الدرج .

" إيليس . إيليس "

" سيدتى ؟ " .

سمع أنطونى حوارا سريعا . بعدها انفتحت البوابة الداخلية ثم أغلقت . وعادت فيرجينيا إلى داخل الغرفة .

" لقد انصرفت . أرسلتها فى مهمة خاصة ، وأخبرتها أن المتجر الذى ستذهب إليه مفتوح حتى الثامنة . وهى معلومة غير صحيحة بالطبع . بعدها عليها أن تلحق بى بالقطار التالى من دون العودة إلى هنا " .

قال أنطونى مؤيدا : " حسنا . يمكننا الآن البدء فى عملية التخلص من الجثة . وهى عملية ستستغرق وقتا . ولكنى أخشى من أننى يجب أن أسألك إن كان بالمنزل صندوق كبير ؟ "

" موجود بالطبع . اهبط إلى القبو واختر ما تشاء "

كانت هناك صناديق من مختلف الأحجام بالقبو . اختار أنطونى صندوقا صلدا ذا حجم مناسب .

قال فى لباقة وذوق : " سأحمله أنا . عليك أن تستعدى للاستعداد لبدء المهمة " .

وأطاعته فيرجينيا . فخلعت عنها رداء التنس ، وارتدت ملابس سفر بنية بسيطة وقبعة برتقالية صغيرة . وهبطت الدرج لتجد أنطونى بانتظارها فى البهو وإلى جواره صندوق محكم الإغلاق .

قال معلقا على ذوق ملابسها : " لكم أود لو قصصت علىّ قصة حياتى الآن . إلا أن فى انتظارنا أمسية طويلة . سأخبرك بما عليك القيام به . قومى باستدعاء سيارة أجرة . وضعى بها حقائبك . ومعها الصندوق

وتوجهى إلى بادنجتون . وهناك اطلبى إيداع الصندوق فى مكتب الأمانات . سوف أكون هناك على الرصيف وعندما تمرين بى ، أسقطى تذكرة الأمانات . وعندئذ سألتقطها وأتظاهر بإعادتها إليك ، إلا أننى سأحتفظ بها فى الحقيقة . وبعد ذلك توجهى إلى تشيمنيز ، واتركى الباقى لى "

قالت فيرجينيا : " إنها مروءة منك أن تقوم بهذا فمن الصعب علىّ أن أترك لشخص لا أعرفه مهمة التخلص من جثة كهذه " .

رد أنطونى بلا مبالاة : " إننى أجد متعة فى هذا ولو كان أحد أصدقائى ـ واسمه جيمى ماكجراث ـ قد لأخبرك بأننى أتوق إلى القيام بمهام من هذا القبيل "

كانت فيرجينيا تحدق فيه .

" ما الاسم الذى ذكرته ؟ جيمى ماكجراث ؟ " .

بادلها أنطونى النظرات فى حماس .

" نعم . ما خطبه ؟ هل سمعت به من قبل ؟ "

" نعم . ومنذ وقت قصير جدا " . وصمتت فى تردد ولكنها واصلت كلامها : " علىّ أن أتحدث معك يا سيد كيد ألا يمكنك الحضور إلى تشيمنيز ؟ " .

" لن يمر وقت طويل قبل أن ترينى . سيدة ريفيل ـ أؤكد لك هذا . أما الآن فعلى المتآمر الأول أن ينسل خارجاً من الباب الخلفى . أما المتآمرة الثانية فتخرج بكل بهاء من البوابة الأمامية لتستقل سيارة أجرة " .

سارت الخطة من دون عقبات . فقد كان أنطونى ـ بعد أن استقل سيارة أجرة بدوره ـ على رصيف المحطة يلتقط التذكرة التى سقطت على الأرض . بعد ذلك غادر المحطة عن سيارته طراز " موريس كاولى " والتى اشتراها مستعملة ومهشمة فى وقت مبكر من نفس اليوم تحسباً لأن تكون ضرورية فى تنفيذ خطته .

عاد أنطونى إلى بادنجتون . وناول التذكرة للحمال ، الذى أحضر الصندوق من الأمانات ووضعه بإحكام على مؤخرة السيارة وسرعان ما انطلق بها أنطونى .

كان هدفه الآن الخروج من لندن عبر نوتينج هيل . جرين بوش ، وبطول طريق جولدهوك ، عبر برينتفورد وهنسلو حتى يصل إلى الطريق الرابط بين هنسلو وستينز . كان طريقاً لا تتوقف السيارات عن المرور فيه . لذا كان من المستبعد تبين أى آثار سواء للأقدام أو لإطارات السيارات . توقف أنطونى بسيارته عند بقعة بعينها . ترجل عن السيارة ، وبدأ بطمس لوحة أرقام السيارة بعناية . ثم انتظر إلى أن خلا الطريق تماما ، وفتح الصندوق ، وأخرج منه جثة جوزيبى ، ثم أرقدها بهدوء على جانب الطريق ، أسفل أحد منحنياته ، حتى لا تعكس أضواء مصابيح السيارات المارة عليهم فتكشفها .

بعد ذلك عاد ليدلف إلى السيارة وينطلق بها بعيدا . لم تستغرق الأمر برمته سوى دقيقة ونصف . وانعطف بسيارته يمينا ليعود إلى لندن عبر طريق بيرنهام بيتشيز .

وهناك أوقف السيارة . ثم اختار واحدة من أضخم أشجار تلك الغابة وأخذ يتسلقها ، وكان سعيدا بما يفعله . وقد بدس طرد ورقى بنى اللون صغير الحجم فى أحد أعلى أغصان الشجرة . مخفيا إياه فى جذع صغير قريب من كوة الشجرة .

قال لنفسه فى استحسان : " إنها طريقة بالغة البراعة للتخلص من المسدس . فالكل سيبحث عنه فى الأرض ولكن قليلين هم القادرون على تسلق مثل هذه الشجرة فى إنجلترا بأسرها " .

بعدها عاد إلى لندن ومحطة بادنجتون . حيث ترك الصندوق فى مكتب الأمانات المقابل هذه المرة ، ذلك الذى يقع عند باب الوصول . وخطر له ساعتها أنه جائع جدا . وأخذ يفكر فى أشياء من قبيل قطع كبيرة من اللحم المشوى ، وتلال من البطاطس المقلية . إلا أنه طرد هذه الأفكار عن رأسه وهو يرمق ساعة معصمه . فزود سيارته بالوقود . ثم انطلق فى الطريق من جديد . ولكن نحو الشمال هذه المرة .

كانت الساعة قد تجاوزت للتو الحادية عشرة والنصف حينما أوقف سيارته فى الطريق المؤدى إلى متنزه تشيمنيز . فترجل عن السيارة ليعاين الجدار فى يسر ، ثم انطلق يسرع الخطى نحو المنزل . استغرق الأمر فترة أطول مما اعتقد . فوجد نفسه يبدأ فى الركض . كان أشبه بكتلة رمادية كبيرة الحجم تهرول وسط الظلام نحو

تشيمنيز . وعلى البعد كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة إلا الربع .

كانت الثانية عشرة إلا الربع . وهو الوقت الوارد فى قصاصة الورق . كان أنطونى قد وصل الآن إلى الشرفة . وسار نحو المنزل . وبدا له كل شىء هادئا معتما .

فتمتم قائلا : " يبدو أن هؤلاء السياسيين ينامون سكارى " .

فجأة سمعت أذناه صوت عيار نارى . فالتفت أنطونى بسرعة ـ كان متأكدا من حدوث هذا . انتظر لحظات . إلا أنه وجد كل شىء صامتا . وفى النهاية صعد إلى واحدة من النوافذ الفرنسية الطويلة ، والتى قدر أن يكون الصوت الذى أفزعه قد أتى منها . جرب أن يفتحه من المقبض . لكن وجده مغلقا . فجرب بعض النوافذ الأخرى ، وهو صامت فى حساسية شديدة مما حوله . إلا أن الصمت بقى مخيما .

وفى النهاية أخبر نفسه بأنه لابد أنه قد تخيل ذلك الصوت ، أو ربما ظنه كذلك بعد صوت سمعه يأتى من بعيد . فعاد وتتبع خطواته عبر المتنزه ، يخيم عليه شعور بعدم الرضا والقلق .

عاد أنطونى لينظر إلى المنزل . وبينما كان ينظر رأى ضوءا يشع من إحدى نوافذ الطابق الأول . وفى اللحظة التالية انطفأ من جديد ، وعاد الظلام يخيم على المكان بأسره .

الفصل ١٠

تشيمنيز

المفتش بادجورثى فى مكتبه . عقارب الساعة تشير إلى
ـسة والنصف صباحا . إنه رجل طويل القامة ، يبدو
ـيه الوقار ، ذو مشية ثقيلة متئدة . اعتاد أن يتنفس
ـدة خلال الأوقات الذى يتعرض فيها لتوتر فى عمله .
ـقه الشرطى جونسون ، الملتحق حديثا بقوة الشرطة ،
ـى يبدو على محياه عدم الخبرة ، وكأنه دجاجة
ـرية .

رن جرس الهاتف فوق الطاولة فى حدة . فالتقط
ـتش السماعة فى حركة سريعة اعتادها .

مرحبا . مركز شرطة ماركيت باسينج . المفتش
ـجورثى يتحدث . ماذا ؟ " .

تغيرت ملامح المفتش بعض الشيء . فكما هو أعلى
ـة من جونسون ، هناك من هم أعلى رتبة من المفتش
ـجورثى .

" معك يا سيدى اللورد . أرجو المعذرة يا سيدى اللورد فلم اسمع جيدا ما قلته لى "

خيم الصمت لوقت طويل . كان المفتش خلاله يستمع . وتعبيرات متعددة تتسارع على ملامح وجهه التى اعتادت البرود . وفى النهاية أعاد السماعة إلى مكانها بعد رد موجز أخير " على الفور ، سيدى "

التفت المفتش إلى جونسون . والاهتمام طاغ على وجهه .

" إنها مكالمة من سيادة اللورد ـ فى تشيمنيز ـ جريمة قتل "

ردد جونسون بنبرة تحمل قدرا مناسبا من الدهشة " جريمة قتل " .

قال المفتش بارتياح كبير : " إنها جريمة قتل إذن " .

" لم تحدث من قبل جرائم قتل هنا ـ حسب علمى ـ فيما عدا وقت أن أطلق توم بيرس النار على عشيقته "

قال المفتش فى استهجان : " وحتى هذه لم تكن بجريمة قتل حقيقية ، فقد كان مخمورا " .

وافقه جونسون فى وجوم " لم يتم إعدامه . إلا أن هذه الجريمة هذه المرة جريمة حقيقية ، أليس كذلك يا سيدى ؟ " .

" بالفعل يا جونسون فلقد تم اكتشاف أن أحدهم قد طلق النار على أحد ضيوف سيادة اللورد ، سيد أجنبى وجدوا النافذة مفتوحة . وآثار أقدام بالخارج "

قال جونسون بنبرة أسف : " يحزننى كونه جنبيا " .

وكأنما قللت جنسية القتيل من أهمية الجريمة . فقد كان جونسون يرى أن الأجانب يستحقون القتل .

تابع المفتش كلامه قائلا " إن مركز اللورد الخاص به فى منطقة نائية . ولسوف نصطحب معنا الدكتور كرترايت على الفور وأتمنى من الله ألا يعبث أحد بآثار لأقدام تلك " .

إن الفرحة لا تسع بادجورثى الآن . إنها جريمة قتل ! وفى تشيمنيز ! والمفتش بادجورثى مسئول عن قضية . كما أن لدى الشرطة مفتاحا لحل اللغز . سوف تكون المسألة سهلة نوعا ما . وسيتلقى المفتش المذكور علاوة الترقية ومعها الصيت والشهرة .

قال المفتش بادجورثى لنفسه : " هذا ما لم تسارع سكوتلانديارد بدس أنفها فى القضية " .

وما إن خطر له هذا الخاطر حتى هبطت معنوياته لحظات . فقد بدا هذا الاحتمال واردا خاصة فى ظل مثل هذه الظروف .

توقفا عند مكتب الدكتور كارترايت . والذى أبدى ـ وهو الطبيب الشاب نسبيا ـ اهتماما صادقا . فكانت ردود أفعاله مطابقة لما أبداه جونسون .

صاح الطبيب متعجبا : " لماذا ؟ . بوركت روحى فنحن لم نحقق فى جريمة قتل منذ جريمة توم بيرس " .

ودلف ثلاثتهم إلى داخل سيارة الطبيب الصغيرة . وانطلقوا بها إلى تشيمنيز . وعند مرورهم بالمقهى المحلى ـ جولى كريكيترز ـ لمح الطبيب رجلا يقف عند بابه .

فقال معلقا : " إنه غريب . إلا أنه وسيم الطلعة ترى متى جاء إلى هنا ؟ وماذا يفعل خلال وجوده فى الكريكيترز ؟ فلم أره من قبل . لابد أنه قد وصل الليلة الماضية " .

فقال جونسون : " إنه لم يصل إلى هنا بالقطار " .

فقد كان هناك أخ لجونسون يعمل كحمال بمحطة القطار المحلية . ومن هنا كان جونسون على دراية بكل من يصل أو يغادر .

سأله المفتش : " ومن وصل إلى هنا قاصدا " تشيمنيز " بالأمس ؟ " .

" الليدى إيلين ، لقد وصلت عند الرابعة والنصف بصحبة سيدين . أحدهما أمريكى والآخر عسكرى شاب ـ ولم يكن معهم أى خدام . وقد أتى اللورد بصحبة سيد أجنبى ـ ذلك الذى لقى مصرعه ـ عند الساعة الخامسة وأربعين دقيقة . ومعهما خادمة

لأجنبى . وقد أتى السيد إيفرسلاى على متن نفس القطار . بينما وصلت السيدة ريفيل فى قطار السابعة وخمس وعشرين دقيقة . وفى نفس القطار وصل رجل ذو ملامح أجنبية ، أصلع وذو أنف معقوف . وقدمت خادمة السيدة ريفيل فى قطار التاسعة إلا أربع دقائق " .

صمت جونسون ليلتقط أنفاسه .

" ولم ينزل أى منهم فى الكريكيترز ؟ " .

فهز جونسون رأسه نافيا .

فقال المفتش : " لابد أنه قد أتى بالسيارة إذن . عليك ـ جراء تحقيقات فى الكريكيترز فى طريق عودتك يا جونسون . نريد أن نعرف كل شيء عن أى غرباء هناك . ل وجه الرجل مسمر بفعل الشمس . ومن الممكن أن يكون قدما من بلاد أجنبية " .

وأ المفتش برأسه فى حصافة ، كما لو أن هذا يوحى ـ ن ما قاله ينم عن مدى فراسته ويقظته ـ وأن من غير ممكن أن يضبطه أحد غافيا مهما كانت الظروف .

مرت السيارة عبر بوابات متنزه تشيمنيز . يمكن للمرء ـ يجد توصيفات لهذا المكان التاريخى فى أى دليل سياحى . كما أنه يحتل المرتبة الثالثة فى تصنيف مجموعة " المنازل التاريخية فى إنجلترا " . واعتادت عربات أن تأتى أيام الخميس من ميدلنهام لمشاهدة معالمه المتاحة للعامة . وفى ظل كل تلك المرافق ، يبدو وصف تشيمنيز أمرا لا طائل من ورائه .

قابلهم لدى البوابة كبير الخدم . رجل أشيب الشعر يبدو عليه حسن السلوك .

وكأنما يقول لهم من خلال تصرفاته . " نحن لم نعتد على وقوع أية جرائم قتل داخل هذه الأسوار . إلا أننا فى أيام مشئومة . وعلينا أن نواجه الكارثة بأعصاب هادئة . وأن نتظاهر بأن لا شيء غريب قد حدث "

قال كبير الخدم : إن فخامة اللورد بانتظاركم . من فضلكم إذا سمحتم " .

قادهم الخادم إلى غرفة صغيرة مريحة يلوذ إليها اللورد بعيدا عن الفخامة التى يعج بها المكان . ثم أعلمه بقدومهم .

" الشرطة يا سيدى . والدكتور كارترايت " .

كان اللورد كاترهام يقطع أرجاء الغرفة جيئة وذهابا وهو فى حالة هياج شديد .

" ها قد ظهرت أخيرا أيها المفتش . وأنا ممتن لهذا كيف حالك يا كارترايت ؟ تعلم أننا أمام فعلة شريرة فعلة شريرة جدا " .

بدا اللورد كاترهام ـ وهو يمرر يديه خلال شعره بطريقة عصبية ، حتى صار أشعث ـ على خلاف تلك الصورة التى اعتاد الناس أن يروه عليها .

سأل الطبيب فى اقتضاب عملى : " أين الجثة ؟ "

التفت إليه اللورد كاترهام وكأنما أراحه أن يوجه إليه أحد سؤالا مباشرا .

" فى قاعة المجلس ـ حيث وجدناها ـ لم أسمح لأحد ـ يمسها . وأعتقد أن هذا ... هذا هو أسلم تصرف ممكن " .

وافقه المفتش قائلا " بالفعل يا سيدى اللورد "

ثم أخرج مفكرة صغيرة وقلما رصاصا وهو يسأل :

" ومن الذى اكتشف الجثة ؟ أنت ؟ " .

" أوه ... كلا . أتظن أننى معتاد على الاستيقاظ فى تلك الساعة الغريبة من الصباح ؟ لقد وجدتها واحدة من خادمات المنزل . وأعتقد أنها لم تتوقف عن الصراخ طيلة ، إلا أننى لم أسمعها بنفسى . بعدها أعلمونى بالخبر . فاستيقظت وهبطت إلى أسفل ـ هذا ما حدث "

" هل تعرفت على الجثة باعتبارها جثة واحد من ضيوفك ؟ " .

" هذا صحيح أيها المفتش "

" بالاسم ؟ " .

كان هذا السؤال شديد البساطة كفيلا بإزعاج اللورد كاترهام . ففتح فمه مرة أو مرتين . ثم أغلقه . وفى النهاية سأل بصوت خافت

" هل تقصد .. هل تقصد ... اسمه ؟ "

" نعم سيدى " .

حدق اللورد كاترهام . وهو يجول ببصره فى بطء عبر أرجاء الغرفة . وكأنما يأمل أن يهبط عليه وحى : " إن اسمه ـ أو بالأحرى كان اسمه ـ الكونت ستانيسلاوس "

كان هناك شيء بالغ الغرابة في تصرفات اللورد كاترهام ، لدرجة أن المفتش توقف عن استخدام قلمه وأخذ يحدق فيه . ولكن في تلك اللحظة حدث تغيير تنفس له الصعداء .

انفتح الباب عن فتاة دلفت إلى الغرفة . كانت طويلة ونحيفة وسمراء البشرة ، ذات وجه طفولي جذاب ، وثقة واضحة بالنفس . كانت هذه الفتاة هي الليدي إيلين بريدت ، والتي تعرف باسم " بندل " ، الابنة الكبرى للورد كاترهام . أومأت إيلين برأسها تحيي الآخرين ، ثم خاطبت والدها مباشرة .

" لقد توصلت إليه " .

كان المفتش على وشك بأن يهرع نحوها ظنا منه أن الليدي قد ألقت القبض على القاتل متلبسا ، إلا أنه سرعان ما أدرك أنها كانت تعني شيئا غير ذلك .

فقد وجد اللورد كاترهام يتنفس الصعداء ، ويقول :

" أحسنت صنعا . وما الذي قاله ؟ " .

" إنه في الطريق إلى هنا ، وعلينا أن نتوخى أقصى درجات السرية " .

تمتم الأب منزعجا .

" هذا ما يقوله دوما جورج لوماكس . ولكن بمجرد أن يأتي إلى هنا سأنفض يدي عن الأمر برمته "

ابتهج اللورد قليلا لمجرد ورود هذه الفكرة على خاطره .

تساءل الطبيب : " وهل كان اسم القتيل الكونت سانيسلاوس ؟ " .

تبادل الأب وابنته نظرة خاطفة ، ثم قال الأول بشيء من الأنفة :

" بالتأكيد ، لقد ذكرت هذا للتو "

قال كارترايت مفسرا مقصده : " سبب سؤالي هو أنك لم تكن واثقا من هذا " .

فغمز بعينه سريعاً ، ثم نظر إليه اللورد كاترهام في توجس .

وقال بنبرة سريعة : " سأصطحبكم إلى غرفة المجلس "

تبعوه . وكان المفتش في المؤخرة ، يسدد نظرات حادة في كل ما حوله ، وكأنما يتوقع أن يجد حل اللغز في حد إطارات اللوحات ، أو قابعا وراء باب .

تناول اللورد كاترهام مفتاحا من جيبه وفتح الباب . ودلفوا جميعا إلى غرفة كبيرة يغطي جدرانها خشب البلوط ، مع ثلاث نوافذ فرنسية تطل على الشرفة . كانت هناك مائدة طعام طويلة والعديد من الصناديق المصنوعة من خشب البلوط ، وبعض المقاعد الجميلة عتيقة الطراز . وعلى الجدران كان هناك لوحات متعددة لأفراد توفوا من عائلة كاترهام وغيرها .

بالقرب من الجدار الأيسر ، وعلى مسافة متوسطة بين الباب والنافذة ، رقدت الجثة على ظهرها ، بينما الذراعان ممتدتان عن آخرهما إلى جانبيه .

انحنى الدكتور كارترايت بالقرب من الجثة يفحصها بينما خطا المفتش سريعا نحو النوافذ وأخذ يتفحصها بدوره . كانت الوسطى مغلقة ، إلا أنها لم تكن مغلقة بالمزلاج . وعلى درجات السلم بالخارج آثار أقدام متجهة نحو النافذة ، وأخرى تبتعد عن المكان .

قال المفتش ملوحا برأسه : " هذا واضح ، إلا أن من المفترض أن تكون هناك آثار أقدام بالداخل كذلك . كانت ستبدو ظاهرة على هذه الأرضية الخشبية " .

فتدخلت بندل قائلة : " أعتقد أن بوسعي تفسير هذا فقد قامت الخادمة بتلميع نصف هذه الأرضية هذا الصباح قبل أن تكتشف الجثة ، وكما ترى فإن الشمس لم تكن قد بزغت حينما دلفت إلى هذا المكان . وتوجهت مباشرة إلى النوافذ ، وأزاحت الستائر ، وبدأت تمسح الأرضية . ومن الطبيعي ألا ترى الجثة التي كانت متوارية من هذا الجانب من الغرفة وراء الطاولة . فلم ترها حتى وصلت إليها " .

أطرق المفتش برأسه موافقا دون أن يعلق

فقال اللورد وهو يتلهف على الخروج من المكان :

" حسنا ، سأترككم هنا أيها المفتش ، وإن .. احتجتم إلي فسوف تجدونني . لكن السيد جورج لوماكس قادم الآن

من ويفيرن آبي ، وسوف يتمكن من إخباركم بالمزيد من المعلومات فالأمر يخصه في الحقيقة . ليس بوسعي أن أوضح ، ولكنه سيوضح لكم كل شيء حينما يأتي " .

ثم غادر اللورد كاترهام المكان دون انتظار أي رد .

كان يقول لنفسه متذمرا : " لم يكن جيدا منك يا لوماكس أن تورطني في هذا الأمر ما الأمر يا تريدويل ؟ " .

كان كبير الخدم أشيب الشعر يسير على مقربة منه بتأهب لأوامره .

" لقد أعطيت لنفسي يا سيدي اللورد الحق في تأخير ساعة الإفطار إلى أن تفرغ وكل شيء معد في غرفة الطعام "

قال اللورد واجما ، وهو يتحول إلى اتجاه غرفة الطعام : " لا أعتقد أن لي شهية لأي شيء الآن ، الآن على الأقل " .

دست بندل يدها في ذراعه ، ودلفا معا إلى غرفة الطعام . على المنضدة العريضة الجانبية عدد من الأطباق الفضية الثقيلة تحتفظ بسخونة ما تحويه من طعام بفضل بعض الإجراءات المبتكرة في انتظام بديع

قال اللورد وهو يرفع كل غطاء على الترتيب :

بيض مخفوق ، بيض ولحم بارد ، كلاوي ، لحم طيور متبل ، حدوق ، لحم ديك بارد . لا أحب أيا من هذه

الأصناف يا تريدويل . اطلب من الطاهى أن يسلق لى بيضة من فضلك " .

" حسنا يا سيدى " .

غادر تريدويل الغرفة . بينما أخذ اللورد يتناول فى شرود الكثير من الكلاوى واللحم البارد ، ثم صب لنفسه قدحا من القهوة . وجلس إلى المائدة الطويلة بينما كانت بندل مشغولة بتناول صحن مليء بالبيض واللحم .

قالت بندل وفمها يكتظ بالطعام : " إننى جائعة جدا . لابد أن هذا بسبب كل هذه الإثارة " .

علق الأب متذمرا : " وهذا طبيعى لمن هم فى مثل سنك . فأنتم تحبون الإثارة . بينما أنا أعانى من صحة عليلة . وعلىَّ أن أتفادى أى مصدر للتوتر ، كما نصحنى السير أبنر ويليس . من السهل على شخص يجلس فى عيادته بشارع هارلى أن يقول ذلك . فكيف لى أن أتفادى التوتر بينما يورطنى ذلك الأحمق لوماكس فى أمر كهذا ؟ كان علىَّ أن أتحلى بصرامة أكبر وقتها " .

نهض اللورد وهو يهز رأسه . وملأ صحنه ببعض اللحم البارد .

علقت بندل فى جذل : " لابد أن كودرز قد فعلها هذه المرة . فقد كان متوترا وأنا أحدثه عبر الهاتف . وسوف يصل إلى هنا خلال دقيقة أو دقيقتين . وقد طلب منى بإلحاح أن أتحلى بالسرية والحذر " .

تأوه اللورد ساخطا .

سأل قائلا : " هل كان مستيقظا ؟ "

" أخبرنى بأنه كان مستيقظا يملى الرسائل والمذكرات منذ السابعة صباحا "

علق الأب : " يبدو أنه فخور بذلك . كم هم أنانيون وهم الساسة . يفرضون على موظفيهم التعساء الاستيقاظ فى ساعة مبكرة جدا لأجل أن يملوا عليهم هراء لا قيمة له . لو كان هناك قانون يفرض عليهم لزوم الفراش حتى الحادية عشرة . لعاد ذلك بفائدة جمة على هذه الأمة ولم أكن لأمانع لو لم يتحدثوا بمثل هذا الهراء . وكثيرا ما حدثنى لوماكس عن وضعى الاجتماعى . كما لو أن لى وضعا من الأصل . من ذاك الذى يود ان يكون من طبقة النبلاء هذه الأيام ؟ "

قالت بندل : " لا أحد . إنهم يفضلون على هذا منزلا عامرا "

عاد تريدويل فى صمت ومعه صحن فضى صغير يحوى بيضتين مسلوقتين . وضعه على المائدة أمام اللورد .

قال الأخير وهو ينظر إلى الصحن فى امتعاض : " ما هذا يا تريدويل ؟ " .

" بيض مسلوق يا سيدي" .

قال اللورد بنبرة متذمرة : " إننى لا أحب البيض المسلوق . فهو عديم الطعم . بل إننى لا أحب النظر إليه . فلا أخذته من هنا يا تريدويل ؟ " .

" حسنا يا سيدى " .

حمل تريدويل الصحن وعاد فى صمت مثلما جاء .

علق اللورد بارتياح : " أحمد الله على أن أحدا لا يستيقظ مبكرا فى هذا المنزل . أرى أن علينا أن نخبرهم بما حدث حين يستيقظون " .

قالها وتنهد .

قالت بندل : " ترى من يكون قد قتله ، وما دافعه إلى هذا ؟ "

قال اللورد : " لنشكر الله على أن هذا ليس من شأننا . فهو شأن الشرطة . لكننى لا أتوقع أن يتوصل بادجورثى إلى أى شيء . على أننى أتمنى أن يكون من فعلها هو نوزيشتاين " .

" مما يعنى ـــ "

" اتحاد كل البريطانيين " .

" ولماذا يقتله السيد إيزاكشتاين وهو الذى أتى إلى هنا بغرض مقابلته ؟ " .

قال اللورد كترهام فى غموض : " التمويل . وهو ما يذكرنى بأن ليس علىّ أن أتعجب مطلقا من أن إيزاكشتاين لم يكن ممن يستيقظون مبكرا . وقد يدخل علينا الآن فى أية لحظة . إنها عادة فى المدينة . وأعتقد أنه مهما كان ثراؤك . فإنك تلحقين دوما بقطار التاسعة وسبع عشرة دقيقة " .

فجأة سمعا صوت سيارة تمرق سريعة عبر النافذة المفتوحة .

صاحت بندل : " إنه كودرز "

تطلع الأب وابنته عبر النافذة وحيا سائق السيارة وهو يقف بها عند المدخل .

صاح اللورد وهو يزدرد اللحم الذى يملأ فمه : " هنا عزيزى ، هنا " .

لم يكن جورج ينتوى بالطبع تسلق الجدار إلى النافذة . سرعان ما دلف من البوابة الأمامية . ليظهر أمامهم دالفا غرفة وراء تريدويل الذى سرعان ما غادر المكان .

قال اللورد وهو يصافحه : " تعال لنتناول الإفطار . ما رأيك فى تناول شيء من الكلاوى ؟ " .

نحى جورج صحن الكلاوى فى تعجل .

" هذه مصيبة مروعة . مروعة ، مروعة " .

" بالفعل . هل تريد بعض الحدوق ؟ "

" كلا . لابد ألا يعلم أحد شيئا عن هذا الحادث ـ مهما كان الثمن " .

وكما توقعت بندل ، فقد بدأ جورج يغمغم ببعض الكلمات الغامضة .

قال اللورد فى تعاطف : " إننى متفهم لمشاعرك . جرب أن تتناول البيض واللحم . أو بعضا من الحدوق "

" إنه لطارىء لم يخطر على البال ـ كارثة قومية ـ بعدد الامتيازات التى تم الاتفاق عليها ـــ " .

رد اللورد : " خذ وقتك . وتناول بعض الطعام . أنت بحاجة إلى بعض الطعام حتى تهدأ أعصابك . أتريد بيضا

مسلوق ؟ كان هناك بيض مسلوق هنا منذ دقيقة أو دقيقتين " .

" لا أريد أى طعام . لقد تناولت إفطارى ، وحتى لو لم أكن قد تناولته . فليس لدىّ أية شهية له الآن . علينا أن نفكر فيما ينبغى القيام به . ألم تخبر أحدا بهذا بعد ؟ " .

" لا أحد يعرف سواى و بندل . والشرطة المحلية وكذلك كارترايت . وجميع الخدم يعرفون بالطبع "

همهم جورج غاضبا .

قال اللورد كاترهام فى رفق . " هدىء أعصابك يا صديقى العزيز (كنت أتمنى لو تناولت شيئا من الطعام) يبدو لى أنك لا تدرك أن من غير الممكن إخفاء أمر جريمة قتل فلابد من دفن الجثة وغير ذلك مما يجب القيام به . إنه أمر مؤسف ، إلا أنه واقع الحال " .

هنا هدأت أعصاب جورج بغتة .

" أنت محق يا كاترهام أقلت إنك استدعيت الشرطة المحلية ؟ هذا لن يكون كافيا علينا أن نستدعى المراقب باتل من سكوتلانديارد . إنه رجل يتميز بأكبر قدر من الحكمة والحذر . ولقد عمل معنا فى تلك القضية المحزنة الخاصة بأموال الحزب " .

سأل اللورد كاترهام بشيء من الاهتمام : " ماذا عن تلك القضية ؟ " .

لا أن عينى جورج وقعتا على بندل وهى تجلس إلى نافذة ونصف جسدها يخرج منها . وحينئذ تذكر مسألة الحذر والكتمان فى الوقت المناسب ، عندها انتبه إليها جورج .

" علينا ألا نبدر أى وقت . علينا أن نرسل بعض البرقيات على الفور "

" اكتبها وسوف تمليها بندل لمكتب البريد عبر الهاتف " .

فأخرج جورج قلم حبر وبدأ يكتب فى سرعة شديدة ثم البرقية الأولى لبندل . التى قرأتها باهتمام كبير .

" يا إلهى ! ياله من اسم ، ماذا ؟ " .

" البارون لولوبريتزيل " .

فنظرت إليه بندل فى استغراب .

" لقد قرأته ، ولكن سيكون من الصعب علىّ أن أمليه على موظف مكتب البريد "

تابع جورج الكتابة ، ثم ناول ما كتبه إلى بندل ، ثم توجه بكلامه إلى سيد المنزل :

" إن أفضل خطوة يمكن أن تقوموا بها يا كاترهام ـــــ "

قال اللورد كاترهام فى توجس : " أجل " .

" هو أن تتركا لى تصريف كل شيء " .

قال اللورد كاترهام بنبرة حماسية : " بالتأكيد . هذا هو تحديدا ما كنت أفكر فيه . ولسوف تجد دكتور

كارترايت والشرطة فى قاعة المجلس . مع الـ ـــ مع الجثة . كما تعلم عزيزى لوماكس . إننى أضع تشيمنيز بأكملها تحت تصرفك فافعل ما تشاء "

" أشكرك . ولو أردت استشارتك فى ـــــ "

إلا أن اللورد كاترهام كان قد اختفى من الغرفة فى لمح البصر . وراقبته بندل وهو يهرع إلى الخارج بابتسامة متجهمة

قالت : " سأرسل هاتين البرقيتين على الفور . هل تعرف الطريق إلى قاعة المجلس ؟ "

" أشكرك يا ليدى إيلين "

وأسرع جورج بدوره إلى القاعة .

الفصل ١١

وصول المحقق باتل

كان اللورد كاترهام متوجسا من أن يلجأ إليه جورج استشارته لدرجة أنه قضى الصباح كله فى التجوال فى قاعيته . ولم يعد به إلى المنزل إلا الجوع كما أنه كان رى أن من المؤكد أن أسوأ ما فى الموقف قد انتهى .

تسلل إلى داخل المنزل فى هدوء من خلال باب جانبى صغير . ومن هناك تسلل فى سلاسة إلى حجرته الخاصة ل سعيدا بنفسه لأن أحدا لم ينتبه لدخوله . إلا أنه كان مخصا فلم يكن تريدويل تفوته صغيرة أو كبيرة . فأظهر ه نفسه لدى الباب .

" معذرة يا سيدى ـــــ "

" ما الأمر يا تريدويل ؟ "

" إن السيد لوماكس . متلهف للقائك بالمكتبة عندما تعود يا سيدى " .

بنفس هذا الأسلوب الرقيق أبلغه تريدويل بأن اللورد كاترهام لم يعد بعد ، هذا ما لم يقرر اللورد ذاته أن يقول ذلك .

تنهد اللورد كاترهام ، ثم نهض .

" أرى أن من الأفضل لقاءه عاجلا وليس آجلاً . هل قال لك إنه بالمكتبة ؟ " .

" أجل يا سيدى " .

توجه اللورد كاترهام وهو يتنهد ثانية ، عابرا الساحات الفسيحة فى منزله الذى يعود لأسلاف أسلافه إلى باب المكتبة . كان الباب مغلقا ، وعندما حاول فتحه ، وجد أنه مغلق من الداخل . ولكنه انفتح قليلا . ليظهر منه وجه جورج لوماكس وهو ينظر فى ريبة .

تغير وجهه حينما عرف من وراء الباب .

" آه كاترهام ، ادخل . لقد كنا نتساءل للتو عما قد يكون جرى لك " .

فتمتم ببعض الكلمات المبهمة عن واجبات كان عليه القيام بها فى الإقطاعية . وإصلاحات للمستأجرين ، ثم دلف معتذرا . كان هناك رجلان آخران فى الغرفة أحدهما الكولونيل ميلروز ، رئيس الشرطة . أما الآخر فكان رجلا متوسط العمر ، ضخم الجثة ، ذا وجه خال من التعبيرات لدرجة ملحوظة .

قدمه له جورج : " لقد وصل المحقق باتل منذ نصف ساعة . لقد كان مع المفتش بادجورثى . وقابل الدكتور ترايت . وهو الآن يريد معرفة بعض المعلومات منا " .

وجلسوا جميعا . بعد أن حيا اللورد كاترهام ميلروز وكذلك قدم تحياته لباتل .

قال جورج : " إننى حريص على أن أخبرك يا باتل بأن هذه قضية علينا أن نتوخى معها السرية التامة " .

أومأ المفتش بأسلوب مرتجل استحوذ على إعجاب اللورد كاترهام .

" سيكون كل شىء على ما يرام ، سيد لوماكس . على ألا تخفوا شيئا عنا . لقد فهمت أن السيد القتيل كان يدعى الكونت ستانيسلاوس - هذا على الأقل الاسم الذى عرفه به قاطنو هذا المنزل . ولكن هل هذا هو اسمه الحقيقى ؟ " .

" لم يكن كذلك " .

" فما اسمه الحقيقى ؟ " .

" الأمير مايكل من هيرتزوسلوفاكيا " .

اتسعت عينا باتل بعض الشىء ، دون أن يظهر أى إشارات أخرى .

" هل لى أن أسأل عن الغرض من تلك الزيارة . هل جاء للاستمتاع والتنزه فقط ؟ " .

" بل كان هناك موضوع آخر يا باتل . موضوع على على درجة من السرية بالطبع " .

" نعم . نعم يا سيد لوماكس "

" كولونيل ميلروز ؟ "

" بالطبع " .

" الحقيقة أن الأمير مايكل كان هنا لغرض معلن وهو لقاء السيد هيرمان إيزاكشتاين ؛ حيث كان سيتم الترتيب لقرض مالى وفق شروط معينة "

" ما هى ؟ " .

" لا علم لى بالتفاصيل الدقيقة لهذا الأمر . كما أنهم لم يكونوا قد توصلوا إلى أية شروط بعد . ولكن الأمير مايكل كان قد ألزم نفسه . حال وصوله إلى العرش . بأن يمنح بعض امتيازات النفط إلى الشركات التى يملك السيد إيزاكشتاين مصالح معها . وكانت الحكومة البريطانية مستعدة لدعم مطالبة الأمير مايكل بالعرش . فى ضوء تأييده للحكومة البريطانية "

قال المحقق باتل " الحقيقة أننى لا أرى حاجة لى بالدخول فى المزيد من هذه التفاصيل . فقد كان الأمير مايكل بحاجة إلى المال . بينما السيد إيزاكشتاين بحاجة إلى النفط . والحكومة البريطانية كانت مستعدة للعب دور الراعى . لى سؤال واحد فقط . هل هناك آخرون يسعون لامتيازات النفط تلك ؟ "

" أعتقد أن هناك مجموعة من رجال الأعمال الأمريكيين قدموا لسموه عروضا بشأن هذا الأمر " .

" وتم رفضها ؟ " .

لا أن جورج أبى أن يستدرج فى الحديث أكثر من ذلك .

" إن كل المساندين للأمير مايكل من البريطانيين " .

ولم يشأ المحقق باتل التركيز أكثر من هذا على تلك النقطة .

" لورد كاترهام . أفهم أن هذا ما حدث بالأمس . عندما غادرت الأمير مايكل فى المدينة وسافرتما معا إلى هنا . حيث رافق الأمير خادمه . وهو هيرتزوسلوفاكى اسمه بوريس أنشوكوف . لكن مرافقه الكابتن ستراسى بقى بالمدينة . وحينما وصل الأمير أعلن أنه متعب للغاية . وصعد إلى الجناح المخصص له . وتم تقديم العشاء له هناك . ولم يلتق بقية المدعوين إلى الحفل . هل ما أسرده الآن صحيح ؟ " .

" صحيح جدا "

وفى هذا الصباح اكتشفت إحدى الخادمات الجثة فى الساعة الثامنة إلا الربع . وقام الدكتور كارترايت بفحص الجثة ليجد أن الوفاة كانت نتيجة رصاصة مسدس . لم يتم العثور على المسدس . ولم يسمع أحد بالمنزل صوت الرصاصة . ومن ناحية أخرى تحطمت ساعة يد القتيل إثر سقوطه . وقد توقفت عقاربها عند الساعة الثانية عشرة إلا الربع وهو الوقت الذى وقعت فيه الجريمة . فما هو الوقت الذى آويتم فيه إلى فراشكم الليلة الماضية ؟ " .

" آوينا إلى الفراش مبكرا . فلم تكن أمور الحفل تسير بسلاسة . إن كنت تفهم مقصدى أيها المراقب . وقد صعدنا إلى غرفنا فى العاشرة والنصف . حسبما أتذكر"

" أشكرك . والآن سوف أطلب منك يا لورد كاترهام أن تقدم لى وصفا لجميع قاطنى هذا المنزل " .

" ولكن معذرة . لقد ظننت أن الجانى شخص قدم من الخارج ؟ " .

ابتسم المحقق باتل

" يمكننى القول بأن هذا صحيح . يمكننى قول هذا ولكن لابد فى كل الأحوال أن أعرف هوية من كانو بالمنزل إنها مسألة روتينية ، كما تعلم" .

" حسنا . كان هناك الأمير مايكل وخادمه والسيد هيرمان إيزاكشتاين . وأنت تعرف كل شىء عن هؤلاء وهناك السيد إيفرسلاى ـــــ "

واضاف جورج فى تنازل وتعطف مبادرا " الذى يعمل فى شقتى "

" ومن كان يعرف ايضا بالسبب الحقيقى وراء وجود الأمير مايكل هنا ؟ "

رد جورج فى حذر " كلا . لا يمكن أن نقول هذا الأكيد أنه أدرك أن هناك أمرا خافيا عنه . لكننى لم أر داعيا لأن أفضى إليه بشىء كهذا " .

" فهمت . هلا تابعت كلامك يا لورد كاترهام ؟ "

" دعنى اتذكر . كان هناك السيد هيرام فيش " .

" ومن هو السيد هيرام فيش ؟ "

" السيد فيش أمريكى الجنسية جاء ومعه خطاب تعارف من السيد لوسيوس جوت ـ هل سمعت به من قبل ؟ " .

ابتسم المحقق باتل موافقا " فمن ذا الذى لم يسمع بـ " لوسيوس سى جوت " . الملياردير الكبير ؟ " .

" كان متلهفا لأن يرى طبعاتى الأولى . وبالطبع فإن لا شىء يضاهى مجموعة السيد جوت . إلا أن لدىّ كنوزى خاصة بى كذلك . وهذا السيد فيش كان متحمسا لها فقد اقترح السيد لوماكس أن أطلب حضور شخص أو شخصين إضافيين إلى هنا فى هذه العطلة حتى تبدو الأمور طبيعية . لذا فقد انتهزت الفرصة ودعوت السيد فيش . هؤلاء هم كل الرجال هنا . أما بالنسبة للسيدات . فليس هناك سوى السيدة ريفيل ـ وأتوقع أن تكون قد أحضرت معها خادمتها أو شيئا من هذا القبيل . ثم هناك ابنتى . وطبعا الأطفال ومربيتهم مديرة المنزل والخادمات "

توقف اللورد كاترهام لحظات يلتقط فيها أنفاسه

فقال المحقق باتل " أشكرك . لقد كانت مجرد مسألة روتينية . إلا أنها ضرورية "

فتساءل جورج بأسلوب أخرق " أعتقد أنه لا شك فى أن يكون القاتل قد دخل من النافذة ؟ "

توقف باتل للحظات قبل أن يرد ببطء .

" معك يا سيدى اللورد . أرجو المعذرة يا سيدى اللورد فلم أسمع جيدا ما قلته لى " .

خيم الصمت لوقت طويل . كان المفتش خلاله يستمع . وتعبيرات متعددة تتسارع على ملامح وجهه التى اعتادت البرود . وفى النهاية أعاد السماعة إلى مكانها بعد رد موجز أخير : " على الفور . سيدى "

التفت المفتش إلى جونسون . والاهتمام طاغ على وجهه .

" إنها مكالمة من سيادة اللورد - فى تشيمنيز - جريمة قتل "

ردد جونسون بنبرة تحمل قدرا مناسبا من الدهشة : " جريمة قتل "

قال المفتش بارتياح كبير : " إنها جريمة قتل إذن "

" لم تحدث من قبل جرائم قتل هنا - حسب علمى - فيما عدا وقت أن أطلق توم بيرس النار على عشيقته " .

قال المفتش فى استهجان : " وحتى هذه لم تكن بجريمة قتل حقيقية ، فقد كان مخمورا "

وافقه جونسون فى وجوم : " لم يتم إعدامه . إلا أن هذه الجريمة هذه المرة جريمة حقيقية ، أليس كذلك يا سيدى ؟ " .

بالفعل يا جونسون . فلقد تم اكتشاف أن أحدهم قد أطلق النار على أحد ضيوف سيادة اللورد . سيد أجنبى وجدوا النافذة مفتوحة . وآثار أقدام بالخارج " .

قال جونسون بنبرة أسف : " يحزننى كونه أجنبيا "

وكأنما قللت جنسية القتيل من أهمية الجريمة . فقد كان جونسون يرى أن الأجانب يستحقون القتل .

تابع المفتش كلامه قائلا : " إن مركز اللورد الخاص به فى منطقة نائية . ولسوف نصطحب معنا الدكتور كارترايت على الفور . وأتمنى من الله ألا يعبث أحد بآثار الأقدام تلك "

إن الفرحة لا تسع بادجورثى الآن . إنها جريمة قتل ! وفى تشيمنيز ! والمفتش بادجورثى مسئول عن القضية . كما أن لدى الشرطة مفتاحا لحل اللغز . سوف تكون المسألة سهلة نوعا ما . وسيتلقى المفتش المذكور أعلاه الترقية ومعها الصيت والشهرة

قال المفتش بادجورثى لنفسه : " هذا ما لم تسارع سكوتلانديارد بدس أنفها فى القضية " .

وما إن خطر له هذا الخاطر حتى هبطت معنوياته لحظات . فقد بدا هذا الاحتمال واردا خاصة فى ظل مثل هذه الظروف .

توقفا عند مكتب الدكتور كارترايت . والذى أبدى – وهو الطبيب الشاب نسبيا – اهتماما صادقا . فكانت ردود أفعاله مطابقة لما أبداه جونسون .

صاح الطبيب متعجبا . " لماذا ؟ . بوركت روحى فنحن لم نحقق فى جريمة قتل منذ جريمة توم بيرس " .

ودلف ثلاثتهم إلى داخل سيارة الطبيب الصغيرة . وانطلقوا بها إلى تشيمنيز . وعند مرورهم بالمقهى المحلى – جولى كريكيترز – لمح الطبيب رجلا يقف عند بابه

فقال معلقا : " إنه غريب إلا أنه وسيم الطلعة ترى متى جاء إلى هنا ؟ وماذا يفعل خلال وجوده فى الكريكيترز ؟ فلم اره من قبل . لابد أنه قد وصل الليلة الماضية " .

فقال جونسون : " إنه لم يصل إلى هنا بالقطار "

فقد كان هناك أخ لجونسون يعمل كحمال بمحطة القطار المحلية . ومن هنا كان جونسون على دراية بكل من يصل أو يغادر .

سأله المفتش : " ومن وصل إلى هنا قاصدا " تشيمنيز " بالأمس ؟ " .

" الليدى إيلين . لقد وصلت عند الرابعة والنصف بصحبة سيدين . أحدهما أمريكى والآخر عسكرى شاب – ولم يكن معهم أى خدام . وقد أتى اللورد بصحبة سيد أجنبى – ذلك الذى لقى مصرعه – عند الساعة الخامسة وأربعين دقيقة . ومعهما خادمة

أجنبى . وقد أتى السيد إيفرسلاى على متن نفس القطار . بينما وصلت السيدة ريفيل فى قطار السابعة وخمس وعشرين دقيقة . وفى نفس القطار وصل رجل ذو ملامح أجنبية . أصلع وذو أنف معقوف . وقدمت خادمة السيدة ريفيل فى قطار التاسعة إلا أربع دقائق " .

صمت جونسون ليلتقط أنفاسه

" ولم ينزل أى منهم فى الكريكيترز ؟ " .

فهز جونسون رأسه نافيا .

فقال المفتش " لابد أنه قد أتى بالسيارة إذن . عليك بإجراء تحقيقات فى الكريكيترز فى طريق عودتك يا جونسون . نريد أن نعرف كل شيء عن أى غرباء هناك – وجه الرجل مسمر بفعل الشمس . ومن الممكن ان يكون قادما من بلاد أجنبية "

وأومأ المفتش برأسه فى حصافة . كما لو أن هذا يوحى بأن ما قاله ينم عن مدى فراسته ويقظته – وأن من غير الممكن أن يضبطه أحد غافيا مهما كانت الظروف .

مرت السيارة عبر بوابات متنزه تشيمنيز . يمكن للمرء أن يجد توصيفات لهذا المكان التاريخى فى أى دليل سياحى . كما أنه يحتل المرتبة الثالثة فى تصنيف مجموعة " المنازل التاريخية فى إنجلترا " . واعتادت الغرباء أن تأتى أيام الخميس من ميدلنهام لمشاهدة قسامه المتاحة للعامة . وفى ظل كل تلك المرافق ، يبدو وصف تشيمنيز أمرا لا طائل من ورائه .

قابلهم لدى البوابة كبير الخدم . رجل أشيب الشعر يبدو عليه حسن السلوك .

وكأنما يقول لهم من خلال تصرفاته : " نحن لم نعتد على وقوع أية جرائم قتل داخل هذه الأسوار ، إلا أننا فى أيام مشئومة . وعلينا أن نواجه الكارثة بأعصاب هادئة . وأن نتظاهر بأن لا شيء غريب قد حدث " .

قال كبير الخدم : إن فخامة اللورد بانتظاركم . من هذا إذا سمحتم " .

قادهم الخادم إلى غرفة صغيرة مريحة يلوذ إليها اللورد بعيدا عن الفخامة التى يعج بها المكان ، ثم أعلمه بقدومهم .

" الشرطة يا سيدى . والدكتور كارترايت " .

كان اللورد كاترهام يقطع أرجاء الغرفة جيئة وذهاب وهو فى حالة هياج شديد .

" ها قد ظهرت أخيرا أيها المفتش . وأنا ممتن لهذا كيف حالك يا كارترايت ؟ تعلم أننا أمام فعلة شريرة فعلة شريرة جدا " .

بدا اللورد كاترهام - وهو يمرر يديه خلال شعره بطريقة عصبية ، حتى صار أشعث - على خلاف تلك الصورة التى اعتاد الناس أن يروه عليها .

سأل الطبيب فى اقتضاب عملى : " أين الجثة ؟ "

التفت إليه اللورد كاترهام وكأنما أراحه أن يوجه إليه أحد سؤالا مباشرا .

" فى قاعة المجلس - حيث وجدناها - لم أسمح لأحد بأن يمسها . وأعتقد أن هذا ... هذا هو أسلم تصرف ممكن "

وافقه المفتش قائلا : " بالفعل يا سيدى اللورد " .

ثم أخرج مفكرة صغيرة وقلما رصاصا وهو يسأل :

" ومن الذى اكتشف الجثة ؟ أنت ؟ " .

" أوه ... كلا . أتظن أننى معتاد على الاستيقاظ فى تلك الساعة الغريبة من الصباح ؟ لقد وجدتها واحدة من خادمات المنزل . وأعتقد أنها لم تتوقف عن الصراخ وقتها - إلا أننى لم أسمعها بنفسى . بعدها أعلمونى بالخبر . فاستيقظت وهبطت إلى أسفل - هذا ما حدث " .

" هل تعرفت على الجثة باعتبارها جثة واحد من ضيوفك ؟ " .

" هذا صحيح أيها المفتش " .

" بالاسم ؟ "

كان هذا السؤال شديد البساطة كفيلا بإزعاج اللورد كاترهام . ففتح فمه مرة أو مرتين . ثم أغلقه وفى نهاية سأل بصوت خافت

" هل تقصد ... هل تقصد ... اسمه ؟ " .

" نعم سيدى " .

قال اللورد كاترهام . وهو يجول ببصره فى بطء عبر أرجاء الغرفة . وكأنما يأمل أن يهبط عليه وحى : " إن اسمه - أو بالأحرى كان اسمه - الكونت ستانيسلاوس " .

كان هناك شيء بالغ الغرابة في تصرفات اللورد كاترهام ، لدرجة أن المفتش توقف عن استخدام قلمه وأخذ يحدق فيه . ولكن في تلك اللحظة حدث تغيير تنفس له الصعداء .

انفتح الباب عن فتاة دلفت إلى الغرفة . كانت طويلة ونحيفة وسمراء البشرة ، ذات وجه طفولي جذاب ، وثقة واضحة بالنفس . كانت هذه الفتاة هي الليدي إيلين برينت ، والتي تعرف باسم " بندل " ، الابنة الكبرى للورد كاترهام . أومأت إيلين برأسها تحيي الآخرين ، ثم خاطبت والدها مباشرة :

" لقد توصلت إليه " .

كان المفتش على وشك بأن يهرع نحوها ظنا منه أن الليدي قد ألقت القبض على القاتل متلبسا . إلا أنه سرعان ما أدرك أنها كانت تعني شيئا غير ذلك .

فقد وجد اللورد كاترهام يتنفس الصعداء ، ويقول :

" أحسنت صنعا . وما الذي قاله ؟ " .

" إنه في الطريق إلى هنا . وعلينا أن نتوخى أقصى درجات السرية " .

تمتم الأب منزعجا :

" هذا ما يقوله دوما جورج لوماكس ، ولكن بمجرد أن يأتي إلى هنا سأنفض يدي عن الأمر برمته " .

ابتهج اللورد قليلا لمجرد ورود هذه الفكرة على خاطره .

تساءل الطبيب : " وهل كان اسم القتيل الكونت سانيسلاوس ؟ " .

تبادل الأب وابنته نظرة خاطفة ، ثم قال الأول بشيء من الأنفة :

" بالتأكيد ، لقد ذكرت هذا للتو " .

قال كارترايت مفسراً مقصده : " سبب سؤالي هو أنك لم تكن واثقا من هذا " .

فغمز بعينه سريعا ، ثم نظر إليه اللورد كاترهام في وجس .

وقال بنبرة سريعة : " سأصطحبكم إلى غرفة المجلس " .

تبعوه ، وكان المفتش في المؤخرة ، يسدد نظرات حادة إلى كل ما حوله . وكأنما يتوقع أن يجد حل اللغز في أحد إطارات اللوحات ، أو قابعا وراء باب .

تناول اللورد كاترهام مفتاحا من جيبه وفتح الباب . ودلفوا جميعا إلى غرفة كبيرة يغطي جدرانها خشب البلوط ، مع ثلاث نوافذ فرنسية تطل على الشرفة . كانت هناك مائدة طعام طويلة والعديد من الصناديق المصنوعة من خشب البلوط ، وبعض المقاعد الجميلة عتيقة الطراز . وعلى الجدران كان هناك لوحات متعددة لأفراد توفوا من عائلة كاترهام وغيرها .

بالقرب من الجدار الأيسر . وعلى مسافة متوسطة بين الباب والنافذة . رقدت الجثة على ظهرها ، بينما الذراعان ممتدتان عن آخرهما إلى جانبيه .

انحنى الدكتور كارترايت بالقرب من الجثة يفحصها بينما خطا المفتش سريعا نحو النوافذ وأخذ يتفحصها بدوره . كانت الوسطى مغلقة . إلا أنها لم تكن مغلقة بالمزلاج . وعلى درجات السلم بالخارج آثار أقدام متجهه نحو النافذة . وأخرى تبتعد عن المكان .

قال المفتش ملوحا برأسه : " هذا واضح . إلا أن من المفترض أن تكون هناك آثار أقدام بالداخل كذلك . كانت ستبدو ظاهرة على هذه الأرضية الخشبية "

فتدخلت بندل قائلة " أعتقد أن بوسعى تفسير هذا فقد قامت الخادمة بتلميع نصف هذه الأرضية هذا الصباح قبل أن تكتشف الجثة . وكما ترى فإن الشمس لم تكن قد بزغت حينما دلفت إلى هذا المكان . وتوجهت مباشرة إلى النوافذ . وأزاحت الستائر . وبدأت تمسح الأرضية . ومن الطبيعى ألا ترى الجثة التى كانت متوارية من هذا الجانب من الغرفة وراء الطاولة . فلم ترها حتى وصلت إليها " .

أطرق المفتش برأسه موافقا دون أن يعلق .

فقال اللورد وهو يتلهف على الخروج من المكان " حسناً . سأترككم هنا أيها المفتش . وإن ... احتجتم إلىّ فسوف تجدوننى . لكن السيد جورج لوماكس قادم الآن

من ويفيرن آبى . وسوف يتمكن من إخباركم بالمزيد من المعلومات . فالأمر يخصه فى الحقيقة . ليس بوسعى أن أوضح . ولكنه سيوضح لكم كل شيء حينما يأتى " .

ثم غادر اللورد كاترهام المكان دون انتظار أى رد .

كان يقول لنفسه متذمرا . " لم يكن جيدا منك يا لوماكس أن تورطنى فى هذا الأمر . ما الأمر يا تريدويل ؟ " .

كان كبير الخدم أشيب الشعر يسير على مقربة منه بشبه أوامره .

" لقد أعطيت لنفسى يا سيدى اللورد الحق فى تأخير ساعة الإفطار إلى أن تفرغ . وكل شيء معد فى غرفة الطعام " .

قال اللورد واجما . وهو يتحول إلى اتجاه غرفة الطعام : " لا أعتقد أن لى شهية لأى شيء الآن . الآن على الأقل "

دست بندل يدها فى ذراعه . ودلفا معا إلى غرفة الطعام على المنضدة العريضة الجانبية عدد من الأطباق الفضية الثقيلة تحتفظ بسخونة ما تحويه من طعام بفضل بعض الإجراءات المبتكرة فى انتظام بديع .

قال اللورد وهو يرفع كل غطاء على الترتيب : " بيض مخفوق . بيض ولحم بارد . كلاوى . لحم طيور متبل . حدوق . لحم ديك بارد . لا أحب أيا من هذه

الأصناف يا تريدويل . اطلب من الطاهى أن يسلق لى بيضة من فضلك " .

" حسنا يا سيدى " .

غادر تريدويل الغرفة بينما أخذ اللورد يتناول فى شرود الكثير من الكلاوى واللحم البارد ، ثم صب لنفسه قدحا من القهوة . وجلس إلى المائدة الطويلة بينما كانت بندل مشغولة بتناول صحن ملىء بالبيض واللحم .

قالت بندل وفمها يكتظ بالطعام : " إننى جائعة جدا . لابد أن هذا بسبب كل هذه الإثارة " .

علق الأب متذمرا : " وهذا طبيعى لمن هم فى مثل سنك . فأنتم تحبون الإثارة ، بينما أنا أعانى من صحة عليلة . وعلىّ أن أتفادى أى مصدر للتوتر ، كما نصحنى السير أبنر ويليس - من السهل على شخص يجلس فى عيادته بشارع هارلى أن يقول ذلك . فكيف لى أن أتفادى التوتر بينما يورطنى ذلك الأحمق لوماكس فى أمر كهذا ؟ كان علىّ أن أتحلى بصرامة أكبر وقتها " .

نهض اللورد وهو يهز رأسه ، وملأ صحنه ببعض اللحم البارد .

علقت بندل فى جذل : " لابد أن كودرز قد فعلها هذه المرة . فقد كان متوترا وأنا أحدثه عبر الهاتف . وسوف يصل إلى هنا خلال دقيقة أو دقيقتين ، وقد طلب منى بإلحاح أن أتحلى بالسرية والحذر " .

تأوه اللورد ساخطا .

سأل قائلا : " هل كان مستيقظا ؟ "

" أخبرنى بأنه كان مستيقظا يملى الرسائل والمذكرات منذ السابعة صباحا " .

علق الأب : " يبدو أنه فخور بذلك . كم هم أنانيون أولئك الساسة . يفرضون على موظفيهم التعساء الاستيقاظ فى ساعة مبكرة جدا لأجل أن يملوا عليهم هراءً لا قيمة له . لو كان هناك قانون يفرض عليهم لزوم الفراش حتى الحادية عشرة ، لعاد ذلك بفائدة جمة على هذه الأمة . ولم أكن لأمانع لو لم يتحدثوا بمثل هذا الهراء . وكثيرا ما حدثنى لوماكس عن وضعى الاجتماعى . كما لو أن لى وضعا من الأصل . من ذاك الذى يود أن يكون من طبقة النبلاء هذه الأيام ؟ "

قالت : " لا أحد . إنهم يفضلون على هذا منزلا عامرا " .

عاد تريدويل فى صمت ومعه صحن فضى صغير يحوى بيضتين مسلوقتين . وضعه على المائدة أمام اللورد

قال الأخير وهو ينظر إلى الصحن فى امتعاض : " ما هذا يا تريدويل ؟ " .

" بيض مسلوق يا سيدي"

قال اللورد بنبرة متذمرة : " إننى لا أحب البيض مسلوق . فهو عديم الطعم . بل إننى لا أحب النظر إليه . فلا أخذته من هنا يا تريدويل ؟ " .

" حسنا يا سيدى " .

حمل تريدويل الصحن وعاد فى صمت مثلما جاء .

علق اللورد بارتياح : " أحمد الله على أن أحدا لا يستيقظ مبكرا فى هذا المنزل . أرى أن علينا أن نخبرهم بما حدث حين يستيقظون " .

قالها وتنهد .

قالت بندل : " ترى من يكون قد قتله . وما دافعه إلى هذا ؟ "

قال اللورد : " لنشكر الله على أن هذا ليس من شأننا . فهو شأن الشرطة لكننى لا أتوقع أن يتوصل بادجورثى إلى أى شيء . على أننى أتمنى أن يكون من فعلها هو نوزيشتاين "

" مما يعنى ـــ "

" اتحاد كل البريطانيين " .

" ولماذا يقتله السيد إيزاكشتاين وهو الذى أتى إلى هنا بغرض مقابلته ؟ "

قال اللورد كاترهام فى غموض : " التمويل . وهو ما يذكرنى بأن ليس علىّ أن أتعجب مطلقا من أن إيزاكشتاين لم يكن ممن يستيقظون مبكرا . وقد يدخل علينا الآن فى أية لحظة . إنها عادة فى المدينة . وأعتقد أنه مهما كان ثراؤك ، فإنك تلحقين دوما بقطار التاسعة وسبع عشرة دقيقة "

فجأة سمعا صوت سيارة تمرق سريعة عبر النافذة المفتوحة

صاحت بندل : " إنه كودرز "

تطلع الأب وابنته عبر النافذة وحيا سائق السيارة وهو يتوقف بها عند المدخل .

صاح اللورد وهو يزدرد اللحم الذى يملأ فمه : " هنا ـ عزيزى ، هنا " .

لم يكن جورج ينتوى بالطبع تسلق الجدار إلى النافذة . وسرعان ما دلف من البوابة الأمامية ، ليظهر أمامهم دالفا الغرفة وراء تريدويل الذى سرعان ما غادر المكان .

قال اللورد وهو يصافحه : " تعال لنتناول الإفطار . ما رأيك فى تناول شيء من الكلاوى ؟ " .

نحى جورج صحن الكلاوى فى تعجل .

" هذه مصيبة مروعة ، مروعة . مروعة " .

" بالفعل . هل تريد بعض الحدوق ؟ " .

" كلا . لابد ألا يعلم أحد شيئا عن هذا الحادث ـ مهما كان الثمن "

وكما توقعت بندل . فقد بدأ جورج يغمغم ببعض الكلمات الغامضة

قال اللورد فى تعاطف : " إننى متفهم لمشاعرك حرب أن تتناول البيض واللحم ، أو بعضا من الحدوق "

" إنه لطارىء لم يخطر على البال ـ كارثة قومية ـ بعدد الامتيازات التى تم الاتفاق عليها ـــــ " .

رد اللورد : " خذ وقتك . وتناول بعض الطعام . أنت بحاجة إلى بعض الطعام حتى تهدأ أعصابك . أتريد بيضا

مسلوقا ؟ كان هناك بيض مسلوق هنا منذ دقيقة أو دقيقتين " .

" لا أريد أى طعام لقد تناولت إفطارى ، وحتى لو لم أكن قد تناولته . فليس لدىّ أية شهية له الآن . علينا أن نفكر فيما ينبغى القيام به . ألم تخبر أحدا بهذا بعد ؟ " .

" لا أحد يعرف سواى و بندل . والشرطة المحلية وكذلك كارترايت . وجميع الخدم يعرفون بالطبع "

همهم جورج غاضبا .

قال اللورد كاترهام فى رفق : " هدىء أعصابك يا صديقى العزيز . (كنت أتمنى لو تناولت شيئاً من الطعام) . يبدو لى أنك لا تدرك أن من غير الممكن إخفاء أمر جريمة قتل . فلابد من دفن الجثة وغير ذلك مما يجب القيام به . إنه أمر مؤسف . إلا أنه واقع الحال " .

هنا هدأت أعصاب جورج بغتة

" أنت محق يا كاترهام . أقلت إنك استدعيت الشرطة المحلية ؟ هذا لن يكون كافيا . علينا أن نستدعى المراقب باتل من سكوتلانديارد إنه رجل يتميز بأكبر قدر من الحكمة والحذر ولقد عمل معنا فى تلك القضية المحزنة الخاصة بأموال الحزب " .

سأل اللورد كاترهام بشيء من الاهتمام : " ماذا عن تلك القضية ؟ " .

إلا أن عينى جورج وقعتا على بندل وهى تجلس إلى النافذة ونصف جسدها يخرج منها . وحينئذ تذكر مسألة الحذر والكتمان فى الوقت المناسب . عندها انتبه إليها فنهض .

" علينا ألا نبدر أى وقت . علينا أن نرسل بعض البرقيات على الفور " .

" اكتبها وسوف تمليها بندل لمكتب البريد عبر الهاتف " .

فأخرج جورج قلم حبر وبدأ يكتب فى سرعة شديدة . وناول البرقية الأولى لبندل . التى قرأتها باهتمام كبير .

" يا إلهى ! ياله من اسم ، ماذا ؟ " .

" البارون لولوبريتزيل " .

فنظرت إليه بندل فى استغراب .

" لقد قرأته . ولكن سيكون من الصعب علىّ أن أمليه على موظف مكتب البريد "

تابع جورج الكتابة ، ثم ناول ما كتبه إلى بندل . ثم توجه بكلامه إلى سيد المنزل .

" إن أفضل خطوة يمكن أن تقوموا بها يا كاترهام ـــــ "

قال اللورد كاترهام فى توجس : " أجل " .

" هو أن تتركا لى تصريف كل شىء " .

قال اللورد كاترهام بنبرة حماسية : " بالتأكيد ، هذا هو تحديدا ما كنت أفكر فيه . ولسوف تجد دكتور

كارترايت والشرطة فى قاعة المجلس . مع الـ ـــ مع الجثة . كما تعلم . عزيزى لوماكس ، إننى أضع تشيمنير بأكملها تحت تصرفك . فافعل ما تشاء " .

" أشكرك . ولو أردت استشارتك فى ـــــ "

إلا أن اللورد كاترهام كان قد اختفى من الغرفة فى لمح البصر . وراقبته بندل وهو يهرع إلى الخارج بابتسامه متجهمة .

قالت : " سأرسل هاتين البرقيتين على الفور . هل تعرف الطريق إلى قاعة المجلس ؟ " .

" أشكرك يا ليدى إيلين " .

وأسرع جورج بدوره إلى القاعة .

الفصل ١١

وصول المحقق باتل

كان اللورد كاترهام متوجساً من أن يلجأ إليه جورج لاستشارته لدرجة أنه قضى الصباح كله فى التجوال فى قطاعيته . ولم يعد به إلى المنزل إلا الجوع . كما أنه كان يرى أن من المؤكد أن أسوأ ما فى الموقف قد انتهى .

تسلل إلى داخل المنزل فى هدوء من خلال باب جانبى صغير . ومن هناك تسلل فى سلاسة إلى حجرته الخاصة . كان سعيداً بنفسه لأن أحداً لم ينتبه لدخوله ، إلا أنه كان مخطئاً . فلم يكن تريدويل تفوته صغيرة أو كبيرة . فأظهر له نفسه لدى الباب .

" معذرةً يا سيدى ـــــ "

" ما الأمر يا تريدويل ؟ "

" إن السيد لوماكس ، متلهف للقائك بالمكتبة عندما تعود يا سيدى " .

بنفس هذا الأسلوب الرقيق أبلغه تريدويل بأن اللورد كاترهام لم يعد بعد ، هذا ما لم يقرر اللورد ذاته أن يقول ذلك .

تنهد اللورد كاترهام ، ثم نهض .

" أرى أن من الأفضل لقاءه عاجلا وليس آجلا . هل قال لك إنه بالمكتبة ؟ "

" أجل يا سيدى " .

توجه اللورد كاترهام وهو يتنهد ثانية . عابر المساحات الفسيحة فى منزله الذى يعود لأسلاف أسلافه إلى باب المكتبة كان الباب مغلقا . وعندما حاول فتحه . وجد أنه مغلق من الداخل . ولكنه انفتح قليلا . ليظهر منه وجه جورج لوماكس وهو ينظر فى ريبة .

تغير وجهه حينما عرف من وراء الباب .

" آه كاترهام . ادخل . لقد كنا نتساءل للتو عما قد يكون جرى لك " .

فتمتم ببعض الكلمات المبهمة عن واجبات كان عليه القيام بها فى الإقطاعية . وإصلاحات للمستأجرين . ثم دلف معتذرا . كان هناك رجلان آخران فى الغرفة أحدهما الكولونيل ميلروز . رئيس الشرطة . أما الآخر فكان رجلا متوسط العمر ، ضخم الجثة . ذا وجه خال من التعبيرات لدرجة ملحوظة

قدمه له جورج : " لقد وصل المحقق باتل منذ نصف ساعة . لقد كان مع المفتش بادجورثى ، وقابل الدكتور ثرترايت . وهو الآن يريد معرفة بعض المعلومات منا " .

وجلسوا جميعا . بعد أن حيا اللورد كاترهام ميلروز وكذلك قدم تحياته لباتل .

قال جورج : " إننى حريص على أن أخبرك يا باتل ... هذه قضية علينا أن نتوخى معها السرية التامة " .

أومأ المفتش بأسلوب مرتجل استحوذ على إعجاب اللورد كاترهام

" سيكون كل شىء على ما يرام ، سيد لوماكس . على ألا تخفوا شيئا عنا . لقد فهمت أن السيد القتيل كان يدعى الكونت ستانيسلاوس ـ هذا على الأقل الاسم الذى عرفه به قاطنو هذا المنزل . ولكن هل هذا هو اسمه الحقيقى ؟ " .

" لم يكن كذلك "

" فما اسمه الحقيقى ؟ " .

" الأمير مايكل من هيرتزوسلوفاكيا "

تسعت عينا باتل بعض الشىء ، دون أن يظهر أى علامات أخرى .

" هل لى أن أسأل عن الغرض من تلك الزيارة . هل كان للاستمتاع والتنزه فقط ؟ "

" بل كان هناك موضوع آخر يا باتل . موضوع على درجة من السرية بالطبع " .

" نعم ، نعم يا سيد لوماكس "

" كولونيل ميلروز ؟ " .

" بالطبع " .

" الحقيقة أن الأمير مايكل كان هنا لغرض معلن وهو لقاء السيد هيرمان إيزاكشتاين ، حيث كان سيتم الترتيب لقرض مالى وفق شروط معينة " .

" ما هى ؟ " .

" لا علم لى بالتفاصيل الدقيقة لهذا الأمر . كما أنهم لم يكونوا قد توصلوا إلى أية شروط بعد . ولكن الأمير مايكل كان قد ألزم نفسه ، حال وصوله إلى العرش ، بأن يمنح بعض امتيازات النفط إلى الشركات التى يملك السيد إيزاكشتاين مصالح معها . وكانت الحكومة البريطانية مستعدة لدعم مطالبة الأمير مايكل بالعرش ، فى ضوء تأييده للحكومة البريطانية " .

قال المحقق باتل : " الحقيقة أننى لا أرى حاجة للدخول فى المزيد من هذه التفاصيل . فقد كان الأمير مايكل بحاجة إلى المال ، بينما السيد إيزاكشتاين بحاجة إلى النفط ، والحكومة البريطانية كانت مستعدة للعب دور الراعى . لى سؤال واحد فقط . هل هناك آخرون يسعون لامتيازات النفط تلك ؟ " .

" أعتقد أن هناك مجموعة من رجال الأعمال الأمريكيين قدموا لسموه عروضاً بشأن هذا الأمر " .

" وتم رفضها ؟ " .

إلا أن جورج أبى أن يستدرج فى الحديث أكثر من ذلك .

" إن كل المساندين للأمير مايكل من البريطانيين " .

ولم يشأ المحقق باتل التركيز أكثر من هذا على تلك النقطة .

" لورد كاترهام ، أفهم أن هذا ما حدث بالأمس . بقيت الأمير مايكل فى المدينة وسافرتما معاً إلى هنا . حيث رافق الأمير خادمه ، وهو هيرتزوسلوفاكى اسمه بوريس أنشوكوف ، لكن مرافقه الكابتن دراسى بقى بالمدينة . وحينما وصل الأمير أعلن أنه متعب للغاية ، وصعد إلى الجناح المخصص له . وتم تقديم العشاء له هناك ، ولم يلتق بقية المدعوين إلى الحفل . هل ما أسرده الآن صحيح ؟ " .

" صحيح جدا " .

" وفى هذا الصباح اكتشفت إحدى الخادمات الجثة فى الساعة الثامنة إلا الربع . وقام الدكتور كارترايت بفحص الجثة ليجد أن الوفاة كانت نتيجة رصاصة واحدة . لم يتم العثور على المسدس ، ولم يسمع أحد بالمنزل صوت الرصاصة . ومن ناحية أخرى تحطمت الساعة يد القتيل إثر سقوطه ، وقد توقفت عقاربها عند الساعة الثانية عشرة إلا الربع وهو الوقت الذى وقعت فيه الجريمة . فما هو الوقت الذى آويتم فيه إلى فراشكم الليلة الماضية ؟ " .

" آوينا إلى الفراش مبكرا . فلم تكن أمور الحفل تسير بسلاسة . إن كنت تفهم مقصدى أيها المراقب . وقد صعدنا إلى غرفنا فى العاشرة والنصف ، حسبما أتذكر" .

" أشكرك . والآن سوف أطلب منك يا لورد كاترهام أن تقدم لى وصفاً لجميع قاطنى هذا المنزل " .

" ولكن معذرة ، لقد ظننت أن الجانى شخص قدم من الخارج ؟ " .

ابتسم المحقق باتل .

" يمكننى القول بأن هذا صحيح . يمكننى قول هذا ولكن لابد فى كل الأحوال أن أعرف هوية من كانوا بالمنزل إنها مسألة روتينية ، كما تعلم" .

" حسنا . كان هناك الأمير مايكل وخادمه والسيد هيرمان إيزاكشتاين وأنت تعرف كل شىء عن هؤلاء وهناك السيد إيفرسلاى ـــــ "

وأضاف جورج فى تنازل وتعطف مبادرا : " الذى يعمل فى شقتى " .

" ومن كان يعرف أيضا بالسبب الحقيقى وراء وجود الأمير مايكل هنا ؟ " .

رد جورج فى حذر : " كلا ، لا يمكن أن نقول هذا . الأكيد أنه أدرك أن هناك أمرا خافيا عنه . لكننى لم أر داعيا لأن أفضى إليه بشىء كهذا " .

" فهمت . هلا تابعت كلامك يا لورد كاترهام ؟ " .

" دعنى أتذكر . كان هناك السيد هيرام فيش " .

" ومن هو السيد هيرام فيش ؟ " .

" السيد فيش أمريكى الجنسية . جاء ومعه خطاب تعرف من السيد لوسيوس جوت ـ هل سمعت به من قبل؟ " .

ابتسم المحقق باتل موافقا : " فمن ذا الذى لم يسمع بـ " لوسيوس سى . جوت " ، الملياردير الكبير ؟ " .

" كان متلهفاً لأن يرى طبعاتى الأولى . وبالطبع فإن لا شىء يضاهى مجموعة السيد جوت ، إلا أن لدىَّ كنوزى الخاصة بى كذلك . وهذا السيد فيش كان متحمساً لها . وقد اقترح السيد لوماكس أن أطلب حضور شخص أو شخصين إضافيين إلى هنا فى هذه العطلة حتى تبدو الأمور طبيعية . لذا فقد انتهزت الفرصة ودعوت السيد فيش . هؤلاء هم كل الرجال هنا . أما بالنسبة للسيدات ، فليس هناك سوى السيدة ريفيل ـ وأتوقع أن تكون قد أحضرت معها خادمتها أو شيئا من هذا القبيل . ثم هناك ابنتى . وطبع الأطفال ومربيتهم مديرة المنزل والخادمات " .

توقف اللورد كاترهام لحظات يلتقط فيها أنفاسه .

فقال المحقق : " أشكرك . لقد كانت مجرد مسألة روتينية ، إلا أنها ضرورية " .

فتساءل جورج بأسلوب أخرق : " أعتقد أنه لا شك فى أن يكون القاتل قد دخل من النافذة ؟ " .

توقف باتل للحظات قبل أن يرد ببطء .

" كانت هناك آثار أقدام تقود إلى النافذة ، وأخرى تبتعد عنها . وهناك سيارة توقفت خارج المتنزه عند الحادية عشرة وأربعين دقيقة الليلة الماضية . وفى الثانيه عشرة وصل شاب إلى مقهى جولى كريكيترز فى سيارة وحجز غرفة ، ووضع حذاءه خارج باب الغرفة للتنظيف ـ فقد كان مبللا وموحلا للغاية . كما لو كان قد سار به وسط العشب الطويل فى المتنزه " .

مال جورج إلى الأمام فى اهتمام

" أليس من الممكن مضاهاة ذلك الحذاء بهذه الآثار ؟ " .

" لقد تم هذا " .

" والنتيجة ؟ " .

" تطابق تام "

صاح جورج : " ها قد حسمت القضية إذن . لقد نلنا من القاتل . ذلك الشاب ـ ما اسمه ، بالمناسبة ؟ " .

" عرف نفسه بالمقهى باسم أنطونى كيد "

" لابد من البحث عن هذا المدعو أنطونى كيد وإلقاء القبض عليه فورا "

قال المحقق باتل : " لن يكون هناك حاجة بك إلى هذا " .

" لماذا ؟ "

" لأنه لا يزال هناك " .

" ماذا ؟ " .

" أمر مثير للفضول . أليس كذلك ؟ " .

راقبه الكولونيل ميلروز عن كثب .

" ما الذى يدور بعقلك يا باتل ؟ أخبرنا به "

" كل ما قلته هو أن الأمر مثير للفضول وحسب "

فنحن أمام شاب أمامه فرصة للقتل والهرب . إلا أنه ... ولم يهرب . بل بقى هنا . بل وسهل علينا عملية مضاهاة آثار الأقدام " .

" ما رأيك إذن ؟ "

" لم أصل لخيط أفكر فيه . وهو الأمر الذى يشعرنى بالحيرة " .

" هل تتخيل أن ـــ " . وهم الكولونيل ميلروز باستكمال كلامه . إلا أن طرقا على الباب أسكته

نهض جورج ليفتح الباب . كان تريدويل ـ الذى كان يعانى داخليا من اضطراره إلى أن يدق على الأبواب بهذا الأسلوب الرخيص ـ يقف فى اعتداد عند عتبات الباب . ... نادى على سيده .

" معذرة يا سيدى . هناك سيد يرغب فى أن يراك فى أمر عاجل مهم . أعتقد أنه ذو صلة بمأساة هذا الصباح "

سأله باتل بغتة : " وما اسمه ؟ " .

" اسمه سيدى هو السيد أنطونى كيد . إلا أنه قال لى ... لن يبلغ أحدا بشىء " .

كان يبدو أنه قد أتى يحمل رسالة للرجال الأربعه المتواجدين بالغرفة . فجلسوا جميعا وقد ارتسمت على وجوههم درجات متفاوتة من الدهشة

وبدأ اللورد كاترهام فى الضحك بصوت خافت .

" لقد بدأت بالفعل فى الاستمتاع بنفسى . أدخله يـ تريدويل ـ أدخله على الفور "

الفصل ١٢

أنطونى يروى حكايته

أعلن تريدويل مقدما إياه " السيد أنطونى كيد " فعلق أنطونى : " ليدخل الغريب الغامض القادم من سبى قروى " .

توجه أنطونى نحو اللورد كاترهام بغريزة بدت نادرة فى الغرباء . وكان فى ذات الوقت قد تعرف على الثلاثة الآخرين فى ذهنه كالتالى : " ١ ـ سكوتلاند يارد . ٢ ـ أحد أصحاب المقام الرفيع . ربما كان رئيس الشرطة المحلية . ٣ سيد مرهق على وشك أن يصاب بسكتة دماغية ـ ربما كان على صلة بالحكومة " .

قال أنطونى وهو لا يزال يوجه كلامه للورد : " على أعتذر لإصرارى على الدخول بهذه الطريقة . إلا أن الخبر قد شاع فيما حول مقهى جولى روج المحلية . أو أيا من اسمها . عن أن هناك جريمة قتل حدثت هنا . ووجدت أن بوسعى أن أفيدكم فى سبر أغوار هذه الجريمة " .

خيم الصمت للحظات . فقد صمت المحقق باتل لأنه رجل محنك يعرف أن من الأفضل أن يترك الحديث لغيره إذا أمكن إقناعهم بالكلام . أما الكولونيل ميلروز فصمت لكونه قليل الكلام بطبعه . وجورج لأنه اعتاد أن يكون ملاحظاته أولا . وأما اللورد كاترهام فقد سكت لأنه لا يعرف ماذا يقول . على أن صمت الثلاثة الآخرين وحقيقة أن الكلام موجه إليه مباشرة . هو ما أجبر الأخير على أن يرد .

فقال فى عصبية . " ... بالفعل ... بالفعل هلا هلا جلست ؟ "

قال أنطونى . " اشكرك "

هنا تنحنح جورج عامدا

" ما الذى قصدته بقدرتك على إفادتنا فى هذه القضية ؟ "

" قصدت أننى كنت أسير خلسة فى الليلة الماضية داخل أراضى اللورد كاترهام (وأرجو أن يغفر لى هذا) حوالى الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة . وعندها سمعت صوت عيار نارى . فبوسعى أن أحدد لكم وبدقة توقيت وقوع الجريمة " .

كان ينظر إلى الثلاثة واحدا تلو الآخر ، وعيناه تستقران طويلا على المحقق باتل ، مقدرا له قدرته على إخفاء انفعالاته إلى هذه الدرجة .

ثم أضاف فى لطف . " إلا أننى أرى أن هذا ليس بجديد بالنسبة لكم " .

سأله باتل . " ما الذى تعنيه بهذا يا سيد كيد ؟ "

" ما أعنيه هو هذا . فقد ارتديت حذائى حينما نهضت هذا الصباح . وفيما بعد ، وحينما سألت عن حذائى الثقيل . لم أجده . فقد علمت أن شرطيا شابا قد سبب التحفظ عليه . لذا كان من الطبيعى أن أفكر فى الأمر وأن أهرع إلى هنا حتى أبرىء ساحتى إذا أمكن "

قال باتل فى لامبالاة . " تصرف منطقى جدا "

عندها لمعت عينا أنطونى قليلا

" أقدر لك تحفظك فى الكلام ، أيها المحقق . ألست بصفة محقق على ما أعتقد ؟ " .

حينئذ تدخل اللورد فى الحوار ، وقد بدا يعجب بشخصية أنطونى .

" إنه المحقق باتل من سكوتلاند يارد . وهذا كولونيل ميلروز ، رئيس الشرطة هنا . وهذا السيد جورج لوماكس " .

نظر أنطونى فى حدة إلى جورج

" السيد جورج لوماكس ؟ "

" أجل " .

" أعتقد يا سيد لوماكس . أننى قد شرفت بتلقى رسالة منك بالأمس"

حدق جورج فيه . وقال فى برود : " لا أظن هذا " .

كم تمنى لو أن الآنسة أوسكار كانت هنا الآن . فهى التى تكتب كل رسائله ، وتتذكر لمن ترسلها ، ومحتوى كل منها . فليس بوسع رجل فى مكانة جورج أن يتذكر كل تلك التفاصيل المزعجة

فألح قائلا : " أعتقد يا سيد كيد أنك كنت على وشك أن تقدم لنا ـــــ تفسيراً لما كنت تقوم به فى هذه الأراضى ليلا ، وفى الساعة الثانية عشرة إلا الربع ؟ " .

قال هذه العبارة بنبرة كانت واضحة فى معناها الخفى وكأن لسان حاله يقول : " ومهما قلت فلن يصدقك أحد هنا " .

سأله اللورد كاترهام باهتمام : " بالفعل يا سيد كيد ، ما الذى كنت تفعله هنا ؟ "

فقال أنطونى بنبرة أسف : " أخشى أن تكون القصة طويلة " .

وأخرج علبة سجائره .

" هل لى أن أدخن ؟ " .

أومأ اللورد برأسه موافقا ، فأشعل أنطونى سيجارة . وأخذ يستجمع قواه لمواجهة تلك الورطة .

كان واعيا لدائرة الخطر التى يقف فى وسطها . ففى غضون أقل من أربع وعشرين ساعة صار متورطا فى جريمتين منفصلتين وتصرفه فى القضية الأولى لن يجدى مع الثانية بأى حال من الأحوال . فبعدما تخلص عمد من الجثة الأولى وضلل العدالة . فبما هو أمام مكان وقوع

لجريمة الثانية فى ذات اللحظة التى ارتكبت فيها . وبالنسبة لشاب يبحث عن المشاكل . فإنه قد أحسن صنيعا بذلك .

قال أنطونى لنفسه : " من المؤكد أن أمريكا الجنوبية ليس لها دخل مطلقا بهذا الموقف ! " .

كان قد حدد بالفعل ما سيتبعه من خطوات . فقد قرر أن يخبرهم بالحقيقة ـ مع تعديل تافه بسيط ، وكتمان سر ثان .

وبدأ انطونى يحكى . " تبدأ القصة منذ ثلاثة أسابيع مضت ـ فى بولاوايو ـ وبالطبع فإن السيد لوماكس يعلم أن تقع تلك المدينة ـ خارج حدود الإمبراطورية ـ " ما الذى نعرفه عن إنجلترا مما تعرفه إنجلترا نفسها ؟ " ست أتحدث مع أحد أصدقائى ، واسمه السيد جيمس ماكجراث ـــــ "

نطق الاسم ببطء ، وهو يمعن النظر إلى جورج . فقفز جورج فى مقعده وهو يجاهد لإخفاء دهشته .

" كان محور حديثنا هو أننى ينبغى أن أصل إلى إنجلترا بغرض تنفيذ مهمة بسيطة نيابة عن السيد ماكجراث ، والذى لم يتمكن من الحضور بنفسه . وحيث أن التذكرة كانت محجوزة باسمه ، فقد سافرت بوصفى جيمس ماكجراث . لست أدرى أى أضرار نجمت عن هذه الخدعة ـ وبوسع سيادة المحقق أن يخبرنى بها . وأن

يلقى القبض علىّ بهذه التهمة لأقبع فى السجن لعدة أشهر إذا لزم الأمر " .

قال باتل وقد لمعت عيناه قليلا : " تابع حكايتك إذا سمحت يا سيدى "

" عند وصولى إلى لندن توجهت إلى فندق بليتز ، وما زلت أنتحل صفة جيمس ماكجراث كانت مهمتى فى لندن أن أسلم إحدى المخطوطات إلى دار للنشر . لكننى تلقيت على الفور عرضين من ممثلى حزبين سياسيين لإحدى الممالك الأجنبية . كانت أساليب أحدهما رسمية بشكل صارم . أما الآخر فلا . وقد تعاملت مع كليهما بما يليق بهما . إلا أن مشكلاتى لم تنته ففى تلك الليلة اقتحم أحد خدم الفندق غرفتى . وحاول سرقتى " .

قال المحقق باتل : " لم يصل الشرطة أى بلاغ عن هذا ، حسب علمى "

" أنت محق . فلم أقم بإبلاغ الشرطة . فلم تتم سرقة أى شيء . كما ترى . إلا أننى أبلغت مدير الفندق بما حدث . وبوسعه أن يؤكد كلامى هذا ، ويخبركم بأن النادل قد ترك الفندق فجأة منتصف تلك الليلة وفى اليوم التالى هاتفنى الناشرون . واقترحوا علىّ أن يأتينى ممثل لهم ليتسلم المخطوطة وقد وافقت على هذا وتمت الإجراءات فى صباح اليوم التالى ولما لم أسمع عن أية تطورات أخرى لهذا الموضوع . فإنى أفترض أن

المخطوط قد وصلتهم بأمان وبالأمس - وتحت اسم جيمس ماكجراث ، تلقيت رسالة من السيد لوماكس ـــــ "

صمت أنطونى لحظة . لقد بدأ الآن يستمتع بما يقوم به . حينما وجد نتيجة ذلك فى ملامح جورج التى تغيرت وبدا عليها القلق .

تمتم جورج قائلا : " أتذكر أنها كانت رسالة مطولة . ومطبوعة فإن الاسم كان مختلفا . ولم يكن لى أن أعرف هذا ولكن بوسعى القول ... " . وهنا علا صوت جورج قليلا . لتصبح نبرته قوية تنم عن ثبات أخلاقى : " إننى أعتبر هذا الـ .. هذا الانتحال للشخصية أمرا لا يليق بأحد أن يقوم به . ولا شك لدىّ . لا شك لدىّ إطلاقا فى أنه تعرضت لعقوبة قانونية شديدة "

تابع أنطونى كلامه . وكأن أحدا لم يعلق : " وجدت السيد لوماكس يقترح علىّ فى تلك الرسالة عدة مقترحات تتعلق بالمخطوطة التى بحوزتى . كما قدم لى دعوة من السيد كاترهام لحضور حفل يقيمه هنا " .

عندها قال النبيل : " لقد أسعدتنى رؤيتك يا صديقى العزيز . وتلبية دعوتى ولو متأخرا أفضل من عدم تلبيتها من الأصل ... هاه ؟ " .

وجه له جورج نظرة ساخطة .

بينما رمق المحقق باتل أنطونى بعين ساكنة وسأله : " هل هذا هو تفسيرك لحضورك إلى هنا ليلة أمس يا سيدى ؟ "

فقال أنطونى بحرارة . " كلا بالتأكيد . فحينما يطلب من المرء البقاء فى أحد المنازل الريفية ، فإنه لا ينسلق السور فى ساعة متأخرة من الليل . ويعبر المتنزه خلسة . محاولا دخول المكان من إحدى نوافذه السفلية . بل يصل بالسيارة إلى البوابة الأمامية . ويقرع الجرس ويدلف إلى المكان بعد أن يمسح حذاءه فى الممسحة أمام البوابة دعونى أتمم كلامى أولا . فلقد أرسلت ردى على رسالة السيد لوماكس . موضحا أن المخطوطة لم تعد بحوزتى . وبالتالى فإننى أعتذر آسفا عن تلبية دعوة اللورد كاترهام ولكننى بعد أن قمت بهذا . تذكرت أمرا كان قد فات علىّ حتى تلك اللحظة " . وصمت لحظات . فما سيقوله الآن هو أهم نقطة فى حكايته وأشدها حساسية : " على أن أخبركم بأننى وفى أثناء صراعى مع النادل واسمه جوزيبى . كنت قد انتزعت منه قصاصة ورقية دونت عليها بضع كلمات . لم يكن لها معنى بالنسبة لى فى ذلك الوقت . إلا أنها لا تزال بجعبتى . وتذكرتها حينما سمعت اسم تشيمنيز ، فأخرجتها وأعدت قراءة المكتوب عليها . وكان الأمر كما خمنته . ها هى الورقة أيها السادة ، اقرءوها بأنفسكم . تقول كلماتها . . . تشيمنيز الثانية عشرة إلا الربع . يوم الخميس " .

وأمعن باتل النظر فيها . بينما تابع أنطونى كلامه "ربما لا يكون لكلمة تشيمنيز أية علاقة بالطبع بهذا المنزل . فربما كان المقصود بها المداخن مثلا . ولكنها أيضا

قد تكون ذات صلة به . ومما لا شك فيه أن هذا الجوزيبى كان وغدا سارقا . لذا قررت أن أتوجه بالسيارة إلى هنا فى الليلة الماضية ، حتى أتأكد بنفسى أن خطبا لن يحدث . ووصلت إلى المقهى . واتصلت باللورد كاترهام صباحا لأضعه فى الصورة حال حدوث أى سوء خلال عطلة هذا الأسبوع " .

قال اللورد مؤيدا " هذا ما حدث . . . هذا ما حدث " .

" وصلت إلى هنا متأخرا ــ ولم يكن أمامى الكثير من الوقت . وبالتالى . أوقفت السيارة وتسلقت السور وركضت عبر المتنزه . وحينما وصلت إلى الشرفة . كان المنزل بأكمله مظلما ساكنا . وكنت أهم بالابتعاد حينما سمعت صوت عيار نارى . وخيل لى أنه آت من داخل المنزل . فركضت عائدا تجاه المنزل ، وقفزت إلى الشرفة . وحاولت الدخول من النوافذ لكنها كانت مغلقة ، ولم أسمع أى صوت من أى نوع داخل المنزل . فانتظرت برهة من الوقت ، لكن المكان بقى صامتا صمت القبور ، وهكذا ظننت أننى أخطأت بالدخول إليه . وأن ما سمعته ليس سوى عيار نارى طائش أطلقه أحد الصيادين ــ وهو استنتاج بديهى فى ظل الظروف التى كنت فيها . حسبما أرى .

قال باتل بلهجة تخلو من أى تعبير " بديهى جدا " .

" توجهت إلى المقهى . حتى سمعت الخبر هذا الصباح . أدركت بالطبع أننى قد صرت موضع شكوك بعد ما فعلته — لذا قررت أن آتى إلى هنا حتى أقص حكايتى . آملا ألا يتسبب هذا فى إلقاء القبض على "

خيم الصمت للحظات بينما نظر الكولونيل ميلرور إلى المحقق باتل

بعدها قال معلقا . " تبدو لى قصة واضحة من دون علامات استفهام "

رد المفتش : " أجل — لا أعتقد أننا سنلقى القبض على أحد هذا الصباح " .

" هل هناك أى اسئلة يا باتل ؟ "

" بقى شىء واحد أود أن أعرفه ما قصة هذه المخطوطة ؟ "

قالها وهو ينظر إلى جورج . بينما أجاب الأخير بنبرة مترددة :

" إنها مذكرات الكونت ستيلبتيتش . وكما ترى — "

قال باتل : " ليس عليك أن تبرر أى شىء . فقد فهمت الأمر تماما " .

بعد ذلك التفت إلى انطونى .

" هل تدرى من هو الذى أصابه ذلك العيار النارى يا سيد كيد ؟ "

" سمعت وأنا فى المقهى أنه كونت يدعى ستانيسلاوس أو هكذا سمعت الاسم " .

فقال باتل فى إيجاز لجورج لوماكس :

" أخبرد أنت " .

كان التردد باديا على محيا جورج . إلا أنه وجد نفسه مجبرا على الرد

" إن السيد الذى كان يمكث هنا تحت اسم الكونت ستانيسلاوس لم يكن سوى صاحب السمو الملكى الأمير ميكل من دولة هيرتزوسلوفاكيا "

أطلق أنطونى صفير دهشة . ثم علق قائلا : " لابد أن هذه ورطة صعبة "

تنهد المحقق باتل ـ والذى كان يراقب أنطونى عن كثب فى تلك اللحظة بالذات ـ تنهيدة قصيرة وكأنما تهمأن لشىء ما . ثم نهض واقفا بغتة .

" لدى سؤال أو سؤالان أود أن أطرحهما على السيد كيد . ولكننى أود أن أتحدث معه على انفراد فى قاعة المجلس إذا سمحت "

فقال اللورد : " بالتأكيد بوسعك اصطحابه إلى أى مكان تشاء "

وهكذا خرج أنطونى مع المحقق

كان قد تم نقل الجثة من موقع الجريمة . وكانت هناك بقعة دموية داكنة على الأرضية فى مكانها . وخلاف هذا لم يكن هناك ما يدل على أن جريمة قد وقعت من الأصل . بينما اقتحمت أشعة الشمس المكان عبر

النوافذ الثلاث . لتفيض الغرفة بنورها . وتبرز ألوان تلك الجدران العتيقة . فنظر أنطونى حوله فى استحسان .

" جميل جدا . لا شيء يفوق بهاء ذلك العبق العتيق لإنجلترا . أليس كذلك ؟ " .

" هل بدا لك للوهلة الأولى أن صوت العيار النارى كان آتيا من هذه الغرفة ؟ " . هكذا سأله المحقق متجاهلا مديح فصاحته

" دعنى أر "

فتح أنطونى النافذة وخرج منها إلى الشرفة . وهو يتطلع إلى المنزل

" أجل . هذه هى الغرفة فهى تشغل كامل هذا الركن . ولو كان العيار النارى قد انطلق من مكان آخر لكان الصوت قد أتى من جهة اليسار . إلا أننى سمعته من خلفى أو إلى اليمين قليلا ولهذا السبب ظننتها طلقة من صياد فنحن كما ترى عند طرف المنزل "

عاد أنطونى إلى الداخل . وهو يسأل بغتة . وكأنه خطرت له الفكرة للتو .

" ولكن ما الذى يدعوك إلى طرح هذا السؤال ؟ أنت تعلم بالفعل أنه قد قتل داخل هذا المكان . أليس كذلك ؟ "

قال المحقق : " آه ! نحن لا نعلم عن الحدث قدر ما نريد أن نعلم . ولكنه قتل بالفعل فى هذه الغرفة . لقد

ذكرت شيئا عن محاولة الدخول من النوافذ . أليس كذلك ؟ " .

" بلى . إلا أننى وجدتها مغلقة من الداخل "

" وكم نافذة جربت ؟ "

" ثلاثتها " .

" هل أنت متيقن من هذا يا سيدى ؟ " .

" اعتدت ألا أقول إلا ما أنا متيقن منه . لماذا تسأل ؟ "

رد المحقق " لأن فى الأمر شيئا ظريفا "

" وما هو ؟ "

" فحينما تم اكتشاف الجريمة هذا الصباح . كانت النافذة الوسطى مفتوحة على مصراعيها " .

" يا إلهى ! " . ارتكن أنطونى إلى إفريز النافذة . وأخرج علبة سجائره وهو يقول : " تلك مفاجأة . وهو ما يفتح الباب للنظر إلى القضية من منظور جديد فلم يبق لدينا سوى خيارين . إما أنه لغى مصرعه على يد أحد قاطنى هذا المنزل . وأن هذا الشخص وكأنه فتح النافذة عندما ذهبت أنا . فيبدو الأمر جريمة ارتكبها دخيل - وهو بالمصادفة أنا - وإما أننى كاذب وأرى أنك ميال إلى الخيار الثانى . ولكننى أقسم لك بشرفى إنك مخطيء فى ظنك هذا " .

رد المحقق فى تجهم : " لن يغادر أحد هذا المنزل قبل أن أسمح له أنا بهذا . هذا ما أستطيع تأكيده لك " .

نظر أنطونى إليه مليا ثم سأله : " منذ متى وأنت على اعتقادك بأن القاتل من داخل هذا المكان ؟ "

ابتسم باتل . قبل أن يجيب :

" لقد كان لدىَّ هذه القناعة طيلة الوقت . فقد كانت الآثار التى تركتها أوضح من أن أصدقها . وما إن أثبتو التطابق بين حذائك وبينها ، حتى بدأت الشكوك تتولد لدىَ " .

قال أنطونى فى جذل : " كم أود أن أهنئ سكوتلانديارد " .

ولكن فى تلك اللحظة التى بدا على باتل تصديقه لعدم وجود صلة لأنطونى بهذه الجريمة من قريب أو بعيد شعر أنطونى أن عليه أن يكون متيقظا . فقد رأى أن المحقق باتل ضابط شرطة فطن للغاية . إلا أنه لم يكن من الممكن أن يخبره بأى من خواطره هذه .

قال أنطونى ، وهو يومىء برأسه تجاه البقعة الداكنة على الأرضية : " ذلك هو المكان الذى وقعت فيه الجريمة . أليس كذلك ؟ " .

" بلى "

" بأى سلاح قتل ـ مسدس ؟ "

" نعم . إلا أننا لن نتيقن من نوعية السلاح إلا بعد أن يستخرج الطبيب الشرعى الرصاصة مع تشريح الجثة " .

" لم تجدوها إذن ؟ "

" كلا ، لم نجدها " .

" وليس هناك من خيوط من أى نوع تقود الى حل لغز الجريمة ؟ " .

" وجدنا هذه "

أخرج له المحقق وكأنه ساحر قصاصة انتزعت من مذكرة . فناولها إياه وهو يراقبه خفية ولكن عن كثب .

إلا أن أنطونى أدرك هوية التصميم المرسوم عليها من دون أن يبدى ما ينم عن ذعره لرؤيته .

" أها ! إنهم رفاق اليد الحمراء ثانية . لو أنهم يريدون بفعل نشر هذا الشعار ، فعليهم أن يطبعوه بطريقة الطباعة الحجرية . فمن المؤكد أنه أمر مرهق وممل أن يقوم أحدهم برسمه فى كل مرة . أين وجدتم هذه ؟ " .

" أسفل الجثة . هل رأيته من قبل يا سيدى ؟ "

فحكى له أنطونى بالتفصيل ما جرى معه من مواجهة سريعة مع تلك المنظمة ذات الروح الشعبية .

" إذن فالفكرة الراسخة الآن هى أن هؤلاء الرفاق هم الجناة إذن " .

" وهل ترى أن هذا ممكن يا سيدى ؟ "

" فى الحقيقة إن فى هذا ما ينوافق مع كل ما يروجون له . إلا أننى أعلم أن من يتحدثون كثيرا عن الدم لم يروه بريق من الأصل . وأرى أن هؤلاء الرفاق لا يمتلكون الجرأة على فعل هذه الفعلة . فلا أستطيع أن أتخيل واحدا منهم وقد تنكر فى شخصيه ضيف يحل على منزل ريفى كهذا . ولكن هذا ليس بيقين " .

" معك حق يا سيد كيد . لا أحد يمكن أن يؤكد هذا الرأى " .

بدا أن هناك خاطرا خطر بغتة لأنطونى .

" هناك صورة تتكامل أمامى الآن . نافذة مفتوحة آثار أقدام . غريب مريب ينزل فى مقهى القرية . إلا أنه لا يسعنى سوى أن أؤكد لك يا عزيزى المحقق . أننى قد أكون أى أحد . إلا أن أكون واحدا من المتواطئين مع ايف الحمراء "

تبسم المحقق قليلا . ثم ألقى بورقته الأخيرة .

" هل تمانع فى أن تلقى نظرة على جثة القتيل ؟ "

هكذا سأله بغتة .

فرد أنطونى بنفس السرعة : " لا أمانع على الإطلاق "

تناول باتل مفتاحا من جيبه . وسبق أنطونى عبر الردهة . ثم توقف عند أحد الأبواب وفتحه . كانت الغرفة واحدة من غرف الضيوف الصغيرة . حيث رقدت الجثة مغطاة بملاءة على طاولة .

انتظر المحقق حتى وقف أنطونى إلى جانبه . ثم بادر بإزاحة الغطاء فى فجاة

لتمعت عيناه فى تحفز وهو يرى الدهشة المكنوب وشعور المفاجأة الذى بدا عليه أنطونى حينما رأى الجثة

سأله فى نبرة عمل جاهدا على ألا تعكس ما اغتمره من شعور بالانتصار : " أنت تعرفه إذن يا سيد كيد ؟ " .

قال أنطونى بعد أن هدأ بعض الشيء : " بالفعل . فلقد رأيته من قبل . ولكن ليس بصفته الأمير مايكل وبولوفيتش . بل أخبرنى بأنه مبعوث دار نشر بالدرسون وهودحكنز ، وادعى أن اسمه السيد هولمز " .

الفصل ١٢

الزائر الأمريكى

أعاد المحقق باتل الغطاء بيأس رجل اكتشف أن كل ما بناه من آمال قد راح هباء . بينما وقف أنطونى وهو يضع يديه فى جيبى سرواله وهو غارق فى أفكاره

إلى أن تمتم فى النهاية - " إذن هذا ما كان يقصده ذلك اللوليبوب العجوز حينما كان يتحدث عن " وسائل أخرى " " .

" ماذا كنت تقول ، سيد كيد ؟ " .

" لا شيء . أيها المفتش . لتغفر لى ما أحدث به نفسى . وكما ترى . فأنا - أو صديقى . جيمى هاكجراث . قد ضيعنا من أيدينا الألف جنيه "

قال باتل " إن ألف جنيه مبلغ لا يستهان به بفعل "

رد أنطونى - " لا يتعلق الأمر بالألف جنيه كثيرا - رغم أننى أتفق معك فى أنه مبلغ لا يستهان به - بل إن ما يثير جنونى هو أننى قد تعرضت لعملية نصب فلقد

سلمتهم المخطوطة كحمل أبله . كم هذا مؤلم ، سيدى المحقق " .

لم يعلق المحقق بشيء .

قال أنطونى : " حسناً . . . لا فائدة من الندم . فقد لا أكون قد فقدت كل شيء بعد . لابد فقط أن أجد مذكرات العجوز العزيز سنيلبيتيتش ما بين اليوم والأربعاء " .

" هل لديك مانع فى أن نعود إلى غرفة المجلس ، سيد كيد ؟ فقد بقى شيء بسيط أود أن أعرفه لك " .

عادا إلى غرفة المجلس . وخطا المحقق سريعا نحو النافذة الوسطى .

"لقد خطر لى خاطر . سيد كيد . فهذه النافذة بالذات متيبسة وقاسية جدا . فربما تكون قد أخطأت حينما ظننت أنها قد تكون موصدة . فربما كانت عالقة فحسب وانا أكاد أكون متيقنا من أنك قد أخطأت " .

أمعن أنطونى النظر إلى المحقق .

" ولو قلت لك بأننى أكاد أكون متيقنا من أننى لم أخطئ " .

فقال باتل وهو ينظر إليه فى ثبات : " ألا تظن أنك قد تكون أخطأت ؟ "

" سأريحك أيها المحقق وأقول لك إننى ربما أكون أخطأت " .

عندها ابتسم باتل فى رضا .

" أنت سريع البديهة ، سيدى . ولن يكون لديك أى اعتراض على أن تقول هذا - وبكل هذه الاستهانة - فى لحظة المناسبة . أليس كذلك ؟ " .

" ليس لدى أى اعتراض من أى نوع . فأنا ـــ "

صمت من فوره حينما جذب باتل ذراعه . مال المفتش إلى الأمام ، وهو يرهف السمع .

أشار إلى أنطونى أن يحتفظ بصمته . ثم سار على أطراف أصابعه حتى الباب ، ثم فتحه بغتة وفى سرعة .

كان هناك عند الباب رجل طويل القامة ذو شعر أسود مصفف فى أناقة على جانبى رأسه . وذو عينين زرقاوين تعكسان براءة ، ووجه عريض هادىء .

" أرجو المعذرة ، أيها السادة " ، قالها بنبرة بطيئة ـ لكنة غير بريطانية . " ولكنى أتساءل عما إذا كان من المسموح به أن أتفقد مسرح الجريمة ؟ أعتقد أن كليكما هو سكوتلاند يارد ؟ " .

قال أنطونى : " ليس لى هذا الشرف . لكننى أعرفك هى السيد المحقق باتل من سكوتلاند يارد "

تساءل الرجل فى اهتمام : " هل هذا صحيح ؟ سعدنى لقاؤك ، سيدى . أنا هيرام فيش ، من نيويورك " .

سأله المحقق : " وما الذى كنت تود رؤيته ، سيد فيش ؟ "

سار الأمريكى فى تؤدة إلى داخل الغرفة ، ثم نظر فى اهتمام كبير إلى تلك البقعة الداكنة على الأرضية .

" إننى مهتم بعلم الجريمة يا سيد باتل . إنه واحدة من هواياتى . فقد أعددت دراسة لإحدى دورياتنا الأسبوعية موضوعها الإنحطاط والمجرم " .

كانت عيناه تجولان أثناء كلامه عبر جميع أرجاء المكان . وكأنما تسجل كل شيء . إلا أنها توقفت لفترة أطول عند النافذة .

فقال المحقق كمن يفسر الماء بالماء . " لقد تم نقل الجثة "

قال فيش وعيناه تنتقلان إلى الجدران المزدانة باللوحات : "هذا مؤكد . هناك العديد من اللوحات الجذابة فى هذا المكان . أيها السادة . لوحة لهولباين . واثنتان لفان ديكس . وهذه - إن لم أكن مخطئا - صاحبها هو الفنان فيلاسكوز . إننى من هواة اللوحات الفنية - وكذلك من هواة اللوحات الأصلية منها . وكان من كرم المورد كاترهام أن دعانى لآتى خصيصا إلى هنا حتى أرى هذه المجموعة " .

ثم تنهد فى رفق .

" أعتقد أن هذا كاف الآن . وأرى أن من الأفضل للضيوف أن يعودوا إلى البلدة على الفور ، ما رأيكما ؟ " .

قال المحقق باتل : " أخشى أن هذا غير ممكن . سيدى . فلن يغادر أحد هذا المكان قبل استجوابه "

" حقا ؟ ومتى سيكون هذا الاستجواب ؟ " .

"ربما فى الغد . وربما لا يكون قبل يوم الاثنين . فعلينا أن نعدل عملية تشريح الجثة . ونرى تقرير الطبيب الشرعى " .

فقال السيد فيش : " معك حق . على أن هذا الجمع - وفى ظل تلك الظروف - قد تحول إلى جمع حزين " .

وهكذا تقدمهم باتل نحو الباب .

" من الأفضل أن نخرج من هنا . فلا يزال من الممنوع الدخول " .

انتظر حتى مر الاثنان . ثم أغلق الباب بالمفتاح وأخذ المفتاح معه .

قال له السيد فيش : " أعتقد أنك تبحث عن بصمات أصابع ؟ " .

رد المحقق فى اقتضاب : " ربما " .

" كما أن من المحتم أن يكون الجانى وفى ليلة كالليلة الماضية قد ترك آثار أقدام على الأرضية الخشبية "

" لا شيء منها فى الداخل . والكثير منها موجود بالخارج " .

بينما قال أنطونى فى جذل : " إنها لى " .

تحولت أنظار السيد فيش البريئة إليه .

" لقد فاجأتنى أيها الشاب " .

انعطفوا عند أحد الأركان . ليخرجوا إلى بهو واسع فسيح . جدرانه مغطاة أيضا بخشب البلوط كقاعة المجلس . مع الكثير من اللوحات عليها . وعند الطرف البعيد من البهو ظهر شخصان آخران

صاح السيد فيش : " أها ! ها هو ذا مضيفنا الكريم " .

كان هذا وصفا سخيفا للورد كاترهام . لدرجة أن أنطونى اضطر إلى أن يشيح بوجهه لإخفاء الضحك .

بينما تابع الأمريكى وصفه " ومعه ليدى لم ألمحها فى الليلة الماضية . إلا أنها متألقة ـــــ متألقة جدا "

كانت فيرجينيا ريفيل هى التى مع اللورد كاترهام .

كان أنطونى يتوقع مثل هذا اللقاء منذ البداية . ولم يكن يدرى كيف يتصرف إزاء مثل هذا الموقف . قرر أن يترك هذه المهمة لفيرجينيا . ومع أنه كان واثقا تماما من سرعة بديهتها . إلا أنه لم يكن يدرى أى مسار ستتخذه . لكنه سرعان ما اطمأن .

قالت فيرجينيا : " إنه السيد كيد هنا " . ومدت يديها إليه وهى تضيف . " هكذا وجدت أن بإمكانك أن تأتى بالرغم من كل شيء ؟ "

علق اللورد كاترهام قائلا : " عزيزتى السيدة ريفيل . لم أكن أعلم أن السيد كيد كان صديقا لك " .

ردت وهى تبتسم لأنطونى مع نظرة خبيثة طلت من عينيها : " إنه لصديق قديم جدا ... صادفته على غير موعد فى لندن بالأمس . فأخبرته بأننى آتية إلى هنا " .

فبادر أنطونى بالتأمين على كلامها .

" قلت للسيدة ريفيل بأننى كنت مجبرا على رفض دعوتكم الكريمة ـ خاصة أنها كانت موجهة إلى شخص آخر ولم يكن لى أبدا أن أفرض نفسى وبشخصية مزيفة " .

فقال اللورد : "حسنا . حسنا يا صديقى العزيز ، لقد صار هذا من الماضى الآن . وسأرسل إلى مقهى كريكيترز من يأتى بحقائبك إلى هنا " .

" هذا كرم منك يا لورد كاترهام . ولكن ـــــ "

" لا تقل شيئا . فمن المحتم عليك أن تقيم هنا فى تشيمنيز . فمن غير الممكن أن تبقى مقيما فى ذلك المكان الفظيع . الكريكيترز "

بينما قالت فيرجينيا فى عذوبة : " بالطبع . عليك أن تأتى يا سيد كيد " .

لاحظ أنطونى ذلك التغير فى أسلوب كلام جميع من كانوا حوله . لقد فعلت فيرجينيا الكثير بالفعل من أجله . فلم يعد الآن ذلك الغريب الغامض . فقد كان وضعهما الاجتماعى قويًا ولا يمكن المساس به بشكل يجعلمن أى شخص تشهد له شخصا مقبولا من كل من

حوله بدون أى تردد أو تفكير . عندها تذكر ذلك المسدس الذى خبأه فى الشجرة . فابتسم فى نفسه

قال اللورد لأنطونى : " سأرسل من يأتى بمتعلقاتك وأرى أننا لن نتمكن فى ظل هذه الظروف من الخروج للصيد . كم هذا مؤسف كما لا أدرى ماذا أفعل مع إيزاكشتاين . الأمور جميعها لا تسير كما نريد "

قالها النبيل الحزين وأطلق تنهيدة عميقة

قالت فيرجينيا : " اتفقنا إذن . وبوسعك أن تكون مصدر عون من الآن يا سيد كيد . وتصطحبنى فى البحيرة . إنه مكان هادئ جدا . وبعيد عن الجريمة وكل هذه الأمور المزعجة . أليس من المؤلم للورد كاترهام المسكين أن تقع جريمة قتل داخل منزله ؟ إلا أن الخطأ خطأ جورج . فهو حفله . كما تعلمون "

هنا علق اللورد : " آه ! ولكن ما كان لى أن أستمع إليه ! "

لقد كان يتقمص شخصية رجل قوى هزمته إحدى نقاط ضعفه .

قالت فيرجينيا : " لا يمكن للمرء أن يفلت من الاستماع إلى جورج . فهو يحاصرك بصورة لا يمكنك الفرار منها . إننى أفكر فى تعليق لافتة على ملابسى تمنعه من الاقتراب منى . إنه يستحق وحده براءة اختراع " .

رد مضيفها متهكما : " كم أتمنى لو فعلت ... وإنى لسعيد لوجودك يا كيد . فأنا بحاجة إلى مساعدة " .

فقال أنطونى : " أقدر لك كرمك عظيم التقدير يا لورد كاترهام . خاصة فى ظل ما يحيط بشخصى من شكوك لا أن بقائى هنا يسهل مهمة المحقق باتل " .

فسأله المحقق : " وكيف هذا يا سيدى ؟ " .

فسر له أنطونى فى هدوء : " لن يكون من الصعب عليك حينها أن تراقب تحركاتى "

وأيقن أن عبارته قد أصابت هدفها . حينما لمح تلك الاختلاجة فى جفنى المحقق

www.liilas.com/vb3

الفصل ١٤

أمور سياسية ومالية من الدرجة الأولى

فيما عدا تلك الاختلاجة اللاإرادية لجفنيه . فإن شيئا لم يبد على ملامح وجه المحقق باتل . فلو كان قد اندهش من تعرف فيرجينيا على أنطونى. فإن هذا لم يظهر عليه أبدا . ووقف واللورد كاترهام معا يراقبانهما وهما يخرجان من بوابة الحديقة. كما راقبهما السيد فيش .

قال اللورد : " إنه لشاب لطيف " .

فتمتم الأمريكى : " كما أن من الجميل أن تلتقى السيدة ريفيل صديقا قديما لها من الواضح أنه بينهما تعارف منذ فترة ؟ " .

رد اللورد كاترهام : " يبدو لى هذا . لكننى لم أسمعها تذكره من قبل . بالمناسبة يا باتل، لقد كان السيد لوماكس يبحث عنك . وهو هناك فى الغرفة الصباحية الزرقاء " .

" جميل يا لورد كاترهام . سأوافيه هناك على الفور " .

وجد باتل طريقه إلى الغرفة الصباحية الزرقاء من دون صعوبه فلقد كان على دراية بالفعل بأرجاء المنزل .

قابله لوماكس قائلا : " آه .. ها أنت ذا يا باتل " .

كان يتحرك جيئة وذهابا فى نفاد صبر فوق السجادة بينما كان هناك شخص آخر فى الغرفة . رجل ضخم الجثة يجلس فى مقعد بجوار المدفأة . كان يرتدى ملابس صيد إنجليزية لم تبد لائقة على جسده . وجهه بدين شاحب . وعيناه سوداوان . متحجرتان كعينى الكوبرا كما يتميز بأنفه الكبير المعقوف . وله فكان قويان عريضان ينمان عن قوة .

قال لوماكس فى انفعال : " ادخل يا باتل . وأغلق الباب من خلفك . أقدم لك السيد هيرمان إيزاكشتاين " .

فأحنى باتل رأسه محييا إياه فى احترام .

كان يعرف كل شيء عن السيد هيرمان إيزاكشتاين . ومع أن رجل المال الشهير قد بقى جالسا فى صمت . بينما لم يتوقف لوماكس عن التجوال والكلام . فإنه كان يعرف صاحب السطوة الحقيقية داخل الغرفة

قال لوماكس : " بوسعنا التحدث بحرية أكبر الآن ... فقد كنت متحفظا فى الكلام أمام اللورد كاترهام والكولونيل ميلروز . أتفهمنى يا باتل ؟ ينبغى ألا يعلم أحد بهذه الأمور " .

فقال باتل : " آه ! ولكنها دائما ما تنتشر للأسف " .

لمح لثانية شبح ابتسامة على ذلك الوجه البدين الشاحب . إلا أنها سرعان ما اختفت بنفس سرعة ظهورها .

واصل جورج كلامه قائلا . " ما رأيك الآن فى ذلك الشاب ... أقصد أنطونى كيد ؟ ألا زلت تعتقد أنه برىء ؟ " .

هز باتل كتفيه قليلا .

" إن روايته صريحة . ولكن علينا التحقق من أحد أجزائها . مع أنه ظاهرها يبرر وجوده هنا فى الليلة الماضية . سوف أرسل برقية إلى جنوب أفريقيا للمزيد من المعلومات عن ماضيه بطبيعة الحال " .

" أنت تراه إذن بعيدا عن التورط فى هذه القضية ؟ "

رفع باتل يده الكبيرة العريضة .

" ليس بعد يا سيدى . إننى لم أقل هذا " .

هنا تحدث إيزاكشتاين للمرة الأولى متسائلا : " وما الرأى الذى كونته عن تلك الجريمة . أيها المحقق باتل ؟ " .

كان صوته عميقا غنيا بالدلالات . وذا طبيعة آمرة وكان يعتمد عليه أثناء اجتماعات مجلس الإدارة فى شبابه .

" من السابق لأوانه أن أكون أى رأى الآن يا سيد إيزاكشتاين . فأنا لم أتجاوز بعد أول سؤال طرحته على نفسى " .

" وما هو هذا السؤال ؟ "

" إنه نفس السؤال على الدوام . الدافع . من هو المستفيد من مصرع الأمير مايكل ؟ علينا أن نجيب عن هذا السؤال أولا قبل المضى فى أى اتجاه آخر "

بادر جورج بقوله : " إنه الحزب الثورى بهيرتزوسلوفاكيا ... " .

إلا أن المحقق باتل قطع عليه حبل أفكاره بشكل بدا مفتقراً إلى الاحترام .

" إنهم ليسوا رفاق اليد الحمراء . إن كان هذا ما قصدته "

"وماذا عن تلك الورقة المرسوم عليها رسم اليد القرمزية ؟ " .

" تركت عمدا حتى نصل إلى هذا الحل الواضح " .

أحس جورج بأن هناك من نال من كرامته

" حقيقة يا باتل إننى لا أرى سببا يدعوك إلى كل هذا اليقين " .

" حنانيك يا سيد لوماكس . فنحن نعلم كل شيء عن رفاق اليد الحمراء . فقد كنا نراقب نشاطهم منذ أن وصل الأمير مايكل إلى إنجلترا فمثل هذه الأمور تمثل عملنا الأساسى فى الإدارة . ولم يكن من الممكن السماح لأحدهم بالاقتراب منه ولو على مسافة ميل " .

قال إيزاكشتاين : " إننى أتفق فى الرأى مع المحقق باتل . علينا أن نبحث القضية من منظور مختلف " .

فقال باتل بعد أن وجد هذا التشجيع : " كما ترى يا سيدى . إننا لا نعلم سوى القليل عن القضية . فلو لم نعرف من هو المستفيد من موته . فإننا نعلم الخاسر بعد موته " .

سأله إيزاكشتاين : " ما الذى تقصده ؟ " .

كانت عيناه السوداوان مصوبتين نحو المحقق ، وفى هذه اللحظة خيل لباتل أنه يقف أمام عينى الكوبرا أكثر من أى وقت مضى .

" أنت والسيد لوماكس . فضلا عن حزب الموالين فى هيرتزوسلوفاكيا . إنكما متورطان فى المسألة . واعذرانى على هذا التعبير " .

فتدخل جورج فى الحوار وقد نالت الصدمة منه " حقا يا باتل " .

قال إيزاكشتاين : " تابع كلامك يا باتل فوصفك هذا هو أدق توصيف لنا نحن عليه بالفعل . أنت رجل ذكى "

فقال وهو يطرقع أصابعه الكبيرة . " كان عليكما أن تسلما العرش للملك. ولكنكما فقدتما هذا الملك ! " .

" وكان عليكما أن تبحثا عن بديل على عجالة . ولم تكن هذه بالمهمة اليسيرة . إننى غير راغب فى معرفة تفاصيل مخططكما هذا . يكفينى التعرف على خطوطه العريضة . إلا أننى أرى أن المسألة أكبر وأعقد مما أظن ؟ " .

أحنى إيزاكشتاين رأسه ببطء .

" بل هى أعقد وأكبر من هذا بكثير "

" ينقلنى هذا إلى سؤالى الثانى . من هو الوريث التالى لعرش هيرتزوسلوفاكيا ؟ " .

نظر إيزاكشتاين إلى جورج فقرر الأخير أن يرد هو على هذا السؤال بقدر من المقاومة وكثير من التردد :

" إنه ـــ بالفعل هو ـــ الأمير نيكولاس ـــ هو الوريث التالى " .

فقال باتل : " آه ! ومن هو الأمير نيكولاس ؟ " .

" إنه أحد أبناء عمومة الأمير مايكل من الدرجة الأولى " .

" أريد أن أعرف كل شيء عن الأمير نيكولاس ، وبالأخص محل إقامته الحالى " .

فقال لوماكس : " لا نعرف عنه الكثير . هو شاب ، له أفكاره الخاصة . والتى كانت تتفق مع أفكار الشيوعيين والجمهوريين . ولم تكن تصرفاته تليق بمركزه . وقد تم طرده من أكسفورد بسبب طيشه . وقيل إنه قد لقى مصرعه بعدها بعامين فى الكونغو . إلا أنها لم تكن سوى شائعة . فقد ظهر منذ بضعة أشهر مع ذيوع أخبار عودة الملكية " .

سأله باتل " حقا . وأين ظهر ؟ " .

" فى أمريكا " .

" أمريكا ! " .

التفت باتل إلى إيزاكشتاين بكلمة واحدة مقتضبة .

" النفط ؟ " .

فأومأ رجل المال برأسه موافقا .

" إنه يتصور أن شعب هيرتزوسلوفاكيا إذا اختار ملكا . فسيكون هو خيارهم الأفضل مقارنة بالأمير مايكل . كونه أشد تعاطفا مع الأفكار التنويرية الحديثة . خاصة وأنه قد لفت الانتباه إليه بآرائه الديمقراطية ، وتعاطفه مع المثل الجمهورية . فقد كان مستعدا لأن يمنح امتيازات النفط إلى مجموعة معينة من رجال المال الأمريكيين مقابل الدعم المالى .

وجد المحقق باتل نفسه يطلق صفيراً طويلا متجاهلا هدوءه المعتاد .

تمتم قائلا " هكذا الأمر إذن . فى غضون ذلك كان حزب الموالين يدعم الأمير مايكل . وصرت متيقنا من أنك ستصعد إلى القمة . إلى أن حدث ما حدث ! " .

فقال جورج " من المؤكد أنك لا تعتقد أن ـــ "

فقاطعه باتل وهو يستطرد : " الأمر معقد بالفعل تماما كما وصفه السيد إيزاكشتاين . هو بالفعل كذلك " .

قال إيزاكشتاين فى هدوء " هناك دوما يمكنك دائما العثور على أشخاص معدومى الضمير لاستخدامهم كأدوات . المكسب الآن هناك فى وول ستريت . إلا أنهم لم ينتهوا منى بعد . عليك أيها المحقق باتل أن تسرع

بإلقاء القبض على الجانى. هذا لو كنت تريد أن تخدم بلادك " .

أضاف جورج " على أن هناك أمرا أراه موضع شك كبير. ما الذى دعا الكابتن أندرسى إلى عدم مرافقة الأمير إلى هنا بالأمس ؟ " .

رد باتل : " لقد حققت فى هذه النقطة والتبرير بسيط جدا . فقد مكث بالبلدة حتى يرتب بعض الأمور مع إحدى السيدات . نيابة عن الأمير مايكل . لأجل عطلة نهاية الأسبوع القادم فلقد كان البارون ساخطا على مثل هذه الأمور ؛ حيث كان يظن أنها تتعارض مع المرحلة الحالية من العلاقات . لذا كان على سموه أن يشرع فى التصرف فيها بشكل مشبوه . فقد كان ـ وهذا إن كان لى أن أقول هذا ـ شابا منحرفا إلى حد ما "

قال جورج بأسلوب أخرق : " أخشى أنه كذلك نعم . أخشى أنه كذلك "

رد باتل بقدر من التردد : " هناك نقطة أخرى علينا أن نأخذها فى الاعتبار. فمن المفترض أن الملك فيكتور هنا فى إنجلترا "

" الملك فيكتور ؟ "

بدا السخط على لوماكس وهو يحاول أن يتذكر .

" إنه ليس سوى محتال فرنسى شهير . ولقد وصلنا تحذير إخطار بشأنه من سوريتيه فى باريس " .

فقال جورج : " بالطبع . لقد تذكرته الآن . أليس هو لص المجوهرات ؟ ذلك الرجل الذى ـــــ "

وسكت بغتة . بينما لم ينظر إيزاكشتاين الذى كان يحدق فى المدفأة شاردا إلا متأخرا حتى يلمح نظرة التحذير التى رمى بها المحقق إلى جورج . إلا أن حساسيته للذبذبات التى تسرى حوله فى أى مكان جعلته يشعر بأن هناك توترا يخيم على المكان .

سأله " لم تعد بحاجة إلى وجودى . أليس كذلك يا لوماكس ؟ "

" كلا . أشكرك يا صديقى العزيز "

" هل سيضر خططك أن أعود إلى لندن . أيها المحقق باتل ؟ "

قال المحقق فى تأدب : " أخشى ذلك يا سيدى فلو رحلت من هنا . سيطالب آخرون بالرحيل وهو أمر لا يفيد التحقيقات " .

" لا بأس إذن " .

وغادر رجل الأعمال الغرفة مغلقا الباب خلفه .

غمغم جورج لوماكس فى لهجة فاترة : " إن إيزاكشتاين لصديق رائع " .

وافقه المحقق باتل قائلا : " شخصية قوية جدا " .

هم جورج بالعودة إلى تجواله المنوتر داخل الغرفة .

وأخذ يقول : " ما قلته أصابنى باضطراب كبير ... الملك فيكتور ! لقد ظننت أنه فى السجن " .

" لقد خرج منه منذ بضعة أشهر. فقد كانت الشرطة الفرنسية تتبع أثره . ولكنه نجح فى الهرب . إنه يتحلى بأعصاب باردة جدا . ولعله أكثر الكائنات التى تعيش على الأرض برودا وهم يعتقدون لسبب أو لآخر أنه فى إنجلترا، وأخطرونا بذلك " .

" وما الذى يمكن أن يفعله فى إنجلترا ؟ " .

فقال باتل بنبرة لها دلالتها : " هذا أمر تعرفه أنت يا سيدي" .

" تعنى ؟ ـــ تعتقد ؟ ـــ أنت تعلم القصة بالطبع ـــ آه ـــ أجل ، أرى أنك تعلم بالفعل . لم أكن وقتها فى المكتب بطبيعة الحال . إلا أننى سمعت القصة بأكملها من لورد كاترهام الراحل - وهى كارثة لا تعقل "

قال باتل متأملا : " الكو - هى - نور "

قال جورج وهو ينظر حوله فى تشكك : " اسكت يا باتل ! أرجوك أن تسكت. ولا تذكر أية أسماء . هذا أفضل . ولو رغبت فى الحديث عنه فلتسمه " ك " " .

وتصلبت ملامح المحقق من جديد .

" أنت لا تربط بين الملك فيكتور وهذه الجريمة ، أليس كذلك يا باتل ؟ " .

" إنه مجرد احتمال فحسب. فلو عدت بذاكرتك للوراء يا سيدى ، سوف تتذكر أن هناك أربعة أماكن يمكن لزائر ملكى بعينه أن يخفى الجوهرة فيها . وتشيمنيز واحد من بين هذه الأماكن . ولقد تم إلقاء القبض على الملك فيكتور

فى باريس بعد مرور ثلاثة أيام على اختفاء هذا الشيء الذى سنسميه " ك " . وكان الأمل دوما أن يقودنا هو إلى الجوهرة فى يوم من الأيام " .

" لكن تشيمنيز تعرضت للتفتيش الدقيق عشرات المرات " .

قال باتل فى تعقل : " بالفعل . إلا أن أسباب فشل المحاولات السابقة كانت تعود إلى أننا لم نكن ندرى أين نبحث على وجه التحديد . ولكن افترض الآن أن الملك فيكتور قد أتى إلى هنا للبحث عنها، وفوجيء بوجود الأمير مايكل . فقتله "

" إنه احتمال ممكن . بل يكاد يكون حلا مثاليا للغز جريمة القتل " .

" لا يمكننى أن أشاركك هذا التفاؤل . هو مجرد احتمال ليس إلا "

"لماذا تقول هذا ؟ " .

رد باتل فى جدية : " لأن الملك فيكتور لم يعرف عنه أنه قتل أحدا من قبل " .

" أوه ، لكن رجلا كهذا يعد مجرما خطيرا ـــ " .

لكن باتل هز رأسه فى استياء .

" المجرم شديد الالتزام بعاداته يا سيد لوماكس . وهو أمر يبعث على الدهشة . وكذلك حال ـــ " .

" ماذا ؟ "

" دعنا من هذا . أود الآن أن أستجوب خادم الأمير فلقد تعمدت أن أتركه حتى النهاية . سنستدعيه إلى هنا يا سيدى ، إن لم يكن لديك مانع " .

فأشار له جورج بالموافقة . ورن المحقق الجرس . فأجابه تريدويل . وسرعان ما غادر لينفذ ما تلقاه من أوامر .

وعاد بعد فترة وجيزة بصحبة رجل وسيم طويل . تبرز عظام وجنتيه ، ذو عينين شديدتى الزرقة ، وملامح تنافس ملامح باتل فى برودتها .

" بوريس أنشوكوف ؟ " .

" أجل " .

" أكنت خادماً للأمير مايكل ؟ " .

" بالفعل . كنت خادم سموه " .

كان الرجل يتحدث الإنجليزية بشكل جيد ، رغم تلك اللكنة الأجنبية الصارخة فيها .

" أتعلم أن سيدك قد لقى مصرعه الليلة الماضية ؟ " .

زمجرة عميقة ، مثل زمجرة وحش برى ، كانت جواب الرجل الوحيد ، مما أثار قلق جورج . الذى انسحب بشكل حذر نحو النافذة .

" متى كانت آخر مرة رأيت فيها سيدك ؟ " .

" لقد أوى سموه إلى فراشه فى العاشرة والنصف . ونمت كالعادة فى الغرفة الملحقة بغرفته . ولابد أنه قد هبط إلى الغرفة بالأسفل عن طريق الباب الآخر ، والذى

يشرف على الردهة . لم أسمعه وهو يخرج . ربما كنت مخدراً . لم أكن بالخادم الأمين. فلقد نمت وقت أن كان سيدى متيقظاً . أنا ملعون " .

حدق جورج فيه ، فى دهشة .

سأله وهو يراقبه عن كثب : " لقد كنت تحب سيدك . أليس كذلك ؟ "

تقلّصت ملامح بوريس بشكل مؤلم . وابتلع ريقه مرتين ، ثم أتاهما صوته وقد أكسبته العواطف قساوة .

" أقول لك ، أيها الشرطى الإنجليزى . إننى كنت مستعداً لأن أموت من أجله ! وبما أنه مات ، وأنا مازلت حياً . فإن عينى لن تعرفا النوم . ولن يستريح قلبى . حتى أنتقم له . سأبحث عن قاتله مثلما يبحث الكلب عن المجرمين وعندما أكتشفه ... آه ! " هنا لمعت عيناه . وفجأة سحب سكينا حادة من تحت معطفه ولوّح بها عاليا . " لن أقتله على الفور، بل سأشق أنفه أولا ، وأقطع أذنيه وأفقأ عينه - وبعد ذلك سأغرس هذه السكين فى قلبه الأسود " .

وسرعان ما أعاد السكين إلى مكانها، ثم غادر الغرفة . حينئذٍ - حدق جورج لوماكس صوب الباب المغلق بعينيه البارزتين دائماً واللتين تبدوان الآن وكأنهما على وشك الجحوظ من رأسه .

تمتم : " إنه لهرتزوسلوفاكى أصيل ، بالطبع ، فأكثرهم غير متحضر . جنس من قطاع الطرق " .

نهض المحقق باتل فى نشاط على قدميه

" إمّا أن ذلك الرجل مخلص ، أو هو أفضل مخادع رأيته فى حياتى . وإذا كان مخلصا ، فليساعد الله قاتل الأمير مايكل عندما يعثر عليه ذلك الكلب البوليسى البشرى " .

الفصل ١٥

الغريب الفرنسى

سارت فيرجينيا وأنطونى جنبا لجنب عبر الممشى الذى يفضى إلى البحيرة . وظلا صامتين لبضع دقائق عقب مغادرتهما للمنزل . وكانت فيرجينيا هى التى قصمت هذا الصمت أخيرا بضحكة قصيرة .

قالت : " أود يا عزيزى ، أليس هذا مخيفا ؟ فهأنذا لا أكاد أصبر على الأمور التى أود أن أخبرك بها ، وكذلك الأشياء التى أريد أن أعرفها . حتى إننى لم أعد أدرى من أين أبدأ . فبادىء ذى بدء ... " ، وخفت صوتها وهى تهمس مستكملة كلامها : " *كيف تدبرت امر الجثة ؟* كم يبدو هذا مخزيا . أليس كذلك ؟ ! لم أحلم حتى فى أسوأ كوابيسى بأن أكون على هذا القدر من الإجرام " .

وافقها أنطونى قائلا : " أرى أنه إحساس جديد بالنسبة لك بالفعل " .

" ولكنه ليس كذلك بالنسبة لك ؟ " .

" من المؤكد أننى لم أتخلص من أية جثة من قبل " .

" أخبرنى ماذا فعلت إذن ؟ " .

فروى لها أنطونى فى إيجاز بارع جميع الخطوات التى اتبعها فى الليلة السابقة ، بينما كانت فيرجينيا تستمع له فى انتباه شديد

وحينما فرغ من حكايته قالت له فى إعجاب : " إنك لبارع بوسعى أن أستعيد الصندوق من جديد حينما أعود إلى بادينجتون . إلا أن الصعوبة الوحيدة التى يمكن أن تطرأ هى أن تكون مضطرا فى أى وقت لأن تبوح بمكان تواجدك مساء أمس "

" لا أتصور أن هذا قد يحدث . فلم يكن من الممكن العثور على الجثة حتى وقت متأخر من ليلة أمس – أو ربما هذا الصباح والا لكنا قد قرأنا عنها فى صحف الصباح . وأيا كان ما قد ترسخ فى ذهنك بسبب قراءة الروايات البوليسية ، فإن الأطباء ليسوا بسحرة قادرين على أن يخبروك تحديدا بعدد الساعات التى مرت على الجثة. فتوقيت الوفاة الدقيق يبقى أمرا مبهما . والبحث عن حجة تبرر وجودى خلال الليلة الماضية سوف يكون أكثر جدوى " .

" أعلم هذا ، فقد أخبرنى اللورد كاترهام بكل شيء . كما أن شرطى سكوتلاند يارد صار مقتنعا جدا ببراءتك الآن . أليس كذلك ؟ " .

لم يجبها أنطونى على الفور .

فتابعت فيرجينيا كلامها : " لا يبدو لى أنه يتحلى بفطنة من طراز خاص "

فقال أنطونى فى تؤدة : " لا يمكننى الجزم بذلك بل لدى انطباع بأنه لا سبيل لخداع باتل . فهو يبدو مقتنعا ببراءتى . إلا أن هذا غير مؤكد . فهو يرتكن فى الوقت الحالى إلى عدم وجود دافع ظاهرى يدفعنى إلى ارتكاب هذه الجريمة " .

صاحت فيرجينيا : " ظاهرى ؟ ما السبب الذى يمكن أن يكون لديك حتى تقتل رجلا أجنبيا لم تكن تعرفه من قبل ؟ " .

رمقها أنطونى بنظرة حادة

سألها : " لقد كنت فى وقت من الأوقات فى هيرتزوسلوفاكيا . أليس كذلك ؟ " .

" بالفعل . لقد كنت هناك مع زوجى الذى عمل بالسفارة لمدة عامين " .

" كان هذا قبيل اغتيال الملك والملكة . هل حدث وتقابلت مع الأمير مايكل أوبولوفيتش ؟ " .

" مايكل ؟ بالطبع التقيته . يا له من شاب تعس مريع ! أتذكر أنه كان قد اقترح علىّ أن أتزوجه "

" حقا ؟ وما الذى اقترحه عليك بشأن زوجك وقتها ؟ " .

" أوه ، لقد كانت لديه خطة جهنمية جاهزة للتنفيذ " .

" وماذا كان ردك على هذا العرض الودى ؟ " .

" حسنا . للأسف كان علىّ أن أتحلى بالدبلوماسية . لذا جاء ردى غير مباشر حتى لا يشعر مايكل المسكين بالإهانة . ولكنه عاد مكسور القلب فى كل الأحوال. لم كل هذا الاهتمام بمايكل ؟ " .

" هناك أمر أود التحقق منه بطريقتى . أفهم من هذا أنك لم تلتق ذلك القتيل ؟ " .

" كلا . وأقولها لك من جديد: لقد هجع فى جناحه عندما وصل " .

" ولم تقع عيناك بالطبع على الجثة ؟ " .

هزت فيرجينيا رأسها فى نفي، وهى تحدق فيه بقدر كبير من الاهتمام .

" فى اعتقادك هل بوسعك رؤيتها ؟ " .

" يمكن القول بأن هذا كان بمقدورى فى حال توسط لى اللورد كاترهام . وما الداعى لهذا ؟ أهذا أمر ؟ " .

قال أنطونى فى روع : " كلا لا سمح الله . هل أنا بهذا القدر من الديكتاتورية ؟ كلا ، فالأمر أبسط من هذا . فالكونت ستانيسلاوس كان هو نفسه الأمير مايكل " .

اعترت الدهشة فيرجينيا . فاتسعت عيناها فى ذهول .

إلا أن وجهها سرعان ما عاد بغتة إلى ابتسامته الجانبية المبهرة : " فهمت . وأتمنى ألا يكون قصدك هو أن مايكل قد سارع إلى جناحه حتى يتجنب رؤيتى ؟ " .

أمن أنطونى على كلامها قائلا : " شىء من هذا القبيل . فكما ترين . فإننى لو كنت محقا فى فكرتى أن هناك من أراد أن يمنع قدومك إلى تشيمنيز ، فربما كان هذا لكونك على دراية بهيرتزوسلوفاكيا . ألم تدركى بعد أنك الشخص الوحيد هنا الذى يمكنه التعرف على الأمير مايكل بمجرد النظر إليه ؟ " .

سألته فيرجينيا بغتة : " أتعنى أن ذلك الرجل الذى قتل كان محتالاً ؟ " .

" هذا هو الاحتمال الذى جال بخاطرى . ولو أمكنك إقناع اللورد كاترهام بأن يعرض عليك الجثة ، سنستطيع توضيح تلك النقطة فى الحال " .

قالت فيرجينيا فى تأمل : " لقد قتل فى الساعة الثانية عشرة إلا الربع. وهو نفس الوقت المدون على قصاصة الورق . أى أن فى الأمر برمته شيئا غامضا مرعبا " .

" لقد ذكرتنى بشيء مهم. أليست تلك النافذة هناك هى نافذتك ؟ تلك النافذة الثانية من الطرف فوق قاعة المجلس ؟ " .

" كلا . فغرفتى بالجناح الإليزابيثى . فى الجانب الآخر . لماذا تسأل ؟ " .

" لأننى أثناء ابتعادى عن المكان ليلة أمس ، وبعد أن اعتقدت أننى قد سمعت صوت عيار نارى ، شاهدت الضوء ينير فى تلك الغرفة " .

" يا له من أمر مثير للفضول ! لا أدرى من هو قاطن تلك الغرفة . إلا أن بمقدورى أن أعرف بسؤال بندل ، فربما سمعوا صوت العيار النارى ؟ " .

" لو كان هذا صحيحا . فإنهم لم يبادروا بذكر ذلك . فقد فهمت من باتل أن أحدا فى المنزل لم يسمع صوت العيار النارى . وهو الخيط الوحيد الذى تحصلت عليه . وبوسعى القول بأنه خيط بالغ الضعف . لكننى عازم على اتباع طرف الخيط الواهى هذا حتى النهاية " .

فقالت فيرجينيا فى شرود : " أمر مثير للفضول بالتأكيد " .

كانا قد وصلا إلى العوامة الراسية عند البحيرة . وارتكنا إليها وهما يتحاوران .

قال أنطونى : " نصل الآن إلى القصة بأكملها . سوف نبتعد داخل البحيرة . لنبتعد عن آذان سكوتلاند يارد . والزوار الأمريكيين . وكذلك الخادمات الفضوليات " .

قالت فيرجينيا : " لقد سمعت شيئاً من اللورد كاترهام. إلا أنه لم يكن كافيا . سأسألك فى البداية ، ما هى شخصيتك الحقيقية . هل أنت أنطونى كيد أم جيمى ماكجراث ؟ " .

وروى أنطونى للمرة الثانية هذا الصباح قصة الأسابيع الستة الأخيرة من حياته ـ مع الفارق ، أنه لم يضطر أن يدخل أى تغيير على روايته لفيرجينيا . وأنهى حكايته عند نقطة تعرفه المثير للدهشة على " السيد هولمز " .

أنهى أنطونى الرواية قائلا : " بالمناسبة يا سيدة ريفيل . فإننى لم أشكرك بعد على مخاطرتك بروحك حينما ذكرت لهم انى صديق قديم لك "

صاحت فيرجينيا : " أنت بالطبع صديق عزيز لقد ألقيت على عاتقك مهمة التعامل مع تلك الجثة . فأقل شيء مقابل هذا هو أن أتظاهر بأنك أحد أصدقائى المقربين "

ثم صمتت . قبل أن تقول

" أتدرى ما الذى خطر ببالى فى هذه اللحظة ؟ هناك أمر بالغ الغموض بخصوص تلك المذكرات التى لم نسبر أغوارها بعد " .

وافقها أنطونى قائلا : " أعتقد أنك على صواب هناك أمر أريدك أن توضيحه لى " .

" ما هو ؟ "

" لماذا اعترتك الدهشة حينما ذكرت لك اسم جيمى ماكجراث بالأمس فى شارع بونت ؟ هل سمعت به من قبل ؟ "

" بالفعل يا شرلوك هولمز فلقد أتانى جورج ـ ابن عمى جورج لوماكس . كما تعلم ـ فى اليوم التالى . واقترح علىّ الكثير من الأمور السخيفة بشكل مخيف . كانت فكرته أن على أن آتى إلى هنا وأتقرب إلى ذلك الرجل ـ ماكجراث ـ وأحتال عليه بطريقة ما حتى أحصل على المذكرات بالطبع ، لم يذكر لى ذلك بنفس الصيغة . بل

تحدث عن كثير من الأمور الساذجة عن السيدات الإنجليزيات . وأشياء من هذا القبيل. إلا أن مقصده لم يغب عنى ولو لحظة . فقد كانت من الأمور المعتادة التى يفكر فيها جورج العجوز المسكين . بعد ذلك أردت أن أعرف المزيد عن الموضوع. وحاول أن يثنينى عن ذلك بأكاذيب لا يمكن أن تخدع طفلا رضيعا " .

علق أنطونى قائلا : " يبدو لى فى الحقيقة أنه قد نجح فى تحقيق مراده على أية حال . فهأنذا من اعتقده جيمس ماكجراث . وهأنتذا تتقربين إلى "

" ولكن هيهات . فلن يستطيع عجوزنا جورج الحصول الآن على أية مذكرات ! والآن لدىّ سؤال أود أن أطرحه . فحينما قلت إننى لم أكتب تلك الرسائل . قلت إنك تعلم هذا ـ فمن أين لك تلك المعرفة ؟ " .

قال أنطونى مبتسما : " بالطبع . فلدىّ الكثير من الخبرة بعلم النفس "

" تعنى أن ثقتك فى نزاهتى وأخلاقى كانت ـــــ "

ولكن أنطونى هز رأسه بقوة نافيا ما تقول .

" إطلاقا . فلا علم لى بحقيقة أخلاقك . فربما كان لديك عشيق ، وربما كتبت إليه الرسائل . إلا أن من غير الممكن أن تسقطى فحيحة نبتز . فيرجينيا ريفيل التى كتبت هذه الرسائل كانت خائفة بشدة . أما أنت ، فقد كنت ستقاومين بالطبع " .

" ترى من تكون فيرجينيا ريفيل الحقيقية ـ اين هى . يبدو لى الأمر أحيانا وكأن لى قرينة فى مكان آخر " .

أشعل أنطونى سيجارة ، ثم سألها :

" أتعلمين أن إحدى هذه الرسائل كانت مرسلة من تشيمنيز ؟ "

بدت الدهشة واضحة على فيرجينيا وهى تقول :

" ماذا ؟ ومتى كتبت هذه الرسالة ؟ "

" لم تكن مؤرخة . إلا أن هذا غريب ، أليس كذلك ؟ " .

" إننى على يقين تام من أنه لم تكن هناك فيرجينيا ريفيل أخرى كانت تمكث فى تشيمنيز . وإلا لكانت بندل أو اللورد كاترهام قد ذكرا شيئا عن هذا "

" بالفعل . الأمر يبدو عجيبا . أتعلمين يا سيدة ريفيل أننى قد بدأت أنكر وبشدة وجود تلك الفيرجينيا الأخرى "

وافقته فيرجينيا : " إنها مراوغة جدا " .

" مراوغة بدرجة غير عادية . وأنا أرى الآن أن الشخص الذى كتب تلك الرسائل تعمد أن يستخدم اسمك " .

صاحت فيرجينيا : " ولكن ما الذى يدعوه إلى هذا ؟ لماذا ؟ " .

" آه ، هذا هو السؤال . هناك أشياء كثيرة ينبغى علينا أن نكشف النقاب عنها "

سألته فيرجينيا بغتة : " من تعتقد أنه قاتل مايكل ؟ رفاق اليد الحمراء ؟ " .

فقال أنطونى بنبرة تنم عن عدم الرضا : " أعتقد أن من الممكن أن يكونوا هم الجناة . فالقتل من أجل القتل احدى السمات المميزة لهم " .

قالت فيرجينيا : " نبدأ العمل إذن . أرى أن اللورد وبندل يتريضان معا . وأول ما علينا القيام به هو أن نتبين على وجه التحديد ما إذا كان القتيل هو مايكل أم لا " .

عاد أنطونى ليجدف نحو الشاطيء ، وما هى إلا دقائق حتى كانا بصحبة اللورد كاترهام وابنته .

قال اللورد فى سخط : " لقد تأخر موعد الغداء " .

" لابد أن باتل قد تشاجر مع الطاهى " .

قالت فيرجينيا : " إنه صديقى يا بندل . فكونى لطيفة معه " .

حدقت بندل بجدية فى أنطونى لدقائق ، ثم علقت فى غيرة موجهة كلامها لفيرجينيا وكأنه غير موجود .

" من أين تأتين بهؤلاء الرجال اللطفاء يا فيرجينيا ؟ كيف تجيدين هذا ؟ " .

ردت فيرجينيا فى نبل . " بوسعك الاحتفاظ به . أما أنا فأريد اللورد كاترهام " .

وابتسمت للورد الذى سعد بهذا الإطراء ، ودست يدها فى ذراعه ، وسارا معا .

سألته بندل : " ألا تتكلم ؟ أم أنك قوى صامت ؟ "

فقال أنطونى : " أتحدث ؟ إننى أتمتم . أغمغم أثرثر - مثل الساقية الجارية . بل إننى أحيانا ما أطرح أسئلة أيضا " .

" أسئلة من أى نوع مثلا ؟ " .

" من القاطن فى الغرفة الثانية من ناحية الطرف الأيسر ؟ " .

كان يشير تجاه الغرفة وهو يتحدث .

قالت بندل : " يالـه من سؤال غير عادى ! لقد نجحت فى إثارة فضولى . دعنى أخبرك . . إنها غرفة الآنسة براون المربية الفرنسية . وهى تشرف بكل جهودها على تهذيب أختىّ الصغيرتين . دولسى وديزى - تماما كالأغنية الشهيرة . واعتقد أنهما لو كانا أنجبا ثالثة لأساميها أيضا دوروثى ماى . لكن أمى ملت من تكرار إنجابها للبنات ، فماتت رأت أن بإمكان غيرها أن تضطلع بمهمة إنجاب وريث للعرش " .

سألها أنطونى متأملا : " الآنسة براون . منذ متى وهى معكم ؟ "

" شهرين . فلقد أتت إلينا حينما كنا فى اسكتلندا "

قال أنطونى . " ها... تخامرنى رائحة الشك هنا " .

علقت بندل بقولها : " أما أنا فأتمنى لو شممت رائحة طعام الغداء . هل أطلب من شرطى سكوتلاند يارد أن يتناول الغداء معنا يا سيد كيد ؟ أنت رجل محنك . وخبير بالإتيكيت . فلم يحدث من قبل أن وقعت جريمة

قتل فى هذا المنزل . ألا تجد إثارة فى هذا ؟ إنى لآسفة لكشف النقاب عن جميع جوانب شخصيتك هذا الصباح. فلطالما تمنيت لو التقيت قاتلا لأتبين بنفسى ما إذا كانوا بذلك السحر والعبقرية كما اعتادت صحف الأحد أن تصفهم . يا إلهى ! ما هذا ؟ " .

كانت هناك سيارة أجرة تقترب من المنزل ، يستقلها شخصان ، أحدهما طويل أصلع الرأس وذو ذقن أسود ، والآخر أقصر قامة وأصغر سنا وله شارب أسود . تعرف أنطونى على شخصية الأول، وخمن أنه هو ـ سبب هذه الدهشة التى أفصحت عنها شفتا رفيقته . وليس السيارة التى كانت تقله .

فعلق قائلا : " ما لم أكن مخطئا ، فإن هذا هو صديقى القديم، البارون لوليبوب "

" البارون ماذا ؟ " .

" إننى أرتاح لتسميته بهذا الاسم . فنطق اسمه الحقيقى فيه صعوبة ومشقة على "

فقالت بندل معلقة : " بالفعل . فلقد كاد يحطم جهاز الهاتف هذا الصباح . هذا هو البارون إذن ؟ أتوقع أن يلتقينى هذه الظهيرة ـ بعدما كنت مع إيزاكشتاين طيلة الصباح . رأيى أن نترك جورج يقوم بما يحلو له . ولتذهب السياسة إلى الجحيم . أرجو المعذرة يا سيد كيد ، ولكن علىَّ أن أتركك الآن . حتى أكون إلى جوار والدى العجوز المسكين " .

وسرعان ما عادت بندل إلى المنزل .

وقف أنطونى ينظر نحوها للحظات . قبل أن يشعل سيجارة وهو غارق فى أفكاره. وبينما يفعل ذلك . التقطت أذنه صوتا شبحا هامسا بالقرب منه . كان يقف إلى جوار العوامة . وبدا أن الصوت قادم من ناحية الركن . وارتسمت فى خياله صورة رجل يحاول فى يأس أن يمنع عطسة باغتته .

فقال أنطونى لنفسه : " ترى من يكون وراء هذه العوامة علينا التأكد بأنفسنا "

وسرعان ما ألقى بعود الثقاب الذى كان قد أطفأه . وركض من فوره ومن دون صخب صوب هذا الركن الذى أتى منه الصوت

فباغت رجلا كان من الواضح أنه كان جاثما على الأرض ويجاهد لكى يقف على قدميه . كان طويل القامة . يرتدى معطفا فاتح اللون ونظارة . وتميزه لحية قصيرة مستدقة سوداء وأسلوب أنيق مهذب . كان عمره يتراوح ما بين الثلاثين والأربعين . وينم مظهره العام عن الاحترام .

سأله أنطونى : " ما الذى تفعله هنا ؟ "

كان متيقنا من أن الرجل ليس من بين ضيوف اللورد كاترهام

قال الغريب بلكنة أجنبيه مميزة، وابتسامة أرادها أن تكون ودودة : " معذرة . إننى أود العودة إلى جولى

كريكيترز. ولكننى ضللت الطريق ـ فهلا تكرم السيد بإرشادى إلى الطريق الصحيح ؟ "

قال أنطونى : " بالتأكيد . ولكنك لن تستطيع الوصول إلى هناك عبر هذه المياه " .

" هاه ؟ " . قالها الرجل بنبرة تنم عن الحيرة والارتباك .

كرر أنطونى كلامه . وهو ينظر نحو العوامة هذه المرة : " قلت إنك لن تستطيع الوصول إلى هناك عبر المياه . هناك طريق يمر عبر المتنزه ـ على مسافة من هنا . ولكن هذه المنطقة ملكية خاصة . وأنت بذلك تتعدى عليها "

قال الغريب " إننى فى غاية الأسف. فلقد ضللت الطريق تماما . فرأيت أن آتى إلى هنا لأسأل عن الطريق الصحيح " .

لم يشأ أنطونى أن ينبهه إلى أن الاختباء وراء عوامة أسلوب غريب للاستفسار . وبدلا من هذا سحب الغريب برفق من ذراعه .

قال له . " عليك أن تسلك هذا الطريق . من حول البحيرة وبعدها تسير فى طريق مستقيم ـ حتى تصل إلى الدرب ـ وعندها انعطف يسارا . حتى تصل إلى القرية . أعتقد أنك مقيم فى الكريكيترز ؟ "

" بالفعل يا سيدى . منذ هذا الصباح . جزيل الشكر لك على إرشادك لى " .

" لا داعى للشكر . أتمنى فقط ألا تكون قد أصبت ببرد " .

قال الرجل الغريب . " هاه ؟ " .

" لكونك كنت جاثما على الأرض الرطبة . هذا ما قصدته . خيل لى أننى سمعتك تعطس " .

فأقر الآخر كلامه قائلا : "ربما أكون قد عطست "

" بالفعل . ولكن ليس من المستحب أن تكتم العطسة . كما تعلم . هذه معلومة عرفتها من أحد أشهر الأطباء منذ يومين . فهو أمر خطير . لا أتذكر على وجه التحديد ما يمكن أن يؤدى اليه هذا ــ ربما أدى إلى تصلب فى الشرايين. ولكن عليك ألا تفعل هذا فى كل الأحوال فحسب . طاب صباحك " .

" طاب صباحك . وأشكرك يا سيدى لإرشادك لى إلى الطريق الصحيح "

تمتم أنطونى لنفسه وهو يراقب الغريب وهو يبتعد : " هذا ثانى غريب غامض يأتى من مقهى القرية . ولا يمكننى تحديد هويته . إن له مظهر تاجر فرنسى رحالة ولا يمكن أن أتخيله واحدا من رفاق اليد الحمراء . فهل هو أحد ممثلى حزب ثالث فى دولة هيرتزوسلوفاكيا المنكوبة ؟ إذن فإن غرفة المربية الفرنسية هى الثانية من الطرف. بينما أجد هنا فرنسيا غريبا. يتسلل خلسة حتى يستمع إلى حوارات لا تخصه فى شيء . أراهن إن لم يكن فى الأمر شيء " .

حمل معه أفكاره . وهو يتتبّع خطواته ثانية إلى المنزل . وعند الشرفة صادف اللورد كاترهام . الذى بدا مكتئبا للغاية . ومعه ضيفان جديدان . إلا أنه ابتهج قليلا عند رؤيته أنطونى .

علق قائلا : " آه . . هأنذا . دعنى أعرفك بالبارون .. آ .. آ ... والكابتن أندراسى . هذا هو السيد أنطونى كيد " .

حدق البارون فى أنطونى بشك متزايد

قال فى عنف : " السيد كيد ؟ لا أعتقد هذا هو اسمك " .

فقال أنطونى : " أود أن أحدثك على انفراد يا سيدى البارون . وسأوضح لك كل شيء " .

فأومأ له البارون . وسارا معا عبر الشرفة .

بادره أنطونى قائلا : " سيدى البارون . علىّ أن أعتذر لك . فلقد أسأت حتى الآن كثيرا إلى اسم رجل إنجليزى قمت بالسفر إلى هذه البلاد منتحلا هويته . لقد قدمت نفسى إليك باسم السيد جيمس ماكجراث ـ إلا أنه قد تبين لك أن هذا الانتحال لشخصيته لم يكن بأمر ذى بال . ومما لا شك فيه أنك على اطلاع بكتابات شكسبير ، وهو القائل إن كل مسميات الورود هذه لا تُنهم. ونحن هنا أمام نفس الشيء . فأنت لم تكن تريد سوى الرجل الذى بحوزته المذكرات . وكنت أنا هذا الرجل . وكما تعلم بالتأكيد. فلم تعد تلك المذكرات

بحوزتى . ولقد كانت خدعتكم لى بارعة . بارعة جدا . من الذى خطط لها . أنت أم سموه ؟ " .

" بل كانت فكرة سموه . ولم يكن ليسمح لأى شخص سواه بتنفيذها "

قال أنطونى فى استحسان : " لقد أجاد هذا بالفعل فأنا لم أتخيل أبدا أنه ليس إنجليزيا "

فقال له البارون مفسرا : " لقد تلقى الأمير تعليما إنجليزيا صرفا . وهى عادة متبعة فى هيرتزوسلوفاكيا " .

قال أنطونى . " لم يكن لأى محترف أن يستولى على تلك الأوراق بمثل براعته . هلا سألتك ومن دون أن تسيء فهمى . ماذا كان مصير تلك المذكرات ؟ "

" سأخبرك ولكن هذا سر بين سيدين "

فتمتم أنطونى: " هذا لطف منك أيها البارون . فلم أناد بلقب سيد فى حياتى أكثر مما نوديت به فى الثمانى والأربعين ساعة الأخيرة " .

" أعتقد أنها قد أحرقت " .

" تعتقد ، أى أنك لست متيقنا من هذا ؟ هاه ؟ "

" لقد احتفظ بها سموه فى خزانته . وكان غرضه أن يقرأها ومن ثم يحرقها "

" فهمت . وهى بالفعل تحتاج إلى وقت للاطلاع عليها ، فهى ليست من الكتابات الخفيفة التى يمكن الاطلاع عليها سريعا فى غضون نصف ساعة " .

" ولم يجدها أحد بين متعلقات سيدى القتيل فمن الواضح أنه قد قرر إحراقها " .

" هممم ! إننى فقط أتساءل " .

وسكت للحظات. ثم تابع كلامه

" لقد طرحت عليك هذه الأسئلة يا سيدى البارون لأننى ـ وكما تكون قد عرفت ـ واحد ممن تحوم حولهم الشكوك فى هذه الجريمة . فلابد من أن أبرىء ساحتى تماما " .

فقال البارون : " بلا شك . فهذا أمر لا يليق بشخص شريف مثلك " .

" بالضبط كما أنكم قد نجحتم فى خداعى ببراعة ولا يمكن أن أبرىء ساحتى إلا بالتوصل إلى القاتل الحقيقى . وهو الأمر الذى يدفعنى إلى جمع كل الحقائق ومن هنا جاءت أهمية هذه المذكرات فيبدو لى أنه من الممكن أن يكون الاستيلاء عليها هو الدافع نحو ارتكاب جريمة القتل هذه. خبرنى يا سيدى البارون . هل تجد فى هذا الكلام شيئا غير منطقى ؟ " .

تردد البارون بضع لحظات .

تساءل البارون فى حذر . " هل قرأت بنفسك هذه المذكرات ؟ " .

فابتسم أنطونى قائلا : " أعتقد أن هذا السؤال يكفينى كإجابة والآن سيدى البارون . بقى أمر واحد فأنا أود أن أنبهك إلى أننى لا أزال عازما على تسليم هذه المذكرات

إلى الناشرين بحلول يوم الأربعاء القادم . الثالث عشر من أكتوبر " .

فحدق فيه البارون .

" لكنها لم تعد بحوزتك ؟ " .

" لقد قلت يوم الاربعاء القادم واليوم هو الجمعة أى أن أمامى خمسة أيام لاستعادتها " .

" وماذا لو أنها قد أحرقت ؟ " .

" هذا ما لا أعتقده ولدىّ أسبابى الوجيهة التى تمنعنى من تصديق هذا " .

كانا قد انعطفا عند ركن الشرفة وهما يتحدثان أثناء ذلك شاهدا شخصا ضخم الجثة يقترب منهما فنظر اليه انطونى ـ الذى لم يكن قد قابل بعد السيد المهيب هيرمان ايزاكشتاين ـ فى اهتمام كبير

قال إيزاكشتاين وهو يلوح نحوهما بسيجار أسود كبير كان يدخنه " آه ، بارون . يالسوء ما حل بنا ـ يا لسوء ما حل بنا "

صاح البارون " عزيزى إيزاكشتاين لقد تحول صرحنا النبيل إلى أطلال " .

فضل أنطونى أن يترك السيدان لنواحهما وانسحب عائدا عبر الشرفة

إلا أنه توقف بغتة . حينما رأى خيط دخان لولبيا رفيعا يعلو من وسط سياج شجر الطقسوس .

فقال أنطونى لنفسه : " لابد أن بها تجويفا فى الوسط. لقد سمعت شيئا من هذا من قبل " .

نظر بسرعة يمينه ويساره . كان اللورد كاترهام عند الطرف الآخر من الشرفة مع الكابتن أندراسى ، مولبين ظهريهما له . فأحنى أنطونى جسده وانطلق بسرعة نحو شجر الطقسوس الكثيف .

كان محقا فى افتراضه . فلم تكن هناك شجرة واحدة بل شجرتان ، لا يفصل بينهما سوى ممر ضيق . كان مدخلها يقع فى النصف الأعلى، إلى جانب المنزل . لم يكن بها أى شيء غامض ، إلا أن أى شخص يرى سياج الشجرة من الأمام لم يكن ليخمن هذا .

نظر أنطونى عبر الفاصل الضيق . وفى النصف السفلى رأى رجلا يستلقى على مقعد من الخيزران . بينما استقر سيجار احترق نصفه على ذراع المقعد . وبدا صاحبه نائما .

فقال أنطونى لنفسه : " همم ! من الواضح أن السيد هيرمان فيش يفضل البقاء فى الظل " .

الفصل ١٦

شاى فى غرفة الدرس

عاد أنطونى إلى الشرفة وهو على قناعة بأن المكان الآمن الوحيد لأى حوار خاص هو وسط تلك البحيرة .

علت بالمكان أصداء جرس . بينما ظهر تريدويل بزى فخم مهيب من باب جانبى .

" الغداء جاهز يا سيدى اللورد " .

قال اللورد وقد ابتهج بعض الشيء : " آه ! الغداء ! "

فى هذه اللحظة اندفعت طفلتان إلى خارج المنزل كانتا طفلتين مفعمتين بالحيوية ، إحداهما فى الثانية عشرة والأخرى فى العاشرة . ومع أن اسميهما قد يكونان دولسى وديزى ـ كما أكدت له بندل من قبل فقد بدا أنهما يعرفان أكثر باسمى جاجل وونكل حتى يتناسب مع شقاوتهما . فقد كانتا تؤديان نوعا من رقصات الحرب ، وتصيحان صيحات عالية هنا وهناك ، إلى أن ظهرت بندل وكبحت جماح هذه الشقاوة .

قالت لهما : " أين الآنسة بران ؟ "

ردت عليها جاجل بنبرة منغومة : " لقد أصيبت بالصداع النصفى ، الصداع النصفى ، الصداع ! "

بينما انضمت إليها وينكل تغنى : " هوراااييه ! " .

نجح اللورد كاترهام فى جمع معظم ضيوفه داخل المنزل . حتى وضع يده المتعبة على ذراع أنطونى .

قال له لاهثا : " هيا بنا إلى غرفة المكتب . فلدىَّ شيء خاص جدا هناك "

وانسلا عبر الردهة . فبدا اللورد أقرب إلى لص منه إلى سيد هذا المنزل . حتى دلف إلى معتكفه حيث فتح إحدى الخزانات وأخرج منها زجاجات مختلفة .

قال له معتذرا : " كثرة الكلام مع الأجانب دوما ما تصيبنى بالعطش . ولا أعلم ما علاقة هذا بذاك " .

سمعا طرقا على الباب . ثم ظهرت رأس فيرجينيا عبر ركن الباب

سألتهما : " هلا قدمتما لى كأس كوكتيل خاص ؟ " .

فقال اللورد كاترهام فى ترحيب : " بالطبع . ادخلى "

ومرت عليهم الدقائق القليلة التالية وهم يتناولون الشراب بكل جدية .

قال اللورد متنهدا وهو يضع الكأس على المنضدة : " كم كنت بحاجة إلى هذا ! فكما قلت للتو . إن الحديث مع الأجانب منهك بشكل خاص . ربما يرجع

هذا إلى تأنفهم الشديد فى كلامهم . هيا بنا . لنذهب لتناول الغداء " .

قادهما حتى غرفة الطعام . بينما وضعت فيرجينيا يدها على ذراع أنطونى ، وهى تجتذبه برفق ليتأخرا قليلا .

فهمست له : " لقد نجحت فيما كنت أصبو إليه . وأقنعت اللورد كاترهام بأن يصطحبنى لأطلع على الجثة " .

فسألها أنطونى فى ترقب : " وبعدها ؟ " .

كان يعول على ردها فى إثبات صحة أو خطأ إحدى نظرياته .

إلا أن فيرجينيا هزت رأسها .

قالت هامسة : " لقد كنت مخطئا فهو الأمير مايكل بالفعل " .

وبدا الكدر العميق على أنطونى : " أوه ! " .

ثم أضاف بصوت عال . وبنبرة ساخطة . " كما أصيبت الآنسة بداء الصداع النصفى " .

" وما علاقة هذا بما قلته لك ؟ " .

" ربما لا شيء . لكننى أود أن أراها . وكما ترين . فقد تبين لى أن الآنسة هى التى تقطن الغرفة الثانية من الطرف ــ وهى الغرفة التى شاهدت ضوءها الليلة الماضية " .

" هذه معلومة مثيرة للاهتمام " .

" ربما لا يكون لهذا أية دلالة . ومهما كان الحال ، فأنا عازم على أن ألتقى الآنسة قبل انقضاء هذا النهار " .

كان الغداء بمثابة عناء . فحتى ما قامت به بندل من ترحيب بالجميع لم ينجح فى التوفيق بين هذا الجمع المتباين السمات . لقد كان البارون وأندراسى متأنقين ، ورسميين ، ويلتزمان تماما بأصول الإتيكيت ، حتى بدا وكأنهما يحضران وجبة غداء فى ضريح . وكان اللورد كاترهام خاملا مكتئبا . بينما كان بيل إيفرسلاى يحدق بشوق فى فيرجينيا . أما جورج ـ وهو المتنبه جدا إلى الموقف الصعب الذى وجد فيه نفسه ـ فكان يتحدث بنبرة ثقيلة مع البارون والسيد إيزاكشتاين . وكانت الصبيتان مبتهجتين وتمرحان وكأنما يسعدهما أن تكون هناك جريمة قتل بالمنزل . وكان لزاما إبقاؤهما تحت عين حارسة ، بينما كان السيد هيرام فيش يلوك غداءه ببطء ، ويلقى بين الحين والآخر بلمحوظة جافة بتعبيراته الغريبة الخاصة . بينما لم يكن هناك أثر للمحقق باتل ، ولم يكن أحد يعرف عنه شيئا .

تمتمت بندل لأنطونى وهما ينهضان عن المائدة :

" نحمد الله أن الغداء قد انتهى . سيقوم جورج باصطحاب ذلك المندوب الأجنبى إلى دار العبادة هذه الظهيرة لمناقشة بعض أسرار الدولة " .

فأمن أنطونى على كلامها قائلا : " هذا كفيل بتخفيف أجواء التوتر فى هذا المكان " .

واصلت بندل كلامها . " لست قلقة بشأن الأمريكى فيمكن له ولأبى أن يتحدثا بمفردهما فى أحد الأماكن المنعزلة . " سيد فيش " ، وبينما كان الشخص الذى يتحدثان عنه يقترب قالت بندل : " سيد فيش . لقد أعددت لك ظهيرة هادئة " .

انحنى لها الأمريكى فى احترام .

" هذا لطف منك يا ليدى إيلين " .

فقال أنطونى . " لقد كان صباح السيد فيش هادئا جدا " .

فرمقه السيد فيش بنظرة سريعة .

" آه ، يبدو أنك قد لاحظتنى إذن . فى خلوتى تلك ؟ أود أن أقول لك يا سيدى إن هناك لحظات يكون فيها الابتعاد عن الناس الملاذ الوحيد لشخص ميال للهدوء " .

كانت بندل قد انصرفت وتركتهما وحدهما . فخفض الأمريكى صوته قليلا وهو يقول :

" رأيى أن هناك سرا كبيرا وراء هذا النزاع الصغير " .

" ما الذى تعنيه ؟ " .

" ذلك الرجل الأصلع . هل هو من أفراد العائلة ؟ "

" نوعا ما " .

فقال فيش : " يشاع فى دول أوروبا الوسطى أن القتيل كان من العائلة المالكة . أهذا صحيح . هل لك علم بذلك ؟ " .

فقال أنطونى متهربا : " لقد كان يقيم هنا باسم الكونت ستانيسلاوس "

لم يعلق فيش على هذا إلا بتمتمة متعجبة بدت بلا معنى .

بعدها لاذ بالصمت لبضع لحظات .

بعد ذلك علق قائلا :

" وهذا الشرطى الذى استدعيتموه ، باتل ، أو أيا كان اسمه . هل هو كفء لهذه المهمة ؟ " .

رد أنطونى بلهجة جافة قائلا : " تعتقد سكوتلاند يارد هذا " .

فعلق السيد فيش قائلا : إنه يبدو لى شخصا ضيق التفكير . أنا لا أحمل تجاهه أية ضغينة . إلا أننى لا أرى جدوى من قراره بألا يغادر أحد هذا المنزل " .

فرمق أنطونى بنظرة حادة وهو يتكلم :

" تعلم أن الكل سيحضر التحقيق صبيحة الغد "

" أهذا هو مقصده ؟ لا شيء سوى هذا ؟ ألم يذكر شيئا عن أية شكوك تحيط بأحد من ضيوف اللورد كاترهام ؟ "

" ما الذى ترمى إليه يا سيد فيش ؟ " .

" أشعر بقليل من عدم الارتياح - ربما لكونى غريبا فى هذه البلاد . ولكننى أعتقد بالطبع أن الفاعل ليس من قاطنى هذا المكان . لقد وجدوا احدى النوافذ مفتوحة ، أليس كذلك ؟ " .

رد أنطونى وهو ينظر أمامه مباشرة : " بالفعل " .

تنهد السيد فيش . ثم قال بعد لحظات بنبرة تنم عن الحزن والكآبة :

" هل تدرى أيها الشاب ما هى الطريقة التى يطردون بها المياه من داخل المناجم ؟ " .

عن طريق الضخ - إلا أنها عملية شاقة بالفعل ! معذرة . ولكننى شاهدت مضيفى الكريم ينتحى بنفسه بعيدا عن الجمع هناك . علىّ أن ألحق به "

فابتعد السيد فيش فى لطف ، وعادت بندل من جديد .

قالت معلقة : " شخصية مسلية فيش هذا ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى . إنه كذلك "

قالت بندل فى حدة : " لا جدوى من البحث عن فيرجينيا " .

" لم أكن أبحث عنها " .

" بل كنت تبحث عنها . لا أعلم كيف تفعل هذا . إن الأمر لم يكن كما قالت . بل إننى حتى لا أصدق ما تبدو عليه . إلا أن الغريب أنها تصل إلى هناك فى كل مرة وعلى كل حال ، فلديها الآن عمل فى مكان ما . وأخبرتنى بأن أكون لطيفة معك . وهذا ما سأفعله - ولو بالقوة . إن اقتضى الأمر " .

طمأنها أنطونى قائلا : " لا داعى للقوة . ولكن إن لم يكن لديك مانع ، فإننى أفضل أن تكون هذه المعاملة اللطيفة وسط المياه ، على متن قارب " .

قالت بتأمل : " إنها لفكرة جيدة " .

وهكذا توجها إلى البحيرة .

قال أنطونى وهو يجدف فى هوادة بعيدا عن الساحل . " هناك سؤال أود أن أطرحه عليك ، قبل أن ننتقل للحديث عن الموضوعات الشيقة . فالعمل قبل المتعة " .

سألته بندل وصبرها على وشك النفاد : " أى غرفة نوم تود أن تعرف نزيلها هذه المرة ؟ " .

" لن أسأل عن غرف أحد هذه المرة إلا أننى أود أن أسألك من أين أتيت بهذه المعلمة الفرنسية "

فقالت بندل : " ذلك الرجل مسحور . لقد أتيت بها من إحدى وكالات التوظيف . وندفع لها مائة جنيه سنويا ، واسمها الأول جينيفيف . هل تريد أن تعرف المزيد ؟ " .

قال أنطونى : " سنبحث أمر هذه الوكالة . وماذا عمن رشحوها ؟ " .

" أود . لا غبار عليهم ! لقد عاشت لعشر سنوات مع إحدى الكونتيسات " .

" ما اسمها ؟ ـــــ " .

" الكونتيسة دى بريتيل . شاتو دى بريتيل ، دينارد " .

" وأنت لم تر هذه الكونتيسة بنفسك ؟ كان الأمر كله مراسلات ؟ "

" بالضبط " .

تمتم أنطونى " همم ! "

" أنت تثير فضولى . تثير فضولى بشكل مذهل . أهو الحب أم الجريمة ؟ " .

" بل ربما كانت مجرد بلاهة منى . لننس هذا الأمر " .

وكرر عبارة " لننس الأمر " فى تهاون بعد أن كان قد استخلص منها كل المعلومات التى يريدها . " فيمن تشك يا سيد كيد ؟ إننى أشك فى فيرجينيا باعتبارها أبعد الأشخاص عن الشبهات أو ربما بيل " .

" وماذا عنك أنت ؟ " .

" فرد من الطبقة الارستقراطية ينضم سرا إلى رفاق اليد الحمراء . هذا افتراض مثير للخيال بالفعل "

ضحك أنطونى . كان معجبا ببندل . مع أنه كان يخشى نظراتها اللاذعة التى تشع من عينيها الرماديتين نحوه

قال فجأة وهو يلوح بيده تجاه المنزل الكبير على البعد . " لابد أنكم فخورون بكل هذا " .

فأمالت بوجهها إلى الجانب وهى تدير عينيها .

" نعم . أعتقد أنه يعنى لنا شيئا . إلا أن المرء صار معتادا عليه . ولكننا لا نمكث هنا كثيرا على أى حال — فالمكان يصيب قاطنه بملل قاتل . إننا نقضى الصيف بأكمله فى كاويس ودوفيل ، بعدها نذهب إلى اسكتلندا لم يكن هناك أحد فى تشيمنيز طيلة خمسة أشهر مضت . ولكنهم يزيلون آثار الغبار عن الأثاث مرة واحدة أسبوعيا ، وتأتى العربات بالسياح الذين يتجولون بالمكان يصحبهم تريدويل وهو يشرح لهم كل جزء فيه " على يمينكم بورتريه للماركيزة الرابعة لكاترهام ، رسمه السير جوشوا رينولدز " ... إلى آخر هذا . ويقوم إد أو بيرت . مهرج الحفل . بوكز ابنته وهو يقول : " إيه ! إن لديهم يا جلاديز لوحتين لا قيمة لهما . هذا كاف جدا " . وبعد ذلك يذهبون لرؤية المزيد من اللوحات وقد أصابهم الملل ، فيتمنون أن يعودوا أدراجهم فى أسرع وقت " .

" إلا أن المكان كان شاهدا مرة أو مرتين على قرارات تاريخية اتخذت فيه " .

قالت له فى حدة " يبدو أنك قد سمعت حديث جورج . فهذا ما لا يتوقف عن قوله أبدا " .

كان أنطونى يستند إلى مرفقه وهو ينظر نحو الساحل .

" هل هذا هو ثالث غريب غامض أراه يقف مهموما إلى جوار العوامة ؟ أم أنه أحد ضيوف هذا الحفل ؟ "

رفعت بندل رأسها عن المسند قرمزى اللون .

قالت . " إنه بيل "

" يبدو لى أنه يبحث عن شيء "

فقالت بندل بحماس : " ربما كان يبحث عنى أنا "

" هلا جدفنا بسرعة فى الاتجاه المعاكس ؟ "

" هذه هى الإجابة الصحيحه . ولكن علينا أن نقوم بتوصيلها بمزيد من الحماس " .

" سأجدف بقوة مضاعفة بعد هذا التقريع " .

فقالت بندل " ليس عليك هذا . إنى معتزة بكرامتى . وعليك أن تجدف بالقارب إلى حيث ينتظر ذلك الشاب الأحمق . أعتقد أنه لابد من شخص يهتم بأمره فلابد أن فيرجينيا قد أفلتت منه . فقد أرغب يوما ما فى الزواج من جورج حتى وإن كنت لا أتصور أن يأتى هذا اليوم . لذا فعلى أن أتمرس على أن أكون واحدة من أشهر المضيفات السياسيات "

وهكذا أطاعها أنطونى وتوجه بالقارب نحو الشاطيء .

وقال شاكيا : " وماذا عنى أنا . أريد أن أعرف ؟ فأنا أرفض أن أكون ذلك العزول الثالث . أهؤلاء الذين أراهم على البعد هما الطفلتان ؟ " .

" نعم . ولكن عليك أن تتوخى الحذر . وإلا ربطوك بالحبال " .

" إننى مغرم بالأطفال جدا . وقد أعلمهم بعض الألعاب العقلية اللطيفة "

" حسنا . لا تقل بعد ذلك إننى لم أحذرك " .

بعد أن ترك بندل فى عناية بيل المغموم ، سار أنطونى إلى حيث تتعالى صيحات الطفلتين التى عكرت صفو الظهيرة . وكان استقباله حافلا .

سألته جاجل فى صرامة : " هل تجيد لعبة الهنود الحمر ؟ " .

" بل عليكما أن تستمعا إلى الصوت الذى أطلقه حينما تسلخ فروة رأسى . هكذا " . وأخذ يمثل لهما .

فقالت وينكل فى تذمر : " لا بأس بهذا . الآن أطلق صرخة المسلوخ " .

وأجبر أنطونى على إطلاق صراخ يجمد الدم فى العروق. وما هى إلا لحظات حتى كانت لعبة الهنود الحمر فى ذروتها .

وبعد مضى ساعة تقريبا . مسح أنطونى جبينه . وغامر بسؤالهما عن الصداع النصفى الذى يصيب الآنسة . وأسعده أن يعرف بأن الليدى قد تعافت تماما . وصار أنطونى محبوبا من الطفلتين لدرجة أنهما دعتاه بإلحاح إلى تناول الشاى فى غرفة الدرس .

قالت له جاجل بإلحاح : " وحينئذ يمكنك أن تحكى لنا عن الرجل الذى رأيته مشنوقا ؟ " .

بينما سألته وينكل . " هل قلت لنا من قبل إن بجعبتك قطعة من الحبل الذى شنق به ؟ " .

قال أنطونى فى وقار : " إنه فى حقيبتى . وسأعطى كلا منكما قطعة " .

فأطلقت وينكل على الفور صرخة فرح هندية .

بينما قالت جاجل فى وجوم : " أعتقد أن علىّ أن أذهب لأغتسل الآن . ستأتى لتناول الشاى ، أليس كذلك ؟ لن تنسى ؟ " .

وأقسم لهما أنطونى بأن شيئا لن يمنعه عن المجىء . وهكذا انطلقت الطفلتان نحو المنزل فى رضا . بينما وقف أنطونى دقيقة يحرسهما بنظرة . وبينما كان ينظر إليهما ، صار يدرك أن هناك من ترك مكانه فى الجانب الآخر من مجموعة الأشجار الصغيرة وهو يهرع مبتعدا عبر المتنزه . شعر أنطونى بيقين شبه تام بأنه نفس الغريب ذى اللحية السوداء الذى التقاه هذا الصباح . كان مترددا فى أن يلحق به ، قبل أن يرى السيد هيرمان فيش أمامه خارجا من بين الأشجار . وبوغت الأخير بعض الشىء حينما رأى أنطونى .

سأله أنطونى " هل نعمت بظهيرة هادئة يا سيد فيش ؟ "

" بالفعل . أشكرك " .

غير أن السيد فيش لم يكن يبدو بذلك الهدوء المعتاد . فقد كان وجهه محمرا ، وكان يتنفس بصعوبة وكأنما كان يركض . وأخرج ساعته لينظر إلى الوقت .

قال فيش فى رقة . " أعتقد أنه قد حان الوقت الإنجليزى المقدس لتناول شاى " .

وسرعان ما أغلق ساعته فجأة ، ثم سار فى هدوء نحو المنزل .

وقف أنطونى وهو يفكر بعمق . إلى أن تنبه حين فوجئ بأن المحقق باتل يقف إلى جواره . فهو لم يسمع أى صوت لخطواته وهو يقترب من المكان ، وبدا وكأنه قد ظهر من العدم .

سأله أنطونى فى انزعاج : " من أين ظهرت هكذا ؟ " .

هز رأسه بعض الشيء ، وهو يشير إلى مجموعة الأشجار خلفهما .

فعلق أنطونى : " يبدو أن هذه البقعة قد اكتسبت شعبية كبيرة هذه الظهيرة " .

" أكنت غارقا فى أفكارك يا سيد كيد ؟ " .

" بالفعل . أتعلم فيم كنت أفكر يا باتل ؟ كنت أحاول أن أجمع اثنين وواحدا وخمس وثلاثة معا حتى يكون الناتج أربعة . ولم يمكننى هذا يا باتل . لم يمكننى هذا أبدا "

وافقه المحقق الرأى قائلا : " هناك بالفعل صعوبات من هذا القبيل " .

" لكنك الشخص الذى كنت أريد أن أراه الآن يا باتل . فأنا أريد الخروج من هنا . هل يمكنك تدبير هذا ؟ " .

وكالعادة ، لم تبد على وجه المحقق باتل أية ملامح للدهشة أو الانفعال . وكان رده بسيطا وعمليا .

" هذا يعتمد على الجهة التى تريد الذهاب إليها " .

"سأخبرك على وجه التحديد يا باتل . وسأكشف لك جميع أوراقى . فأنا أود الذهاب إلى دينارد ، إلى كونتيسة بريتيل . هل يمكننى الذهاب ؟ " .

" ومتى تريد أن تذهب ، سيد كيد ؟ " .

" لنقل فى الغد ، بعد التحقيق مثلا . وسأعود بحلول مساء الأحد " .

قال المحقق بصرامة : " فهمت " .

" حسنا ، ما رأيك إذن ؟ " .

" ليس لدىّ اعتراض ، شريطة أن تذهب فعلا إلى حيث قلت . وأن تعود إلى هنا مباشرة " .

" أنت رجل قل نظيره يا باتل فإما أننى قد استحوذت على إعجابك بصورة غير عادية ، أو أنك عميق بصورة غير عادية ، فأيهما أصح ؟ " .

تبسم باتل قليلا . إلا أنه لم يرد .

فقال أنطونى : " حسنا . أتوقع أن تقوم بأخذ احتياطاتك سترسل خلفى بعضا من مخبريك لتتبع خطواتى المشتبه بها . لا بأس عندى . إلا أننى أرغب فى أن أعرف سبب كل هذا " .

" إننى لا أفهمك يا سيد كيد " .

" تلك المذكرات ـ ما سبب كل هذه الجلبة المثارة حولها . هل كانت مجرد مذكرات ؟ أم هناك شيء آخر لا أعلمه ؟ " .

ابتسم باتل من جديد .

" لنقل إننى أسدى إليك معروفا لأنك تركت لدىّ انطباعا جيدا يا سيد كيد . وأود منك أن تعاوننى فى هذه القضية . تعاون هاو مع محترف . فأحدنا يتمتع بالألفة . والآخر بالخبرة " .

فقال أنطونى ببطء : " حسنا . لا مانع عندى من أن أقر بأننى كنت راغبا دوما فى أن أجرب نفسى فى كشف غموض جريمة قتل " .

" وهل لديك أى تصور تجاه القضية يا سيد كيد ؟ " .

" بل العديد من التصورات . إلا أنها لا تخرج عن إطار كونها أسئلة " .

" مثل ماذا ؟ " .

" من الذى سيخلف القتيل مايكل ؟ يبدو لى أن لهذا السؤال أهميته ؟ " .

بدت على وجه المحقق باتل ابتسامة ساخرة إلى حد ما .

" تساءلت عما إذا كنت قد فكرت فى هذا يا سيدى . فالأمير نيكولاس أوبولوفيتش هو الوريث التالى ـ فهو ابن عم من الدرجة الأولى لهذا السيد القتيل " .

سأله أنطونى وهو يتنحى ليشعل سيجارة : " وأين هو فى الوقت الحالى ؟ لا تقل لى إنك لا تعرف مكانه يا باتل ، لأننى لن أصدقك " .

" لدينا أسبابنا التى تدفعنا إلى الاعتقاد بأنه فى الولايات المتحدة . لقد كان هناك حتى وقت قريب على أية حال . كان يعمل على جمع الأموال لأجل حملته " .

أطلق أنطونى صفير دهشة .

" فهمتك . فمايكل تدعمه إنجلترا . أما نيكولاس فتظاهره أمريكا . وفى كلا البلدين مجموعة من رجال الأعمال المتلهفين لتملك حقوق امتياز النفط هناك . وحزب الموالين تبنى مايكل كمرشح لهم ـ أما الآن فعليهم أن يبحثوا عن غيره . أى أنها معركة تكسير عظام بين إيزاكشتاين وشركائه والسيد جورج لوماكس . إن المعركة المشتعلة فى وول ستريت . أليس كذلك ؟ " .

فقال المحقق باتل : " لم تبتعد كثيرا فى تخمينك هذا " .

" همم ! إننى اكاد أقسم بأننى أعلم بما تفعلونه فى أجمة الأشجار تلك " .

ابتسم المحقق ، إلا أنه لم يعلق .

" لطالما أدهشتنى السياسة الدولية ، إلا أننى مضطر للانصراف الآن . فلدىّ موعد فى غرفة الدرس " .

وسار فى نشاط وانتعاش مبتعدا نحو المنزل . وبسؤال تريدويل عرف طريقه إلى غرفة الدرس . وطرق الباب ثم دلف ، لترحب به صيحات الابتهاج .

هرعت جاجل وونكل نحوه على الفور وجراه جرا فى جذل . حتى يتعرف على الآنسة .

شعر أنطونى لأول مرة فى حياته بارتياب وخوف . فقد كانت الآنسة برات سيدة ضئيلة الحجم فى منتصف العمر . ذات وجه شاحب ، وشعر أشيب يختلط بالسواد . وزغب تحت أنفها !

لم تكن صورتها تتفق أبدا مع صورة الأجنبية المغامرة التى رسمها لها فى خياله .

قال أنطونى لنفسه : " أعتقد أننى قد ارتكبت أكبر حماقة فى حياتى . وليس أمامى سوى أن أسلك الطريق حتى نهايته " .

كانت الآنسة مغتبطة به جدا . كانت سعيدة جدا بوجود شاب وسيم داخل غرفة الدرس . فكم كان تناول الشاى شهيا فى صحبته !

ولكن فى هذا المساء لم يتوقف أنطونى وهو وحده فى غرفة النوم الساحرة التى خصصت له عن تأنيب نفسه .

" كم أنا مخطيء . لثانى مرة أخطيء . إننى عاجز عن الإمساك بأى طرف خيط فى هذه القضية " .

وتوقف عن حركته الثائرة داخل الغرفة جيئة وذهابا .

" ما هذا الذى ـــ ؟ "

هنا انفتح الباب فى نعومة . وسرعان ما دلف رجل داخل الغرفة . وقف فى تبجيل عند الباب .

كان ضخم الجثة ووسيما . عظام وجنتيه تنم عن أصل سلافى . مع عينين حالمتين تنم عن الغضب .

حدق فيه أنطونى قائلا : " من أنت بالله عليك ؟ "

أجابه الرجل بإنجليزية ممتازة .

" اسمى بوريس أنشوكوف "

" أنت خادم الأمير مايكل . أليس كذلك ؟ "

" بالضبط . فقد كنت خادما له . وقد توفى الآن . وأنا الآن فى خدمتك "

" هذا كرم منك . إلا أننى لست راغبا فى أى خادم " .

" بل أنت سيدى الآن . وسأخدمك بكل إخلاص " .

" أجل .. لكن ... اسمعنى ... لست بحاجة لخادم . ليس معى من النقود ما يتيح لى هذا الترف "

نظر إليه بوريس أنشوكوف فى بعض امتعاض .

" أنا لم أطلب منك مالا . لقد كنت أخدم سيدى وهكذا سوف أخدمك ـ حتى الموت ! " .

وسرعان ما تقدم خطوات إلى الأمام ، وجثا على ركبته . ممسكا بيد أنطونى ليضعها على جبينه . بعد ذلك نهض بسرعة وغادر الغرفة ليختفى فجأة كما ظهر .

أخذ أنطونى ينظر إلى حيث ابتعد ، وقد علت وجهه ملامح الدهشة .

" كم هذا غريب ! وياله من وفاء من نوع غريب أيضا ما هى عقلية هذا الرجل ؟ "

ونهض وعاود التجوال داخل الغرفة .

تمتم لنفسه : " ما الفارق ؟ — فكل شيء الآن غريب " .

الفصل ١٧

مغامرة فى منتصف الليل

جرى التحقيق فى الصباح التالى . لم يكن يسير ابدا على نفس منوال التحقيقات الذى تصوره الروايات البوليسية . وقد أرضى الجميع حتى جورج لوماكس فى قمعه الصارم لكل التفاصيل ذات الأهمية فقد كان المحقق باتل والطبيب الشرعى يعملان معا بدعم من رئيس الشرطة للنزول بالإجراءات إلى الحد الأدنى من الملل

وما إن انتهى التحقيق ، حتى غادر أنطونى المكان من دون أن يلفت الأنظار إليه .

كان رحيله موضع اهتمام لدى بيل إيفرسلاى آف جورج لوماكس ، الذى اعتراه الخوف خشية أن يتسرب من المعلومات ما يضر بإدارته . فقد بدا مرهقا بشكل بالغ . وحضرت الآنسة أوسكار وبيل مجريات التحقيق كلها ، حيث ساهمت الآنسة أوسكار بكل ما هو مفيد بينما كان بيل ينقل الرسائل التى لا حصر لها . ويفك

شفرة البرقيات ، ويستمع إلى جورج وهو يكرر كلامه فى كل مرة .

كان الشاب منهكا تماما حينما آوى إلى فراشه ليلة السبت . ولم تتح له فرصة الحديث مع فيرجينيا طيلة اليوم . بسبب ما كان يوليه إليه جورج من مهام . حتى شعر بالامتعاض وأنه موضع استغلال . إلا أنه شكر الله على أن الكولونيل كان قد رحل . فقد احتكر الكثير من مجتمع فيرجينيا . ولو أن جورج استمر فى الظهور بمظهر الأحمق على هذا النحو . وهكذا سقط بيل فى سبات عميق ، وعقله يغلى بالاستياء والغضب . إلا أن عزاءه جاءه فى أحلامه . فقد حلم بفيرجينيا .

كان حلما بطوليا ، رأى فيه أشجارا تحترق وهو بينها يقوم بدور المنقذ الشهم . كان يحمل فيرجينيا بين ذراعيه لينزلها من أعلى طابق بالمبنى . كانت فاقدة الوعى أراحها فوق العشب . ثم أخذ يبحث لها عن علبة بها شطائر . وكان من المهم بالنسبة له أن يجد هذه الشطائر . كانت مع جورج ، إلا أنه بدلا من أن يعطيها لـ " بيل " ، بدأ يملى عليه برقيات . كان الآن فى مجلس إحدى دور العبادة ، وستصل فيرجينيا فى أية لحظة ليتما عقد الزواج . كان مرعوبا ! فقد كان يرتدى بيجاما . وعليه أن يعود إلى منزله على الفور ليرتدى ملابس ملائمة . فهرع نحو السيارة . إلا أن السيارة لم تدر . فليس هناك وقود بها ! وبدأ يصاب باليأس . عندها

اقتربت حافلة عامة كبيرة ، حيث خرجت منها فيرجينيا وهى تتأبط ذراع البارون الأصلع . كانت باهرة الجمال . ترتدى رداء رمادى اللون فى بهاء . اقتربت منه وهى تهز من كتفيه فى دلال . قالت " بيل ... أوه ... بيل " . ثم هزت جسده فى قوة أشد وهى تصيح فيه : " استيقظ ... استيقظ ! " .

استيقظ بيل وهو يشعر بدوار شديد . كان فى غرفة نومه بـ " تشيمنيز " . إلا أن جزءا من الحلم كان لا يزال معه . فقد كانت فيرجينيا منحنية عليه ، وهى تكرر نفس الكلمات مع تنويعات فى نبراتها .

" استيقظ يا بيل ... هيا استيقظ ! بيل " .

قال لها بيل وهو يعتدل فى الفراش " مرحبا ! ما الأمر ؟ " .

تنهدت فيرجينيا فى ارتياح .

" الحمد لله . فلقد ظننت أنك لن تستيقظ أبدا . فقد كنت أهز جسدك هزا . هل أنت مستيقظ الآن ؟ "

قال بيل فى شك : " أعتقد هذا " .

" يالك من غليظ الجسد . أتعبتنى فى إيقاظك ! إن ذراعى تؤلمانى بشدة "

رد عليها بيل فى شموخ . " هذه اتهامات بلا أساس . وأقول لك يا فيرجينيا ، إننى أرى تصرفاتك غير لائقة . إنها تصرفات لا تليق تماما بأرملة شابة " .

" لا تكن غبيا يا بيل . فهناك أمور تحدث " .

" وما هى هذه الأمور ؟ "

" أمور غريبة . فى قاعة المجلس . فقد خيل لى أننى قد سمعت طرقا على أحد الأبواب فى مكان ما . فهبطت حتى أتبين الأمر . وعندها رأيت ضوءا فى قاعة المجلس . فتسللت عبر الممر . وتلصصت عبر فتحة الباب . لم أستطع أن أرى الكثير . إلا أن ما رأيته كان غريبا جدا لدرجة جعلتنى أتوق لرؤية المزيد . ومن ثم شعرت بغتة بضرورة أن يكون معى رجل قوى لطيف . وقد كنت ألطف وأقوى وأكبر رجل خطر لى عندئذ ، لذا أتيت لأوقظك بكل هدوء . إلا أن وقتا طويلا قد مر قبل أن أنجح فى ايقاظك " .

" فهمت . وما الذى تريدين منى فعله الآن ؟ أن أنهض وأهاجم هؤلاء اللصوص ؟ " .

عقدت فيرجينيا حاجبيها

" لست متأكدة من كونهم لصوصا . الأمر شديد الغرابة يا بيل ـ ولكن دعنا لا نضيع الوقت فى الكلام انهض " .

وهكذا نهض بيل من فراشه مطيعا إياها .

" انتظرى قليلا . سأرتدى حذائى الثقيل المسنن فمهما كانت قوتى فإننى لن أباغت قساة المجرمين بقدمين حافيتين " .

قالت له فيرجينيا بصوت حالم : " كم تعجبنى بيجامتك ! ألوانها زاهية بدون فظاظة " .

علق بيل وهو يرتدى الحذاء : " بالمناسبة . فأنا معجب بما ترتدينه أيضا . فدرجة الأخضر فيه جميلة ماذا تسمونه ؟ لا أعتقد أنه روب فحسب ، أليس كذلك ؟ " .

" نسميه ثوبا بيتيا . كم يسعدنى أن تكون حياتك على هذا القدر من البراءة يا بيل " .

رد فى سخط : " لم تكن كذلك " .

" لقد خالفت الحقيقة لتوك . فأنت رجل لطيف يا بيل ، وأنا معجبة بك . ويمكننى أن أقول لك إننى قد أقبلك فى صباح الغد ـ فى حوالى الساعة العاشرة ، وهى ساعة آمنة للتعبير المفرط عن العواطف " .

" لطالما كان رأيى أن أفضل شيء فى مثل هذه الحالات أن نفعلها وقتما تخطر لنا " .

فقالت فيرجينيا : " إلا أن أمامنا الآن أمورا أهم فهيا بنا . . . هذا إن لم يكن على أن أنتظرك إلى أن ترتدى أيضا قناع غاز ودرعا مزودا من الحديد أيضا هل يمكن أن نبدأ الآن ؟ " .

" أنا جاهز "

كان قد ارتدى قميصا حريريا شنيعا ، والتقط مسدسا .

قال معلقا : " إنه سلاح تقليدى " .

فقالت فيرجينيا . " هيا بنا . ولا تحدث أية جلبة " .

وتسللا خارج الغرفة وعبر الردهة . ثم هبطا الدرج العريض . وتجهمت فيرجينيا فى سخط وهما يصلان إلى نهاية الدرج .

" ألا يمكن أن يحدث حذاؤك صخبا أعلى من هذا يا بيل ؟ " .

" إنها المسامير . ولا يد لى فى هذا . إننى أفعل ما بوسعي " .

قالت فيرجينيا فى حزم " عليك أن تخلعه " .

فهمهم بيل فى اعتراض .

" بوسعك أن تحمله فى يدك . كل ما أريده هو أن أعرف ما إذا كان بإمكانك أن تستوعب ما يحدث داخل تلك القاعة . فالأمر غامض جدا يا بيل . فما الذى يدعو هؤلاء اللصوص إلى تفكيك تمثال الرجل المدرع هذا ؟ " .

" ربما ليسهل عليهم إخراجه كاملا من هنا . يفككونه . ويعبئونه بإحكام " .

هزت فيرجينيا رأسها فى عدم اقتناع .

" وما الذى يدعوهم إلى سرقة درع عتيق متهالك مثل هذا ؟ إن تشيمنيز مليئة بكنوز أسهل حملا من هذا بكثير ! " .

جاء دور بيل هذه المرة ليهز رأسه .

قال وهو يشدد قبضته على المسدس : " كم عددهم ؟ "

" لم أستطع تبينهم بوضوح . أنت تعرف أننى كنت أنظر عبر ثقب الباب . بالإضافة إلى أن الضوء الوحيد بالداخل ضوء كشاف " .

قال بيل متمنيا : " أعتقد أنهم قد ذهبوا " .

وجلس على أسفل الدرج وخلع عنه حذاءه . ثم تسلل فى خفة . عبر الممر المفضى إلى قاعة المجلس . وفيرجينيا وراءه وهو يحمل الحذاء . وتوقفا عند الباب المصنوع من خشب البلوط القوى . كان كل شىء هادئا . إلا أن فيرجينيا تشبثت فجأة بذراعه . فأومأ لها برأسه فقد انبثق ضوء قوى عبر ثقب المفتاح .

جثا بيل على ركبتيه . وهو يلصق عينه بثقب الباب كان ما رآه محيرا لأقصى حد . وكان من الواضح أن كل ما كان يحدث بالداخل كان يحدث إلى اليسار بعيدا عن مجال رؤيته . بينما كان البصيص الخافت من حين لآخر يشير إلى أن اللصوص مازالوا يتعاملون مع ذلك التمثال المدرع . تذكر بيل أن هناك تمثالين من هذا النوع داخل القاعة . كانا يقفان عند الجدار أسفل بورتريه هولبين مباشرة . وكان من الواضح أن ضوء الكشاف الكهربى موجه إلى تلك العمليات القائمة . وهكذا بقيت أرجاء الغرفة الأخرى فى ظلام مر أحدهم من أمام مجال رؤية بيل . إلا أن الضوء لم يكن كافيا للتعرف عليه . فربما كان رجلا أو كانت امرأة . وعاد مرة أخرى بعد دقيقة ثم سمع الصوت المعدنى من جديد . وهذه المرة سمع صوتا

جديدا . صوتا خافتا أشبه بصوت مفصلات معدنية لباب خشبى .

وجلس بيل القرفصاء بغتة .

فهمست فيرجينيا متسائلة : " ما الأمر ؟ " .

" لا شيء . ولكن لا جدوى من الاستمرار هذا . فأنا عاجز عن رؤية أى شيء ، كما لا يمكننا أن نخمن ما يقومون به بالداخل . فعلىّ أن أقتحم المكان وأباغتهم " .

وارتدى حذاءه ثم نهض .

" والآن استمعى إلى يا فيرجينيا . سوف نفتح الباب من دون صوت قدر الإمكان . هل تعرفين موضع مفتاح الإنارة ؟ "

" نعم ، إنه إلى جوار الباب "

" لا اعتقد أنهم أكثر من شخصين ، وقد لا يكون هناك سوى شخص واحد . أريد أن أدخل الغرفة بسرعة حينما أقول " هيا " . عليك ان تضيئى الأنوار . هل فهمت ؟ "

" تمام الفهم "

" وعليك ألا تصرخى أو تفقدى الوعى أو أى شيء من هذا القبيل . ولن أسمح لأحد بأن يمس شعرة منك "

تمتمت فيرجينيا : " أنت بطل ! "

نظر بيل إليها فى شك وسط الظلام . وسمع صوتا خافتا ربما كان بكاء أو ضحكة . حينئذ أحكم قبضته

حول المسدس ونهض واقفا . وشعر بأنه على أهبة الاستعداد للمواجهة .

أدار بيل مقبض الباب فى سلاسة . فانفتح بهدوء نحو الداخل . شعر بيل بقرب فيرجينيا منه . فتحركا معا بلا صوت إلى داخل الغرفة

كان ضوء الكشاف مسددا إلى بورتريه هولبين ، عند الناحية البعيدة من الغرفة . وهناك بدا ظل رجل ، يقف على مقعد وهو يضرب بخفة على الألواح التى تكسو الجدار . وبالطبع فقد كان يولى ظهره لهما ، فبدا كظل لوحش .

لم يكن من الممكن التعرف على ما يريانه . ففى تلك اللحظة احدثت مسمير حذاء بيل صريرا على الأرضية الخشبية . فالتفت الرجل بسرعة ، وهو يوجه ضوء الكشاف القوى نحوهما ، فأعماهما هذا الضوء المباغت

إلا أن بيل انتهز هذه الفرصة دون تردد

صاح فى فيرجينيا بقوة " هيا " ، ثم انقض على الرجل ، بينما أضاءت هى الأنوار بسرعة .

كان من المفترض أن تملأ أضواء مصابيح الشمعدان الكبير أرجاء المكان ، إلا أن كل ما حدث هو أنها سمعت صوت مفتاح الكهرباء ، وبقيت الغرفة على ظلامها .

سمعت فيرجينيا سباب بيل . بينما تعالت أصوات العراك بينه وبين الرجل ، سقط الكشاف على الأرض وانطفأ من تلقاء نفسه . كانت المعركة تحتدم وسط

الظلام . بينما وقفت فيرجينيا وهى فى حيرة من أمرها . ولا تعلم من هو منهما المسيطر على الموقف الآن أو من هما أطراف المعركة . أكان هناك شخص آخر بالغرفة خلاف الرجل الذى كان يربت على الألواح التى تكسو الجدار ؟ ربما . فهى لم تر إلا لمحة خاطفة للمكان .

شعرت فيرجينيا بانعدام الحيلة ولم تكن تدرى ماذا بوسعها أن تفعل . ولم تجرؤ على محاولة الدخول طرفا فى المعركة القائمة . فربما كان هذا فى غير صالح بيل فكرت أن تقف إلى جوار المدخل حتى تمنع هروب أى شخص . وفى ذات الوقت تخلت عن التزامها بتعليمات بيل . وأخذت تصرخ مستغيثة بأعلى صوت .

سمعت فيريجنيا صوت أبواب تفتح بالطابق العلوى . ورأت شعاع ضوء يأتى من الردهة ومن عند الدرج الكبير . فتمنت لو استطاع بيل أن يحكم قبضته على الرجل حتى تأتى هذه النجدة .

لكن فى هذه اللحظة علا صوت جلبة أخيرة هائلة . لابد أنهما قد ارتطما بأحد هذه التماثيل المدرعة . فقد سقط أرضا بصوت يصم الآذان . وشاهدت فيرجينيا شبح شخص ينطلق نحو النافذة ، وفى نفس الوقت سمعت بيل وهو يسب محاولا تخليص نفسه من أجزاء الدرع .

تركت فيرجينيا مكانها للمرة الأولى ، واندفعت بسرعة نحو ذلك الشخص الذى اقترب من النافذة . إلا أن النافذة كانت مفتوحة بالفعل . فوفرت على المقتحم الكثير من

الوقت . فقفز عبرها وانطلق مبتعدا عبر الشرفة . حتى اختفى عند ركن المنزل . انطلقت فيرجينيا خلفه . كانت شابة رياضية . وركضت بدورها خلفه . لا يفصلهما سوى ثوان .

إلا أنها ـ وعند ركن المنزل ـ وجدت نفسها بين ذراعى رجل ظهر لها من باب جانبى صغير . كان السيد هيرمان بى . فيش .

صاح فى دهشة " أوه ! إنها سيدة . أرجو المعذرة يا سيدة ريفيل . فلقد ظننت أنك قاطع طريق يفر من العدالة " .

صاحت فيه فيرجينيا وهى تلهث : " لقد فر من هنا للتو . . . هلا ألقينا القبض عليه ؟ " .

كانت تعلم أن الأوان قد فات ، حتى وهى تنطق بهذه الكلمات . فلابد أن الرجل قد وصل إلى المتنزه الآن . كما ن الليلة معتمة لا قمر فيها فعادت أدراجها إلى قاعة المجلس يرافقها السيد فيش وهو يهدىء من روعها . محدثا إياها عن عادات اللصوص عموما ، حيث بدا عليما بطبائعهم .

كان اللورد كاترهام وبندل والعديد من الخدم الخائفين يقفون عند باب قاعة المجلس .

سألتهما بندل . " ما الذى حدث بالله عليكما ؟ هل هم لصوص ؟ وما الذى كنت والسيد فيش تفعلانه يا فيرجينيا ؟ تتريضان فى منتصف الليل ؟ " .

حكت لها فيرجينيا ما حدث خلال هذه الليلة .

فعلقت بندل : " يا لها من أحداث مشوقة ! فالمرء لا يصادف فى كل مرة جريمة قتل وجريمة سرقة فى ذات الأسبوع . وما الذى حدث لأنوار هذه الغرفة ؟ فهى على ما يرام فى بقية أرجاء المكان " .

وسرعان ما عرفوا السبب . فقد نزع أحدهم المصابيح وتركها إلى جوار الجدار . وبعدما صعد درجتى سلم صغير ، نجح الوقور تريدويل - وهو الوقور حتى وهو من دون ملابسه - فى أن يعيد النور إلى المكان .

فقال اللورد كاترهام بصوته الحزين وهو ينظر حوله " ما لم أكن مخطئا . فإن هذه الغرفة صارت الآن مركز لجميع الأفعال العدوانية " .

كانت ملاحظته صائبة نوعا ما . فهم لم يتركوا بالغرفة حجرا على حجر . فازدحمت الأرضية بالمقاعد المتكسرة . والخزف المهشم . وأجزاء الدرع المفككة .

سألتهما بندل : " كم كان عددهم ؟ يبدو لى أن قتالا عنيفا قد جرى"

ردت فيرجينيا : " أعتقد أنه واحد فقط " . ولكنها كانت مترددة قليلا حتى وهى تتحدث . من المؤكد أنه شخص واحد - رجل - ذلك الذى فر عبر النافذة . ولكن حينما هرعت خلفه راودها شعور غامض بأنها قد سمعت صوت حفيف فى مكان ما بالقرب منها . فلو كان الأمر كذلك ، فإن الشخص الآخر يكون قد فر عبر الباب . وإن

كان من الممكن أن يكون خيالها هو الذى صور لها صوت الحفيف هذا

وفجأة ظهر بيل عند النافذة ، وكان يلهث بشدة .

صاح فى غضب ودهشة . " تبا له ! لقد فر كنت أطارده فى جميع أرجاء المكان . إلا أنه اختفى " .

فقالت فيرجينيا : " لا تبتئس يا بيل . حظ أفضل فى المرة القادمة " .

بينما قال اللورد : "حسنا ، ما هو أفضل تصرف نقوم به الآن فى رأيكم ؟ أن نعود إلى النوم ؟ فلا يمكننى استدعاء بادجورثى فى هذه الساعة من الليل . تريدويل . أنت أدرى بما يجب فعله الآن . أليس كذلك ؟ " .

" بالطبع يا سيدى "

وهم اللورد بالانصراف وهو يتنهد فى ارتياح .

علق فى لهجة يشوبها الحسد وهو ينصرف : " ذلك لشحاذ إيزاكشتاين . ينام نوما عميقا كنت أظن أن كل هذه الجلبة كفيلة بإيقاظه" . ثم نظر إلى فيش وهو يضيف : " أرى أنك قد وجدت الوقت الكافى لارتداء ملابسك " .

فقال الأمريكى : " لقد ارتديت القليل منها بسرعة "

" إنك لشخص حريص فكم هى باردة هذه الليجامات ! "

تثاءب كاترهام ، بينما عاد قاطنو المنزل كل إلى فراشه ، وقد اعترتهم الكآبة .

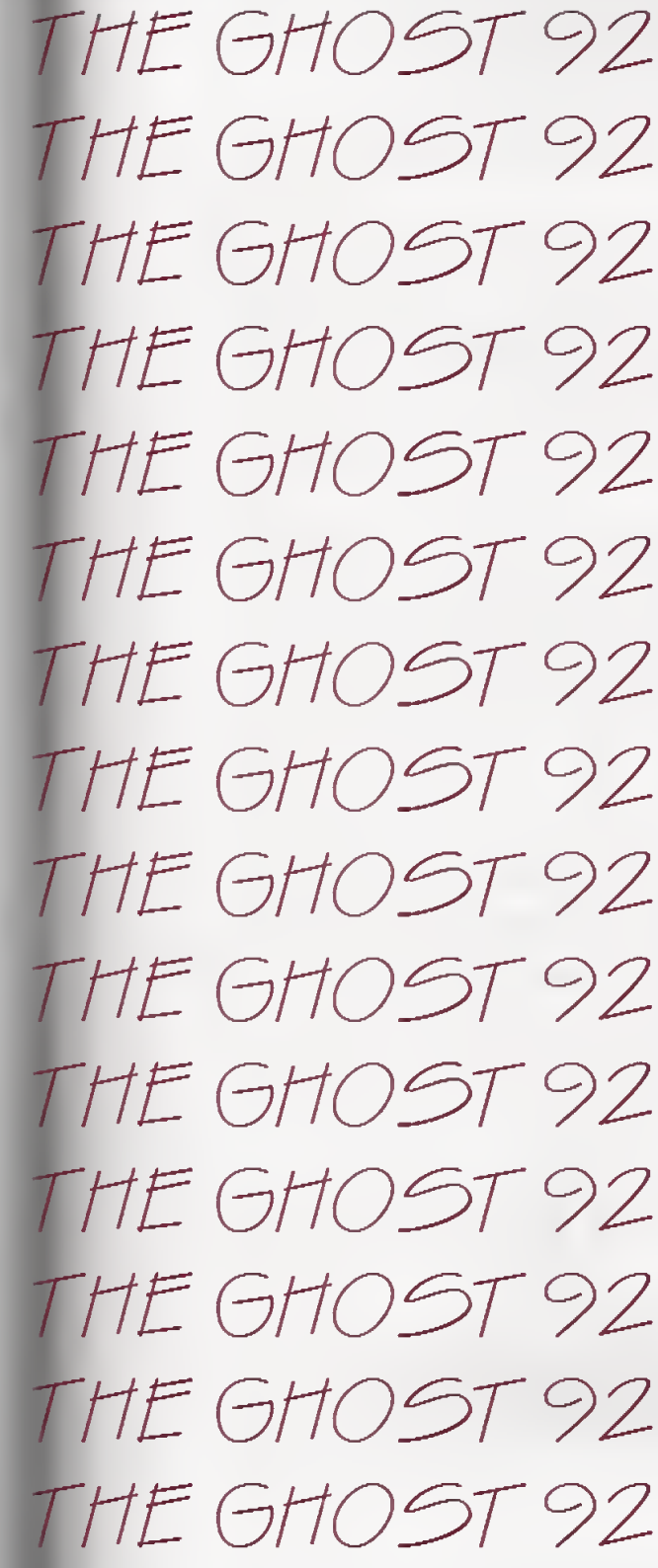

الفصل ١٨

مغامرة ثانية فى منتصف الليل

كان المحقق باتل أول شخص رآه أنطونى حينما ترجل من قطاره فى ظهيرة اليوم التالى . فابتسم .

قال له : " ها قد عدت حسب اتفاقنا . هل أتيت إلى هنا حتى تطمئن بنفسك ؟ " .

فهز باتل رأسه .

" لم أكن قلقا عليك يا سيد كيد . لكن تصادف أننى ذاهب إلى لندن . هذا كل ما فى الأمر " .

" إنك تثق بطبعك فى الناس يا باتل " .

" هل ترى هذا يا سيدى ؟ " .

" كلا . بل أعتقد أنك غامض ـــ غامض جدا . مياه ساكنة لا يعرف أحد ما يعتمل أسفلها . أنت ذاهب إلى لندن إذن ؟ " .

" بالفعل يا سيد كيد " .

" إنى لأتساءل عن سبب هذه الرحلة " .

إلا أن المحقق لم يجبه .

فقال له أنطونى معلقا . " أنت محب للكلام . وهذا ما يعجبنى فيك " .

بدا فى عينى باتل بريق .

سأله : " وماذا عن مهمتك الصغيرة يا سيد كيد ؟ كيف سارت ؟ " .

"لقد فشلت يا باتل . لثانى مرة يثبت لى أننى كنت مخطئا . أمر محبط . أليس كذلك ؟ " .

" هل لى أن أعرف الفرضية التى كنت تحاول إثباتها ؟ " .

" لقد كنت أشك فى تلك المربية الفرنسية يا باتل أولا : لأنها أكثر الشخصيات ابتعادا عن الشبهات . وهو افتراض تأثرت فيه بمبادئ الروايات البوليسية . ثانيا لأنه كان هناك ضوء فى غرفتها ليلة وقوع الجريمة "

" ليس فى كل هذا ما ينم على أن لها صلة بالجريمة " .

" معك حق . فلم أكن سأعتمد على مثل هذه الأدلة الواهية . لكننى اكتشفت أنها هنا منذ مدة قصيرة . كما أننى وجدت فرنسيا مثيرا للشكوك وهو يتجسس حول المكان . أفترض أنك تعرف كل شيء عنه ؟ " .

" تقصد الرجل الذى يسمى نفسه شيليس ؟ الذى ينزل فى كريكيترز ؟ الرحالة ؟ "

" ذاك هو ؟ ماذا عنه ؟ ما رأى سكوتلاند يارد فيه ؟ "

قال المحقق باتل بنبرة خالية من أى تعبيرات : " لقد كانت تصرفاته مثار شكوك "

" بل مشكوك فيها جدا . لذا فقد قلبت الأمر فى عقلى . فما هى مربية فرنسية بالداخل ، وبالخارج ذلك الغريب الفرنسى . فرأيت أن هناك صلة تربطهما . وسارعت بمقابلة السيدة التى كانت تعيش معها الآنسة بران . كنت متيقنا تماما من أنها ستنفى سابق معرفتها بسيدة اسمها الآنسة بران ، إلا أننى كنت مخطئا يا باتل . فقد وجدت أن هناك آنسة بران بالفعل " .

فأطرق باتل برأسه .

قال أنطونى : " علىَّ أن أعترف لك بأننى ما إن تحدثت معها حتى راودتنى قناعة غير مريحة بأنى أتعامل مع الشخص الخطأ فلقد بدت لى مربية فحسب " .

وعاد باتل ليطرق برأسه من جديد ، ويقول :

" لا يمكنك أن تعول على هذا دائما يا سيد كيد فالنساء يمكنهن فعل الكثير باستخدام مساحيق التجميل . لقد رأيت فتاة جميلة غيرت من لون شعرها ، وتصنع بقعة شاحبة فى وجهها . وتجعل جفونها محمرة بعض الشيء . أما الأقوى تأثيرا من هذا وذاك فهو الملابس الرثة المزرية . حتى إن تسعة أشخاص من بين عشرة رأوها بشخصيتها الأولى يخطئون فى التعرف عليها . أما الرجال فليست لهم هذه الطبائع فبوسعك أن تفعل شيئا

لحاجبيك . وبالطبع قد يغير طقم أسنان صناعية من تعبيرات وجهك . إلا أن الأذنين لا يمكن أن يتغيرا - فالأذن تعكس قدرا غير عادى من شخصية الإنسان يا سيد كيد " .

علق أنطونى متذمراً : " لا تنظر بهذه النظرة إلى أذنى . فهذا يصيبنى بالتوتر " .

فتابع المحقق كلامه : " إننى لا أقصد اللحى المزيفة والأصباغ . فهذا لا يحدث إلا فى الروايات . كلا ، فمن يستطيعون التنكر قليلون جدا . والحقيقة أن هناك شخصا واحدا أعرفه يتصف بعبقرية فى التنكر . نسميه الملك فيكتور . هل سبق أن سمعت عنه يا سيد كيد ؟ " .

أحس أنطونى بأن المراقب قد تعمد إلقاء السؤال بنبرة حادة ومباغتة . حتى أنه كان حريصا فى كل كلمة ينطق بها ردا عليه .

فضل أن يرد وكأنما يتأمل السؤال : " الملك فيكتور ؟ أعتقد أننى قد سمعت هذا الاسم من قبل " .

" إنه أحد أشهر لصوص المجوهرات فى العالم . من أب أيرلندى وأم فرنسية . وبوسعه التحدث بخمس لغات على الأقل . وقد كان بالسجن يمضى فترة عقوبة ، إلا أن موعد إطلاق سراحه حل منذ بضعة أشهر مضت " .

" حقا ؟ وأين يفترض أن يكون الآن ؟ " .

" هذا ما نود أن نعرفه يا سيد كيد " .

فقال أنطونى : " لقد ازدادت الحبكة تعقيدا إذن . ولا أعتقد أن هناك أملا فى ظهوره هنا . أليس كذلك ؟ لكننى أرى أنه لن يكون مهتما بمذكرات سياسية — بل بالمجوهرات فقط " .

فقال المراقب : " لا يمكنك أن تضمن هذا . فربما يكون هنا بالفعل "

" متنكرا فى شخصية الخادم الثانى ؟ رائع . عندها ستتعرف عليه من أذنيه وتكسب لنفسك الكثير من الشهرة " .

"هل أنت مغرم بنكتتك التافهة هذه سيد كيد ! بالمناسبة ، ما رأيك فى تلك الأحداث المثيرة التى تجرى فى ستاينز ؟ " .

فسأله أنطونى : " ستاينز ؟ وما الذى يجرى هناك ؟ " .

"الأخبار موجودة فى صحف السبت ظننت أنك اطلعت عليها . فقد وجدوا جثة رجل مقتول بعيار نارى على جوار طريق . وهو أجنبى . وهناك أخبار فى صحف اليوم أيضاً " .

فقال أنطونى فى عدم اهتمام : "هناك شىء غريب فى هذا الأمر . أعتقد أنه لم يكن انتحارا فيما يبدو "

"كلا ، فلم يكن هناك أى سلاح . وحتى الآن لم تكتشف هوية الرجل بعد " .

فابتسم أنطونى وهو يقول : " يبدو لى أنك مهتم جدا بتلك الجريمة . أيبدو لك أن هناك رابطا بينها وبين مقتل الأمير مايكل ؟ " .

كانت يداه ثابتتين ، وكذلك نظرات عينيه . فهل كان يتخيل بالخطأ أن المحقق باتل ينظر إليه نظرة ذات مغزى ؟

فقال باتل : " يبدو لى أن هناك وباء مستشريا نوعاً ما فى هذه المنطقة . إلا أننى لا أرى أى رابط بين الجريمتين " .

واستدار ليشير لأحد الحمالين ، بينما كان قطار لندن قادما بسرعة الرعد . فتنهد أنطونى تنهيدة خافتة فى ارتياح .

أخذ أنطونى يسير عبر المتنزه وهو غارق فى أفكاره بشكل غير معتاد . لقد تعمد أن يقترب من المنزل من نفس الاتجاه الذى أتى منه ليلة الخميس المشئومة ، وبينما كان يقترب منه نظر إلى النوافذ وهو يعتصر عقله ليتذكر النافذة التى شاهد منها الضوء . هل كان متأكدا من أنها الثانية من عند مؤخرة المنزل ؟

عندها تنبه لأمر ما . فقد كانت هناك زاوية عند ركن المنزل بها نافذة عند أقصى المؤخرة . فلو وقفت عند نقطة معينة فسوف تعتبر هذه هى النافذة الأولى ، بينما تلك الأولى فوق قاعة المجلس تصير الثانية . ولكنك لو تحركت لبضع ياردات إلى اليمين . فعندها يبدو الجزء من

البناء والواقع فوق قاعة المجلس هو نهاية المنزل . فقد كانت النافذة الأولى مخفية ، بينما النافذتان فى الغرفتين اللتين تقعان فوق قاعة المجلس كانتا ستبدوان الأولى والثانية من عند المؤخرة . فأين كان يقف على وجه التحديد حينما رأى ذلك الضوء ؟

وجد أنطونى صعوبة كبيرة فى إجابة هذا السؤال . لقد كان الفارق بين هذه الرؤية وتلك لا يزيد على ياردة أو نحو ذلك . إلا أن نقطة واحدة بدت واضحة تماما . فقد بات من المحتمل أن يكون قد أخطأ فى قوله بأن الضوء قد خرج من الغرفة الثانية من المؤخرة . فربما كان قادما من الغرفة الثالثة

فمن هو الشخص الذى يشغل تلك الغرفة الثالثة ؟ كان أنطونى مصمما على التحقق من هذا فى أسرع وقت ممكن . وقد حالفه الحظ فى هذا ، حيث وجد أن تريدويل قد وضع البراد الفضى الهائل الحجم فى مكانه على صينية الشاى . ولم يكن هناك أى شخص آخر هناك .

بادره قائلا : " مرحبا يا تريدويل . أردت أن أسألك عن شيء . من الذى يقطن الغرفة الثالثة من نهاية الجانب الغربى من المنزل ؟ أعنى فوق قاعة المجلس ؟ " .

أخذ تريدويل يفكر لدقيقة أو دقيقتين .

" لابد أنها خرفة السيد الأمريكى يا سيدى إنه السيد فيش " .

" هكذا إذن ؟ أشكرك " .

" عفوا يا سيدى "

هم تريدويل بالانصراف ، إلا أنه توقف . فتلك الرغبة الملحة فى أن يكون المرء أول من يفشى خبرا ما كفيلة بأن تحول حتى من هم على شاكلة تريدويل إلى بشر عاديين .

" أظن أنك قد عرفت يا سيدى بما حدث ليلة أمس ؟ "

" لم أسمع بشيء بعد . وما الذى حدث ليلة أمس ؟ " .

" محاولة سطو يا سيدى ! " .

" حقا ؟ وهل سرق أى شيء "

" كلا يا سيدى . لقد كان هؤلاء اللصوص يفككون تلك التماثيل المدرعة فى قاعة المجلس حينما بوغتوا وأجبروا على الفرار ومن المؤسف أننا لم نلق القبض عليهم " .

" هذه واقعة بالغة الغرابة . قاعة المجلس مرة أخرى هل اقتحموها من هذه الناحية ؟ " .

" يقال إنهم دخلوا عبر النافذة "

وانصرف تريدويل ، وهو سعيد بأن المعلومات التى أفضى بها كانت موضع اهتمام كبير لدى أنطونى لكنه سرعان ما توقف من جديد قبل أن يصطدم بشخص ظهر بغتة . ويضطر لتقديم اعتذار وقور .

" أرجو المعذرة يا سيدى . فأنا لم أنتبه إليك وأنت داخل . كما لم أكن أعلم بأنك واقف خلفى " .

أشار له السيد إيزاكشتاين ، وهو الذى ارتطم به ، بيده فى ود .

" لا بأس يا عزيزى . لا بأس " .

انصرف تريدويل وهو يشعر بالخجل . بينما اقترب إيزاكشتاين وألقى بجسده إلى أحد المقاعد الوثيرة .

" مرحبا يا كيد . ها قد عدت من جديد هل سمعت بما حدث هنا ليلة الأمس ؟ "

" بالفعل . يالها من عطلة نهاية أسبوع حافلة ! أليس كذلك ؟ "

"يخيل لى أن ما حدث بالأمس كان من صنيع أهل هذه البلدة . فقد كانت فعلة هواة تنقصهم المهارة " .

فسأله أنطونى : " هل يوجد هنا أحد ممن يهوون جمع الدروع ؟ يبدو لى أن جمعها من أغرب الهوايات التى سمعت عنها " .

وافقه السيد إيزاكشتاين قائلا : " أمر مثير للفضول " ، ثم سكت لحظة ، قبل أن يقول فى بطء : " إن الوضع برمته هنا مؤسف "

كان هناك تهديد فى نبرة كلامه .

فقال أنطونى " لم أفهم مقصدك من هذا الكلام "

" ما الداعى إلى حبسنا جميعا فى هذا المكان ؟ فلقد انتهى التحقيق بالأمس . وسيتم نقل جثمان الأمير إلى

لندن ، حيث يتم الإعلان عن وفاته بسبب أزمة قلبية . ومع هذا لم يسمح لأحد بعد مغادرة المنزل . كما أن السيد لوماكس لا يعرف من المعلومات ما يفوق معرفتى أنا . فهو يحيلنى دوما إلى المحقق باتل " .

فقال أنطونى وهو يفكر : " من المؤكد أن لدى المحقق أسبابه التى لا نعلمها . ويبدو أن أساس خطته ألا يغادر أحد هذا المكان "

"ولكن معذرة يا سيد كيد . لقد غادرت المكان " .

" ومع هذا فلم أكن أشك فى أنه قد أرسل ورائى رجاله طوال الوقت . ولم تكن لدىّ أية فرصة للتخلص من المسدس . أو أى شيء من هذا القبيل " .

فقال إيزاكشتاين وهو يفكر : " آه ـــــ المسدس . لم يجدوه بعد . أليس كذلك ؟ " .

" ليس بعد "

" ربما ألقاه الجانى فى البحيرة وهو يهرب " .

"محتمل جدا " .

"وأين هو المحقق باتل ؟ فلم أره ظهيرة هذا اليوم "

" لقد سافر إلى لندن ـ التقيته داخل المحطة" .

" إلى لندن ؟ حقا ؟ وهل أخبرك بموعد عودته ؟ "

" صباح الغد . أو هكذا فهمت منه " .

هنا ظهرت فيرجينيا بصحبة اللورد كاترهام والسيد فيش . فابتسمت فى وجه أنطونى مرحبة

" ها قد عدت يا سيد كيد . هل سمعت بما حدث هنا ليلة الأمس من مغامرات ؟ " .

قال له هيرمان فيش . "بالفعل يا سيد كيد . كانت ليلة بعليئة بالإثارة والتشويق . هل عرفت بأنى قد ظننت السيدة ريفيل واحدا من اللصوص ؟ " .

فقال أنطونى : " أما الآن فإن اللص ... ؟ " .

رد السيد فيش فى حزن : "لقد فر للأسف " .

بينما قال اللورد كاترهام لفيرجينيا : " هلا صببت لنا شاى . فأنا لا أعلم إلى أين ذهبت بندل " .

قامت فيرجينيا بما يريد ، ثم اقتربت لتجلس بالقرب من أنطونى .

قالت له بصوت هامس . " تعال إلى العوامة بعد الشاى فلدىّ أنا وبيل الكثير نود أن نخبرك به " .

بعد ذلك . عادت لتنضم إلى الحديث العام الدائر بين الموجودين .

وانعقد الاجتماع عند العوامة فى الموعد المحدد .

كانت فيرجينيا وبيل يثرثران حول ما جرى . وكانا متفقين على أن قاربا فى وسط البحيرة هو أنسب مكان لأى حوار يراد له الخصوصية والسرية . وبعد أن جدفا بالقارب إلى مسافة كافية . حكيا كل ما جرى فى الليلة الماضية لأنطونى . بدا بيل متجهما قليلا . فقد كان يأمل لو لم تكن قد أصرت على وجود هذا الدخيل معهما .

علق أنطونى وهو يسأل فيرجينيا عند انتهاء الحكاية :
" أحداث غريبة بالفعل . هل لديك تصور تجاهها ؟ " .
" أعتقد أنهما كانا يبحثان عن شيء ما . ومن العبث أن نعتقد أن ما حدث كان للسرقة " .
"لقد اعتقدا أن ذلك الشيء - أيا كان - مختف فى ذلك الدرع . وهذا واضح . ولكن ما الذى دعاهما إلى النقر على الألواح التى تكسو الجدران ؟ إن الأمر يبدو وكأنما كانا يبحثان عن سلم سرى ، أو شيء من هذا القبيل " .
فقالت فيرجينيا : " اعلم أن هناك قبوا سريا فى تشيمنيز . وأعتقد أن هناك سلما سريا يفضى إليه . ويمكن للورد كاترهام أن يخبرنا بحقيقة هذا . إلا أن ما أود أن أعرفه هو ذلك الشيء الذى كانا يبحثان عنه " .
" لا يمكن أن يكون المذكرات . فهى ضخمة الحجم ولابد أن هذا الشيء صغير " .
" أعتقد أن جورج يعرف . وإنى لأتساءل عما إذا كان بمقدورى أن أدفعه إلى البوح بهذا السر . فقناعتى هى أن هناك سرا وراء كل ما يجرى " .
بادرها أنطونى بقوله : " تقولين إنه رجل واحد . وإن هناك احتمالا أن يكونا اثنين . لأنك تعتقدين أنك سمعت أحدا يتجه نحو الباب بينما كنت تهرعين نحو النافذة " .
ردت فيرجينيا : " كان الصوت أشبه بالحفيف . ربما أكون واهمة "

" هذا محتمل ، ولكن فى حال لم يكن وهما ، فإن من المحتم أن يكون ذلك الشخص الثانى واحدا من قاطنى هذا المنزل . وإنى لأتساءل الآن عما ـــ "
" ما الذى تتساءل عنه ؟ "
" عن أناقة السيد هيرمان فيش الذى ارتدى ملابسه كاملة ، وبدا فى كامل هيئته وهو يهرع للطابق الأرضى فور سماعه لصرخات استغاثة " .
وافقته فيرجينيا الرأى : " هناك سر فى هذا بالفعل . وهناك كذلك إيزاكشتاين . الذى لم يستيقظ رغم كل تلك الجلبة . وهو ما يثير الشكوك حوله أيضا . هل حقا لم يستطع الاستيقاظ ؟ " .
فبادر بيل بالإدلاء بدلوه هو الآخر : " وهناك صاحبنا بوريس . خادم مايكل . إنه يبدو متوحشا "
علقت فيرجينيا قائلة : " إن تشيمنيز مليئة بالأشخاص الغامضين . وأستطيع القول بأن الآخرين يشكون فينا بدورهم . كم كنت أتمنى لو أن المحقق باتل لم يغادر إلى لندن . أرى أنه تصرف أحمق منه . بالمناسبة يا سيد كيد . لقد شاهدت ذلك الفرنسى ذا المظهر الغريب مرة أو مرتين . وهو يتجسس ويسير خلسة عبر المنتزه " .
فاعترف أنطونى قائلا : " الخيوط متشابكة " . لقد ذهبت فى محاولة حمقاء منى للبحث عن طرف خيط فى مكان ما . إلى أن تبينت لى حماقتى . اسمعانى . إنى

لأرى أن الأمر برمته يصب فى كل الأحوال فى سؤال واحد : هل وجد الرجلان ما كانا يبحثان عنه فى الليلة الماضية أم لا ؟ " .

فقالت فيرجينيا : " وماذا لو أنهما لم يجداه ؟ وأنا متيقنة من أنهما قد فشلا فى هذا " .

" لو صح هذا فسوف يعاودان الكرة . فهما يعلمان . أو سرعان ما سيعلمان أن باتل فى لندن . وسيخاطران بمعاودة المحاولة الليلة " .

" هل تعتقد هذا حقا ؟ "

" إنه مجرد تخمين . والآن سوف نكون نحن الثلاثة فريقا صغيرا . سأقوم أنا وإيفرسلاى بالاختباء واتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة فى قاعة المجلس ـــــ "

فقاطعته فيرجينيا : " وماذا عنى ؟ لا تفكرا فى أن تبعدانى عن هذا الموضوع "

فقال لها بيل : " اسمعينى يا فيرجينيا . هذه مهمة لا يصلح لها سوى الرجال و ـــــ " .

" لا تكن أبله يا بيل . فأنا معكم شئتم أم أبيتم وسأتولى المراقبة هذه الليلة " .

وهكذا اتفقوا على تفاصيل الخطة . وبعد أن هجع جميع من بالمنزل إلى مخادعهم . هبط ثلاثتهم خلسة إلى الطابق الأرضى واحدا تلو الآخر . كانوا جميعا مسلحين بكشافات كهربية قوية . وفى جيب معطف أنطونى قبع مسدس .

كان أنطونى قد قال لهم إنه يعتقد إنهما سيحاولان مواصلة البحث . إلا أنه لم يكن يتوقع أن تكون هذه المحاولة من الخارج . لقد كان يرى أن فيرجينيا قد أصابت فى تخمينها أن هناك من مر إلى جوارها فى الظلام ليلتها . ولما وقف أنطونى عند مرآة الزينة القديمة المصنوعة من البلوط داخل الغرفة كان بصره موجها نحو الباب وليس النافذة بينما اختبأت فيرجينيا وراء أحد التماثيل المدرعة عند الجدار المقابل . أما بيل فكان بجوار النافذة .

مرت الدقائق وكأنها دهر . فدقت الساعة الواحدة . ثم الواحدة والنصف . ثم الثانية . فالثانية والنصف . وشعر أنطونى بتيبس وتشنج فى عضلاته . وكاد يقتنع بأنه مخطىء فيما ذهب إليه فلن يحاول أحد اقتحام هذا المكان الليلة .

إلا أنه تنبه فجأة . وتحفزت كل حواسه . فقد سمع صوت خطوات عند الشرفة بالخارج . ثم خيم الصمت من جديد . وبعدها سمع همهمات عند النافذة . وتوقفت بغتة وانفتحت النافذة . وقفز أحدهم إلى داخل الغرفة عبرها .

بقى الرجل ساكنا للحظة . وهو يتلفت حوله وكأنه يتصنت . وحينما هدأت أعصابه بعد دقيقة أو اثنتين . أضاء كشافا كان بجعبته . وأخذ يجوب به بسرعة فى

أرجاء الغرفة . كان من الواضح أنه لم ير ما يلفت انتباهه . بينما كتم ثلاثتهم أنفاسهم .

توجه الرجل صوب نفس الجدار المزدان بالألواح . والذى كان يتفحصه ليلة الأمس .

وبعد ذلك وجد بيل نفسه فى مأزق . فهو يريد أن يعطس ! يبدو أنه قد أصيب بالبرد بسبب مطاردة الليلة الماضية فى المتنزه الملئ بالندى . لقد كان يعطس بلا توقف طيلة النهار . وهناك عطسة آتية الآن ، ولا توجد قوة فى الأرض يمكن أن تمنعها .

وجرب كل الوسائل التى خطرت بباله . فقد عض على شفته العليا ، وازدرد لعابه فى قوة . وألقى برأسه للخلف وأخذ ينظر للسقف . وكمحاولة أخيرة قبض على أنفه وهو يقرصه بعنف . إلا أن كل هذا ذهب سدى ... وعطس .

كانت عطسة مكتومة ضعيفة ، ولكنها أصدرت صوتا مخيفا كان كافيا لقتل الصمت الذى كان مخيما على الغرفة .

استدار الغريب وأخذ يتلفت حوله . وفى ذات اللحظة بادر أنطونى بتسليط ضوء الكشاف عليه ، وانقض عليه بقوة . فارتطم به وسقطا معا على الأرض .

صاح فيهما أنطونى " أضيئا الأنوار " .

لبت فيرجينيا نداءه فى سرعة . وسرعان ما غمرت الأنوار المكان . كان أنطونى جاثما على الرجل ، بينما هرع بيل لمساعدته

" لنر الآن من تكون يا صاحبى " .

كان يقلب جسد الرجل . لقد كان ذلك الغريب المهندم ذو اللحية السوداء ، نزيل الكريكيترز .

فى غضون ذلك أتاهم صوت يصيح فى استحسان : " تصرف محمود بالفعل " .

والتفتوا جميعا إلى مصدر الصوت فى فزع ليروا المحقق باتل بجسده الضخم يقف عند مدخل الغرفة .

بادره أنطونى : " لقد حسبت أنك فى لندن أيها المحقق " .

التمعت عينا المحقق .

" حقا يا سيدى ؟ لقد رأيت أن من المستحسن أن يظن الجميع أنى قد رحلت إلى لندن " .

وافقه أنطونى ، وهو ينظر إلى خصمه المسجى أرضا : " وهذا ما قد حدث " .

إلا أنه دهش حينما رأى تلك الابتسامة البسيطة على وجه الغريب . وهو يسأله "هلا تركتمونى أنهض أيها السادة ؟ أنتم ثلاثة ضد واحد "

فلم يسع أنطونى سوى أن يساعده على النهوض . وأخذ الغريب يضبط معطفه ، ويجذب ياقته لأعلى ، وينظر فى حدة إلى باتل .

" أرجو المعذرة . ولكن هل أفهم من ذلك أنك مندوب من سكوتلاند يارد " .

أجابه باتل : " بالفعل " .

فابتسم الرجل فى حزن وهو يقول : " أود إذن أن أقدم لك أوراقى الخاصة . كان من الحكمة لو كنت فعلت هذا قبل الآن " .

وأخرج من جيبه بعض الأوراق وناولها لمحقق سكوتلاند يارد . وفى ذات اللحظة التى قلب فيها طية صدر معطفه ليظهر شىء كان معلقا به .

بدا باتل مندهشا وهو يدقق فى الأوراق ، ثم ناولها له ثانية مع انحناءة بسيطة .

" أرجو المعذرة بسبب ما تعرضت له الآن يا سيدى . لكنك المتسبب فيما جرى لك " .

ابتسم الرجل وهو يلاحظ علامات الدهشة التى ارتسمت على وجوه من حوله .

بينما علق باتل قائلا : " إنه زميل كنا ننتظر قدومه . السيد ليموان ، من سوربنيه فى باريس " .

الفصل ١٩

التاريخ السرى

حدق الجميع فى المحقق الفرنسى ، الذى اكتفى بابتسامة .

" بالفعل . هذا صحيح " .

خيم صمت كانوا يحاولون خلاله ترتيب أفكارهم . ثم التفتت فيرجينيا إلى باتل .

" أتدرى فيما أفكر أيها المحقق باتل ؟ " .

" ما الذى تفكرين فيه يا سيدة ريفيل ؟ " .

" أعتقد أن الوقت قد حان لتنير لنا الجوانب التى غمضت علينا " .

" أنير لكم ؟ ما الذى تقصدينه يا سيدة ريفيل ؟ "

" بل أنت تفهمنى تماماً أيها المحقق باتل . بوسعى أن أقول لك إن السيد لوماكس هو من شدد عليك بأن تتوخى أعلى درجات السرية ــ ولكن من المؤكد أن من الأفضل أن تعرفنا . بدلاً من أن نعمل نحن على كشف

هذه الأسرار . بما قد ينجم عنه ذلك من ضرر غير محسوب . ألا توافقنى الرأى يا سيد ليموان ؟ "

" أوافقك الرأى تماما يا سيدتى " .

قال باتل : " لا يمكن للمرء أن يبقى على سرية أى شيء دوام الدهر . ولقد قلت هذا للسيد لوماكس . كما أن السيد إيفرسلاى سكرتير السيد لوماكس . ولا أرى مانعا فى أن يعرف كل ما يمكن البوح به . أما بالنسبة للسيد كيد . فقد صار طرفا من أطراف هذه القضية . وأرى أن له الحق فى أن يفهم ما يدور . ولكن ـــ "

ثم توقف عن الكلام

فقالت له فيرجينيا : " أعلم ما الذى تفكر فيه فالنساء يتسمن بالطيش وعدم الحكمة ! لطالما سمعت جورج ينطق بهذه العبارة " .

كان ليموان يتأمل فيرجينيا عن كثب . ثم التفت إلى محقق سكوتلاند يارد .

" لقد سمعتك للتو تخاطبها باسم السيدة ريفيل " .

فقالت له : " هذا هو اسمى " .

" كان زوجك يعمل بالسلك الدبلوماسى ، أليس كذلك ؟ وكنت معه فى هيرتزوسلوفاكيا قبيل اغتيال الملك والملكة " .

" بلى " .

فالتفت ليموان إلى المحقق باتل مرة أخرى قائلا :

" أعتقد أن للسيدة الحق فى سماع الحكاية . فهى طرف فيها ولو بصورة غير مباشرة " ـ واختلجت عيناه قليلا . قبل أن يضيف قائلا : " علاوة على أن الدوائر الدبلوماسية تعرف عنها الحذر والكتمان " .

ردت فيرجينيا وهى تضحك : " يسعدنى أن تكون لى هذه السمعة . كما يسعدنى ألا يتم تجاهلى هنا " .

تساءل أنطونى : " ما رأيكم فى تناول بعض المرطبات ؟ أين ينعقد المؤتمر ؟ هنا ؟ " .

أجابه باتل قائلا : " لو سمحت لى يا سيدى . لا أود أن نغادر هذه الغرفة حتى الصباح . وستعرف السبب حينما تسمع الحكاية " .

فقال أنطونى : " إذن سأذهب لأحضر شيئا إلى هنا " .

رافقه بيل . وسرعان ما عادا ومعهما صينية تحمل كئوسا وقنينات وأشياء أخرى .

جلسوا جميعا فى ركن بجوار النافذة . مجتمعين حول طاولة ممتدة من خشب البلوط .

بدأ باتل كلامه قائلا : " لاشك أنكم تفهمون تماما ما سيقال يتسم بالسرية التامة . لا يجب أن يعرف به أى شخص كان . كنت أعلم أنى سأضطر يوما ما إلى الإفضاء به . فالسادة من أمثال السيد لوماكس الذين يرغبون فى كتمان كل معلومة ، يخاطرون مخاطرة لا يتصورونها . بداية القصة تعود إلى سبع سنوات مضت . حيث كانت

تجرى الكثير من العمليات أسموها عمليات إعادة البناء ـ بالأخص فى منطقة الشرق الأدنى . كما كان هناك جزء كبير منها يدور فى إنجلترا . وبالأخص مع ذلك العجوز الكونت ستيلبتيتش . الذى كان يمسك بكل خيوط اللعبة . كانت دول البلقان أطرافا ذات صلة . وكان هناك الكثير من أفراد العائلة المالكة هنا فى إنجلترا حينئذ . لن أخوض فى التفاصيل . إلا أن الخلاصة أن شيئا ما قد اختفى ـ اختفى بطريقة بدت غير معقولة . إلا إذا سلمتم بشيئين ـ أن اللص فرد من أفراد العائلة المالكة . وفى نفس الوقت أن محترفا من الطبقة الراقية هو من قام بالعملية . وسوف يخبركم السيد ليموان بالمزيد عن هذه النقطة " .

فأطرق الفرنسى رأسه فى كياسة وهو يمسك بزمام الحديث :

" ربما لم تسمعوا فى إنجلترا باللص الشهير المدهش الذى يدعى الملك فيكتور . لا أحد يعلم اسمه الحقيقى ، إلا أنه رجل ذو شجاعة وجرأة لا نظير لهما . فبوسعه التحدث بخمس لغات كما أن قدرته على التنكر لا يشق لها غبار . ومع أن من المعروف أن والده كان إما إنجليزيا أو أيرلنديا ، فإن نشاطه قائم بالأساس فى باريس . وقام هناك منذ ثمانية أعوام بسلسلة جريئة من عمليات السطو تحت اسم كابتن أونيل "

عندها أفلتت من فيرجينيا شهقة خافتة . فالتفت إليها ليموان وهو ينظر إليها نظرة حادة .

" أعتقد أننى أعرف سبب دهشة السيدة . وستعرفون بدوركم أيضا بعد قليل . كنا فى سوريتيه نشك فى أن هذا الكابتن أونييل ليس سوى الملك فيكتور . إلا أننا لم نتمكن من الحصول على دليل مادى . وفى ذلك الوقت كان هناك فى باريس ممثلة شابة بارعة . اسمها أنجيلى مورى . تعمل فى فرقة فولييه بيرجيريه . وانتابتنا الشكوك لبعض الوقت فى أن لها صلة بنشاط الملك فيكتور . إلا أن الدليل هو ما كان ينقصنا أيضا

كانت باريس تتهيأ فى ذلك الوقت لزيارة الملك الشاب نيكولاس الرابع . ملك هيرتزوسلوفاكيا . وأصدرت إلينا تعليمات خاصة بالعمل على ضمان سلامة جلالته . وتم تنبيهنا على وجه الخصوص بالتحسب لأنشطة منظمة ثورية بعينها . تسمى نفسها رفاق اليد الحمراء . وصار من الأكيد الآن أن هؤلاء الرفاق قد اتصلوا بالممثلة أنجيلى مورى وعرضوا عليها مبلغا هائلا من المال إذا ساعدتهم على تنفيذ مخططاتهم . كان دورها يتمثل فى اغواء الملك الشاب . حتى اقتياده إلى مكان حددوه لها . وقبلت الممثلة بهذا العرض واعدة إياهم أن تحسن القيام بدورها .

إلا أن الفتاة الشابة كانت أبرع منهم وأشد طموحا مما تخيلوا . فقد نجحت بالفعل فى أن تخلب لب

الملك ، الذى أحبها بشغف وأغدق عليها بقطع المجوهرات وعندها فكرت فى ألا تكتفى بلعب دور خليلة الملك . وأن تصبح هى الملكة أيضا ! وبلغت طموحها ، كما يعرف الجميع . وتم تقديمها فى هيرتزوسلوفاكيا تحت اسم الكونتيسة فاراجا بوبوليفسكى ، واحدة من عائلة رومانوف الملكية ، وفى النهاية صارت فاراجا ملكة لهيرتزوسلوفاكيا . كانت نقلة لا بأس بها لممثلة باريسية صغيرة مثلها ! وكنت أسمع انها أجادت لعب هذا الدور إلى أقصى حد . إلا انه لم يكن مقدرا لهذا الانتصار أن يستمر . فقد حاول رفاق اليد الحمراء ـ الذين جن جنونهم لخيانتها لهم ـ أن يغتالوها مرتين . وفى النهاية انقلبت الأمور إلى ثورة عامة هلك فيها الملك والملكة . وتم استعادة الجثتين ، اللتين كان من الصعب التعرف عليهما بعد كل هذا التمثيل بهما . والذى أظهر مدى غضب عامة الشعب من هذه الملكة الأجنبية الوضيعة

فى ظل كل هذا يبدو من المؤكد الآن أن الملكة فاراجا . كانت مداومة على اتصالها بالملك فيكتور . ومن المحتمل أن يكون كل ما جرى ليس سوى خطة جريئة وضعها هو . إلا أن من المعروف أنها داومت على مراسلته عبر شفرة سرية ، ترسلها من داخل البلاط الملكى . وكانت تدون رسائلها بالإنجليزية لمزيد من الحرص . وتوقعها باسم سيدة إنجليزية كانت تعمل وقتها فى السفارة

البريطانية . فلو حدث أى تحقيق رسمى بشأن هذه الرسائل ، وأنكرت السيدة التى تم توقيع الرسائل باسمها أن يكون ذلك توقيعها . فمن الممكن ألا يصدقها أحد . فقد كانت رسائل من سيدة آثمة إلى عشيقها . أما الاسم الذى استخدمته . فقد كان اسمك أنت يا سيدة ريفيل "

قالت " أعلم هذا " . كان لون وجهها يتغير وهى تضيف " هذه حقيقة تلك الرسائل إذن ! لطالما كنت أتساءل وأتساءل عن حقيقتها " .

بينما صاح بيل ساخطا : " يا لها من حيلة دنيئة ! " .

" كانت الرسائل موجهة إلى الكابتن أونيل بمسكنه فى باريس . ويمكن أن نلقى الضوء على هدفها الرئيسى من خلال حقيقة ظهرت لنا فيما بعد فبعد اغتيال الملك والملكة . وصلت العديد من المجوهرات الملكية التى استولى عليها العامة بالطبع . إلى باريس . واكتشف ، وتبين لنا انه فى كل تسع حالات من بين عشر كانت المجوهرات الأصلية تستبدل بأخرى مقلدة ـ وكان من بين هذه المجوهرات أحجار كريمة فائقة الشهرة . وهكذا عرفنا أن الملكة أنجيلى مورى كانت تزاول أنشطتها السابقة من داخل البلاط الملكى

أعتقد أنكم تفهمون الآن ما وصلنا إليه . ووصل نيكولاس الرابع والملكة فاراجا فى زيارة إلى إنجلترا . ونزلا ضيفين على ماركيز كاترهام الراحل ، ثم على وزير

الدولة للشئون الخارجية . صحيح أن هيرتزوسلوفاكيا دولة صغيرة . ولكن من غير الممكن تجاهلها . لذا كان من الضرورى استقبال الملكة فاراجا وهكذا صار لدينا ملكة هى فى الأصل لصه محترفة . كما لا شك فى أن ـــــ أن البديلة التى كانت من الروعة التى مكنتها من خداع كل الناس . هى بالأساس من صنيع الملك فيكتور . كما أن الخطة بأكملها . بكل ما تعكسه من جرأة ودقة . تشير إلى أنه هو المخطط ولا أحد سواه "

سألته فيرجينيا : " وما الذى حدث بعدها ؟ "

أجابها المحقق باتل فى اقتضاب : " تم التكتم على كل شيء . ولم يتم الكشف عن أى مما حدث بعد ذلك للرأى العام . وقد بذلنا جهدنا فى هذا الصدد ـ وقد كان جهدا لن يمكنكم تصوره فلدينا أساليبنا الكفيلة بأن تصيبكم بالدهشة . ولكن تلك الجوهرة لم تغادر إنجلترا مع ملكة هيرتزوسلوفاكيا ـ هذا كل ما يمكننى البوح به فلقد خبأتها جلالتها فى مكان ما ـ مكان لم نتمكن من الوصول إليه بعد إلا أننى لن أندهش إذا ما تبين لى ... " . وسكت المحقق باتل لحظة أخذت عيناه خلالها تجولان بترو عبر أرجاء الغرفة . قبل أن يضيف : " إنها ليست فى أى مكان بهذه الغرفة " .

عندها نهض أنطونى واقفا فجأة .

وصاح متسائلا فى شك " ماذا ؟ وبعد كل هذه السنين ؟ هذا محال "

فبادره الفرنسى قائلا : " أنت لا تعلم حقيقة الظروف يا سيدى . فبعد هذا بأسبوعين فقط اندلعت الثورة فى هيرتزوسلوفاكيا . وتم قتل الملك والملكة . كما تم إلقاء القبض على الكابتن أونيل فى باريس وصدر ضده حكم فى نهمة صغيرة . لقد كنا نأمل فى أن نعثر على مجموعة الرسائل المشفرة بمنزله . إلا أن من الواضح أنها قد سرقت على يد بعض الهيرتزوسلافكيين . وقد ظهر الرجل فى هيرتزوسلوفاكيا قبيل اندلاع الثورة ، ثم اختفى بلا أثر " .

فقال أنطونى مفكرا : "ربما سافر للخارج . ربما إلى أفريقيا . ومن المحتم انه يحتفظ بتلك الرسائل . فهى بمثابة منجم ذهب بالنسبة له . إن الأمور تجرى بشكل غريب . قد يكون اسمه الآن فى البقعة التى يمكث فيها هو بيدرو الهولندى . أو شيء من هذا القبيل " .

ولمح نظرة بلا تعبير معين يوجهها إليه المحقق باتل . فابتسم .

" ليس فى الأمر تنجيم يا باتل . حتى وإن بدا لك كذلك . وسرعان ما ستعرف مقصدى " .

بينما قالت فيرجينيا : " هناك شيء واحد لا يزال غامضا بالنسبة لنا ما علاقة كل هذا بالمذكرات ؟ لابد أن تكون هناك علاقة ما . أليس كذلك ؟ " .

وافقها ليموان وهو يقول : " أنت لماحة يا سيدتى . بالفعل هناك رابط . فقد كان الكونت ستيلبتيتش يقيم فى تشيمنيز فى ذلك الوقت أيضا "

" إذن فربما يكون قد عرف بشأنها ؟ " .

" بالضبط " .

قال باتل : " ولو كان قد باح بشيء من هذا في مذكراته الثمينة . فإن هذا كان يعني بالطبع نهايته . وخاصة بعد كل هذا القدر من السرية الذى أحاط بالأمر" .

أشعل أنطونى سيجارة . ثم تساءل : " ألا يوجد أى احتمال لوجود دليل فى المذكرات يرشدنا إلى مكان قطعة المجوهرات تلك ؟ " .

فقال باتل بنبرة حاسمة : " احتمال بعيد جدا . فهو لم يكن على علاقة قوية بالملكة ـ كونه كان من المعارضين بشدة لتلك الزيجة . لذا فمن غير المحتمل أن يكون موضع ثقة لديها " .

فقال أنطونى : "لم أكن أقترح شيئا من هذا ولو للحظة . إلا أنه كان فى كل الأحوال رجلا عجوزا على قدر كبير من المكر والبراعة . ولكونه غير معروف بالنسبة لها ، فربما يكون قد اكتشف المكان الذى دست فيه تلك الجوهرة . فما هو التصرف الذى كان سيقدم عليه فى رأيك فى تلك الحالة ؟ " .

قال باتل بعد لحظات من التفكير : " أن يقبع فى مكانه " .

فقال الفرنسى : " أوافقك على هذا . فقد كانت لحظة حرجة ، كما ترون . فمن الصعب أن يعيد الجوهرة من دون أن ينكشف أمره . كما أن معرفته بمكانها كان

سيمنحه نفوذا هائلا ـ وذلك العجوز الغريب كان محبا للسلطة والنفوذ . فهو لم يكن يتحكم فقط فى مصير الملكة ، بل كان بيده سلاح تفاوضى قوى يمكنه استخدامه فى كل وقت . ولم يكن ذلك هو السر الوحيد الذى يمتلكه ، لقد كان يجمع الأسرار كما يجمع بعض الناس قطع الخزف النادرة . يقال إنه هدد البعض مرة أو مرتين قبل وفاته بأنه يمتلك أسراراً يمكنه أن يكشفها للناس وقتما يشاء . وقد أعلن من قبل أنه ينتوى البوح ببعض الأسرار المهمة فى مذكراته . ومن ثم ـــــ " ، وابتسم الفرنسى ابتسامة مقتضبة . قبل أن يضيف : " جاءت تلك اللهفة العامة للتحصل عليها . وهو الأمر الذى خططت له شرطتنا السرية ، إلا أن الكونت كان قد احتاط لهذا بأن احتفظ بها فى مكان آمن قبل وفاته " .

فقال باتل : " لكن ليس هناك سبب حقيقى للاعتقاد بأنه كان يعرف ذلك السر " .

رد أنطونى فى هدوء : " أرجو المعذرة . لكن هذا واضح فى كلماته " .

" ماذا ؟ " .

حدق فيه كلا المحققين وكأنهما لا يصدقان أذنيهما .

" حينما سلمنى السيد ماكجراث ذلك المخطوط حتى أحضره إلى إنجلترا ، أخبرنى بظروف لقائه الوحيد مع الكونت ستيلبتيتش . كان اللقاء فى باريس . فقد خاطر السيد ماكجراث بحياته لينقذ الكونت من إحدى

العصابات ، وقد كان وقتها كما فهمت فى حالة سكر . وتحت تأثير تلك الحالة . أبدى ملاحظتين مثيرتين. ذكر فى إحداهما أنه يعرف بمكان الكوهينور ـ وهى جملة لم يول لها صديقى الكثير من الانتباه فى حينها . كما قال إنه يعرف أن هذه العصابة هى عصابة الملك فيكتور . لو ربطنا بين الملاحظتين . يتبين لنا مدى أهميتهما " .

صاح المحقق باتل : " يا إلهى . بالفعل . بل إننى أنظر إلى مصرع الأمير مايكل من منظور آخر " .

إلا أن الفرنسى نبهه قائلا : " لم يقدم الملك فيكتور على القتل من قبل " .

" لنقل إنه قد بوغت أثناء بحثه عن الجوهرة ؟ " .

فسأله أنطونى فى حدة : "هل هو فى إنجلترا إذن ؟ كنت قد ذكرت لنا أنه قد أطلق سراحه منذ بضعة أشهر . ألم تقدموا على مراقبة تحركاته بعدها ؟ " .

ارتسمت على وجه المحقق الفرنسى ابتسامة ندم .

" لقد حاولنا ، يا سيدى . إلا أن ذلك الرجل شيطان . فسرعان ما أفلت منا . وبالطبع اعتقدنا أنه سيتوجه مباشرة إلى إنجلترا . ولكنه لم يفعل . أتدرى إلى أين اتجه ؟ " .

" إلى أين ؟ " .

كان أنطونى يحدق فى الفرنسى ، بينما تتلاعب أصابعه عن غير وعى بعلبة ثقاب .

" إلى أمريكا . إلى الولايات المتحدة " .

" ماذا ؟ " .

كانت نبرة أنطونى مفعمة بالدهشة .

" بالفعل ، وما الاسم الذى انتحله فى رأيك ؟ والشخصية التى لعب دورها هناك ؟ إنها شخصية الأمير نيكولاس من هيرتزوسلوفاكيا " .

سقطت علبة الثقاب من يد أنطونى ، إلا أن دهشة باتل لم تقل أبداً عن دهشته .

" مستحيل " .

" ليس مستحيلا يا صديقى . ستعرفون بأنفسكم هذه الأخبار فى الصباح . لقد كانت الخدعة الأشد هولا حتى الآن . فكما تعلمون ، فقد أشيع أن الأمير نيكولاس قد لقى مصرعه فى الكونغو منذ سنوات . وقد استغل صديقنا الملك فيكتور هذه الشائعة لمصلحته ـ خاصةً مع صعوبة إثبات مقتل الأمير هناك . فأحيا الأمير نيكولاس وانتحل شخصيته ، ونجح فى أن يجمع مبلغاً هائلا من الأمريكيين الطامحين فى نيل امتيازات النفط المزعومة . إلا أن صدفةً أسهمت فى الكشف عن هويته ، وكان عليه أن يرحل من البلاد على عجل . واتجه هذه المرة إلى إنجلترا . ولهذا السبب أنا موجود هنا بينكم . فسوف يأتى إلى تشيمنيز إن عاجلا أو آجلا . هذا ما لم يكن موجودا هنا بالفعل ! " .

" هل تعتقد هذا ؟ " .

" أعتقد أنه كان هنا فى الليلة التى لقى فيها الأمير مايكل مصرعه . وانه كان هنا مجددا فى الليلة الماضية " .

سأله باتل : " أهى محاولة أخرى ؟ " .

" بالفعل . محاولة أخرى "

التقط المحقق خيط الكلام وهو يقول : " ما كان يشغلنى هو أمر ليموان . فقد تلقيت إخطارا من باريس بأنه فى طريقه إلى هنا للتعاون معى . ولكننى لم أكن أعلم سبب تأخر وصوله " .

فقال ليموان : " علىّ أن اعتذر لك بالفعل وكما ترى . فقد وصلت فى الصباح التالى لجريمة القتل وخطر لى على الفور أن ألحق فى جوانب القضية بصفة غير رسمية . ومن دون أن يعلم أحد بأننى أشاركك التحقيق بشكل رسمى . رأيت أن هذا سيمنحنا المزيد من الفرص . كنت أعلم بالطبع بأنى سأكون موضع شك . إلا أننى وجدت أن هذا سيصب فى صالح خطتى . خاصة أن ذلك لن يلفت أنظار من كنت أسعى وراءهم . ويمكننى أن اؤكد لك أننى اطلعت على الكثير من الأمور المهمة خلال اليومين الماضيين "

فقال بيل : " فما الذى حدث ليلة الأمس إذن ؟ " .

رد ليموان قائلا : "أخشى أن أكون قد أجهدتك فى ذلك العراك العنيف الذى دار امس " .

" كنت أنت إذن . أنت من طاردته ؟ " .

" نعم . سأحكى لك التفاصيل . لقد أتيت إلى هنا للمراقبة . وأنا مقتنع بأن للسر علاقة بهذه الغرفة طالما أن الأمير قد لقى مصرعه هنا . فوقفت بالخارج عند الشرفة . إلى أن أحسست بأن هناك من يتجول داخل الغرفة ورأيت وميض ذلك الكشاف . حاولت أن أفتح النافذة الوسطى فوجدتها مفتوحة . لا أعلم إن كان ذلك الرجل قد دخل منها . أو أنه تركها هكذا حتى يتسنى له الهرب إذا حدث أى شىء يعرقل مهمته . فهذا ما لا أعلمه . وهكذا فتحت النافذة فى هدوء شديد . وتسللت إلى الداخل . وتحسست خطواتى خطوة خطوة حتى وصلت إلى بقعة تمكننى من مراقبته دون أن يكون هناك أى احتمال أن يرانى . إلا أننى لم أستطع تبين هوية ذلك الرجل . فقد كان موليا ظهره لى بالطبع . فلم أر منه سوى جسد معتم . إلا أن تصرفاته هى التى أدهشتنى فقد كان يفكك أجزاء الذراعين واحدا بعد الآخر ، متفحصا القطع المفككة . وحينما اقتنع بأن ما يبحث عنه ليس موجودا هنا . بدأ ينقر على الخشب الذى يغطى الجدار أسفل تلك اللوحة وكذلك إطارها . ولم يتسن لى أن اعرف ما قام به بعد ذلك . وعندها تدخلت وانقضضت علىّ و ـــــ "

فقالت فيرجينيا وهى تفكر : " لم تكن هناك أية فائدة مما فعلناه إذن "

" إلى حد ما . إلا أن الرجل كان قد أخذ يحرك كشافه . ولكونى لم أرغب فى الكشف عن هويتى فى هذه المرحلة ـ فقد قررت الهرب عبر النافذة . وهكذا طاردنى بيل . وهو يعتقد أننى المقتحم " .

ردت فيرجينيا : " كنت أنا من تبعك أولا . ولحق بى بيل " .

" بينما بقى صاحبنا الآخر ساكنا ، واستطاع التسلل عبر الباب . ولكننى مندهش من أن أحدا ممن هرعوا إلى المكان لم يره " .

فقال ليموان : " تفسيرى البسيط لهذا هو أنه قد تظاهر بأنه أول من وصل إلى الغرفة لنجدة من كان يصرخ " .

فسأله بيل وعيناه تتلألأن : "هل تعتقد حقا أن هذا الأرسين لوبين هو فى الحقيقة واحد من قاطنى هذا المنزل ؟ " .

قال ليموان : " وما المانع ؟ يمكنه أن يمر بمنتهى البساطة كأنه أحد الخدم . وربما كان هو نفسه بوريس أنشوكوف . الخادم المخلص للأمير مايكل " .

علق بيل موافقا : " إنه رجل غريب المنظر " .

إلا أن أنطونى كان يبتسم .

قال فى لطف : " تفسير لا يليق بذكائك سيد ليموان "

بادله الفرنسى الابتسام .

بينما سأله المحقق باتل : " هل اتخذت ذلك الرجل خادمًا لديك الآن يا سيد كيد ؟ " .

" لابد أن أرفع قبعتى احتراما لك يا باتل . أنت تعرف كل شيء . ولكن عليك أن تعلم أنه هو من عرض علىّ خدماته . ولم أطلبه أنا بالاسم " .

" وإننى لأتساءل الآن عن سبب هذا يا سيد كيد "

فقال أنطونى فى مرح : " لا أعرف إنه ذوق غريب ، ولكن ربما أعجبه وجهى . أو ربما يظن أننى أنا قاتل سيده ويود أن يكون على مقربة منى حتى يغتالنى وينتقم منى فى أية لحظة "

نهض أنطونى واتجه صوب النافذة وهو يجذب الستائر .

قال وهو يتثاءب : " إنه ضوء الصباح . انقضى وقت الإثارة والمتعة الآن "

ونهض ليموان بدوره .

" سأفارقكم الآن . وربما نلتقى مرة اخرى أثناء النهار " .

وخرج عبر النافذة وهو ينحنى لفيرجينيا فى احترام

تثاءبت فيرجينيا وهى تقول : " سأوى إلى الفراش كانت أحداثا مثيرة بالفعل . هيا بنا يا بيل . عليك أن تأوى إلى فراشك كأى ولد مطيع . أخشى أن يفوتنا الإفطار هذه المرة " .

وبقى أنطونى عند النافذة وهو ينظر إلى السيد ليمـوان وهو يبتعد .

أتاه صوت باتل من ورائه يسأله : " ربما لا يبدو على مظهـره ذلـك . إلا أنـه واحـد مـن أبـرع المحققـين الفرنسيين "

فقال أنطونى وهو غارق فى أفكاره : " أعتقد أننى بدأت أومن بهذا "

فقال باتل : " حسنا . لقد كان على صواب فيما يتعلق بأن كل ما شهدته هذه الليلة من تشويق قد انتهى بالمناسبة . هل تتذكر وقت أن حدثتك عن ذلك الرجل الذى وجدوه مقتولا بالقرب من ستاينز ؟ " .

" نعم . لماذا ؟ "

" لا شيء . لقد توصلوا إلى هويته ، هذا ما فى الأمر يبدو لى أن اسمه كان جوزيبى مانولى . كان يعمل نادلا فى فندق بليتز فى لندن أمر غريب ومثير للفضول . أليس كذلك ؟ " .

الفصل ٢٠

باتل وأنطونى يتشاوران

لم يعلق أنطونى بشيء . بل واصل التحديق فى النافذة . بينما كان المحقق باتل ينظر إلى ظهره الذى بقى بلا حراك

فى النهاية توجه نحو الباب وهو يقول : " حسنا ، طابت ليلتك يا سيدى " .

لكن أنطونى التفت تجاهه قائلا :

" انتظر لحظة يا باتل " .

فتوقف المحقق من فوره . بينما ابتعد أنطونى عن النافذة . وأخرج سيجارة مشعلا إياها . ثم قال بين أنفاس دخانها :

" يبدو لى أنك شديد الاهتمام بما جرى فى ستاينز ؟ " .

" ليس إلى هذه الدرجة سيدى . إلا أن الأمر غريب . هذا كل شيء " .

" هل تعتقد أن الرجل قد قتل فى المكان الذى وجدت فيه الجثة . أم أنك تعتقد أنه قد قتل فى مكان آخر ثم نقلت الجثة إلى تلك البقعة فيما بعد ؟ " .

" أعتقد أنه قد قتل فى مكان آخر . ثم أتى أحدهم بجثته فى سيارة ليلقيها حيث وجدناها " .

فقال أنطونى : " هذا ما أظنه أنا أيضا " .

إلا أن شيئا فى نبرة كلامه المشددة جعل المحقق ينظر له نظرة حادة .

" وهل لديك أى تصورات عن تلك الجريمة يا سيدى ؟ أتعرف من أتى بالجثة إلى هناك ؟ " .

" نعم أعرف " .

كان منزعجا قليلا لذلك الهدوء الشديد الذى كان عليه الآخر .

" لابد أن أعترف بأنك بالغ الهدوء فى تلقيك لمثل هذه الصدمات " .

" أنا لا أفصح أبدا عن مشاعرى . هذه قاعدة تعلمتها فى يوم من الأيام ، ووجدت أنها مجدية جدا " .

" من الواضح أنك ملتزم بها تمام الالتزام . فلا أذكر أنى قد لمحت القلق على وجهك أبدا أتود أن تعرف القصة بأكملها إذن ؟ " .

" لو تفضلت يا سيد كيد "

جذب أنطونى مقعدين من المقاعد . وجلس الاثنان ، وبدأ أنطونى يحكى كل الأحداث التى سبقت ليلة خميس .

استمع إليه باتل من دون أن يحرك ساكناً . إلا أن التماعة اعترت عينيه حينما فرغ أنطونى من قصته .

قال : " أود أن أقول لك يا سيدى إنك ستقع فى العديد من المشاكل يوما ما " .

" ألن أحاكم على ما فعلت هذه المرة أيضا ؟ " .

" إننا نميل دوما إلى منح الرجل الكثير من الحبال "

" أنت رقيق جدا . لا داعى لأن تتم المثل " .

فقال باتل : " إلا أن ما عجزت عن فهمه يا سيدى ، هو سبب مصارحتك لى بكل هذا الآن " .

" من الصعب علىّ أن أفسر هذا . فكما ترى يا باتل ، لقد أصبحت أحترم قدراتك جدا . أجدك دوما فى الوقت المناسب . تماما كما حدث الليلة . فخطر لى أننى كنت لأعيقك عن أداء مهمتك لو فضلت أن أحتفظ بهذه المعلومات . فأنت تستحق أن تعرف كل شيء . ولقد فعلت ما بوسعى . إلا أننى أسأت تقدير بعض الأمور حتى الآن . ولم يكن لى الحق - حتى هذه الليلة - فى أن أتحدث عن أمور تتعلق بالسيدة ريفيل . لكن الآن ثبت أن لا علاقة لتلك الرسائل بها ، وصارت أى شكوك حولها محض عبث . ربما لم أحسن نصحها منذ البداية ، إلا أنه قد خطر لى أن قولها لى بأنها قد سحت هذا الرجل

استنز مثلا حتى لا يكشف أمر هذه الرسائل . مع أنها لم تكن سوى نزوة من جانبها . قد يكون فيه جانب من الصدق "

وافقه باتل الرأى قائلا : "ربما كان هذا سيصبح رأى المحلفين . فالمحلفون لا يتمتعون بالخيال " .

نظر له أنطونى فى فضول قائلا : " إلا أنك اقتنعت به وبسهولة ؟ " .

" ترى يا سيد كيد أن معظم عملى بين هؤلاء . أو من يسمونهم بالطبقة العليا . فغالبية الناس يتساءلون على الدوام عما سيظنه جيرانهم عنهم . إلا أن الصعاليك والأرستقراطيين لا يبالون بذلك . فهم يتصرفون من وحى الخاطر . ولا يضعون فى اعتبارهم آراء الآخرين عنهم ولست أعنى بهذا اولئك الأغنياء العاطلين فقط . والذين ينظمون الحفلات الكبرى . وغير ذلك . ولكننى أقصد أيضا أولئك الذين فطروا على أن لا رأى أهم من آرائهم وترسخت لديهم هذه الفكرة على مدى أجيال . ولطالما وجدت أن جميع الطبقات العليا تتشابه - لا يخشون أحدا . ولا يكذبون . وأحيانا ما تتعدى حماقتهم الوصف "

" إنها لمحاضرة مشوقة جدا يا باتل . وأعتقد أنك ستكتب مذكراتك فى يوم من الأيام حتما ستكون عملا يستحق القراءة " .

شكره المحقق على هذا الاقتراح بابتسامة . إلا أنه لم يعلق .

فتابع أنطونى كلامه قائلا : "لكننى أود أن أطرح عليك سؤالا يشغلنى . هل حدث وربطت بينى وبين تلك الجثة التى وجدت فى ستاينز ؟ فلقد خيل لى - من تصرفاتك معى - أنك قد فعلت " .

" أنت محق . فلقد راودنى ذلك الإحساس . إلا أنه لم يكن بالقوة التى تجعلنى أعول عليه . فقد كانت ردود افعالك مثالية . إن صح القول . حيث لم تبالغ فى اللامبالاة "

" كم يسعدنى سماع هذا ! فقد كنت أشعر كلما التقيتك أنك تنصب لى شراكا صغيرة . لكننى نجحت فى تفادى السقوط فيها . وإن كان بصعوبة شديدة "

ابتسم باتل متجهما .

" وهذا يبين لك الكيفية التى تنال بها من المحتالين فى نهاية المطاف يا سيدى . فعليك أن تترك له الحبل على الغارب . ليفعل ما يحلو له . ستنهار أعصابه إن عاجلا أو آجلا . فتحكم قبضتك عليه "

" إنك مرح جدا يا باتل . متى سنلقى القبض على إذن ؟ "

فعاود باتل الاستشهاد بنفس المثل الشهير : " الكثير من الحبال ـــ الكثير من الحبال " .

" إذن فأنا لم أرتق حتى الآن فوق مرتبة القاتل الهاوى ؟ "

" بالضبط يا سيد كيد " .

" إذن فالفاروق بيننا كالفارق بين واتسون وشارلوك هولمز ؟ " .

" إن أغلب الروايات البوليسية محض هراء . إلا أنها مسلية رغم كل شيء" . ثم أضاف وكأن خاطرا خطر له : "ومفيدة فى بعض الأحيان " .

سأله أنطونى فى فضول : " وكيف ذلك ؟ " .

" إنها تروج لتلك الفكرة العامة التى مؤداها أن رجال الشرطة حفنة من الأغبياء . وهو الأمر الذى يصب فى صالحنا حينما نتعامل مع جريمة يرتكبها هاو كجريمة قتل مثلا " .

حدق فيه أنطونى لبضع لحظات فى صمت . بينما قبع باتل فى مكانه صامتا . وعيناه تختلجان بين الحين والآخر . ومن دون أى تعبير على وجهه المربع الهادئ . إلا أنه نهض فى النهاية .

" لن يفيد المرء أن يأوى إلى فراشه الآن . فأنا أود التحدث مع اللورد عندما يستيقظ . وبوسع من يريد مغادرة المنزل أن يفعل هذا منذ الآن . على أننى سأكون ممتنا له لو أنه مد أمد دعوته لبقاء الضيوف . وأرى أنك ستتقبل هذا يا سيدى . وكذلك السيدة ريفيل " .

سأله أنطونى بغتة : " هل وجدت المسدس ؟ " .

" أتعنى ذلك الذى انطلق منه العيار الذى قتل الأمير ؟ كلا . لم أجده . لابد أنه فى مكان ما فى المنزل أو بالخارج . على أننى سأستفيد من ملاحظتك هذه يا سيد كيد . وأرسل من يبحث عنه . ولو وقعت عليه . فإن هذا سيكون خطوة للأمام فى مسار القضية . هذا بالإضافة إلى رزمة الرسائل . هل قلت لى من قبل إن كلمة " تشيمنيز " كانت على ترويسة إحدى الرسائل ؟ لو صح هذا . فإن هذا يعنى أنها كانت آخر تلك الرسائل . وتعليمات العثور على الجوهرة مكتوبة بشفرة سرية فى هذه الرسالة " .

سأله أنطونى : " ما هى نظريتك عن مصرع جوزيبى ؟ " .

"بوسعى أن أقول إنه كان لصا محترفا ، وإن أحدهم التقاه . إما الملك فيكتور أو رفاق اليد الحمراء . ونجح فى أن يستأجره لحسابه . ولن أندهش لو علمت أن هؤلاء الرفاق والملك فيكتور لا يعملان معا . فلدى المنظمة من الأموال والسطوة ما يكفيها . إلا أنها تفتقر إلى التنظيم . فقد كانت مهمة جوزيبى هى سرقة المذكرات - ولم يكن هناك من سبيل إلى معرفة أن الرسائل فى جعبتك - فقد كانت مصادفة غريبة بالمناسبة "

فقال أنطونى : " أعلم هذا . إننى أتعجب حينما أفكر فى الأمر " .

" وعثر جوزيبى على الرسائل عوضا عن المذكرات وهو الأمر الذى أحزنه كثيرا فى البداية . حتى رأى تلك

القصاصة فقرر أن يستغلها لصالحه ويبتز صاحبة الرسائل ولم يكن يعلم طبعا بأهميتها الحقيقية . لكن الرفاق عرفوا بما يحاول القيام به . واعتقدوا أنه يخدعهم . فقرروا قتله . فهم مغرمون بإعدام الخونة . فللأمر جاذبية تدفعهم إلى الانسياق وراءه . إلا أن الشيء الذى لا أفهمه هو المسدس المحفور عليه اسم " فيرجينيا " . ففى هذا حيلة كبيرة من قبل رفاق اليد الحمراء . فالمعتاد أنهم يفخرون بلصق علامة اليد الحمراء المميزة لبويتهم فى موقع أية جريمة يرتكبونها - حتى يلقوا الرعب فى قلوب من يفكر فى الخيانة وهذا ما يجعلنى اشك فى أن يكون الملك فيكتور هو من قتله ولكن ما هو الدافع . هذا ما لا أعرفه فالجريمة تعد محاولة متعمدة لتوريط السيدة ريفيل فى الجريمة . ولا يوجد أى هدف محدد فى هذا . ظاهريا على الأقل "

فقال أنطونى - " لدىّ نظرية إلا أنها لم تكن صحيحة وفقا للخطة " .

وأخبر باتل عن تعرف فيرجينيا على مايكل . فأطرق باتل برأسه .

" اه . بالفعل . فلا يوجد شك حول هويته وبالمناسبة فإن هذا البارون العجوز معجب بك جدا ويتحدث عنك بحماس شديد

رد أنطونى " هذا لطف منه خاصة وأننى قد حذرته من أننى عازم على بذل جهدى لكى أحصل على المذكرات المفقودة قبل يوم الأربعاء القادم " .

" سيكون عليك القيام بعمل كبير لأجل ذلك "

" هل تعتقد هذا ؟ فأنا أعتقد أن الملك فيكتور وشركاه قد تحصلوا على الرسائل " .

أومأ باتل برأسه .

" لقد اقتنصوها من جوزيبى فى ذلك اليوم فى شارع بونت . وكانت عملية متقنة التخطيط . إنها معهم بالفعل . وقد نجحوا فى فك شفرتها . ويعلمون الآن الموضع الذى سيبحثون فيه " .

كان الرجلان على وشك الخروج من الغرفة حينما أشار أنطونى برأسه للخلف وهو يقول " هل هى هنا ؟ " .

" بالفعل . إلا أنهم لم يجدوا الجائزة بعد . وعليهم المخاطرة بمحاولة البحث عنها " .

قال أنطونى : " أعتقد أن لديك خطة تعتمل فى عقلك البارع الآن ؟ "

لم يجبه باتل بشيء . بل بدت عليه ملامح البلادة والغباء بشكل واضح . بعد ذلك غمز بعينه ببطء شديد

سأله أنطونى . " هل تريد مساعدتى ؟ "

" بالفعل . وأحتاج إلى مساعدة شخص آخر "

" ومن هو ؟ "

" السيدة ريفيل . فربما لاحظت هذا يا سيد كيد . ولكنها امرأة لها طريقة خاصة فى الخداع والتضليل " .

" هذا ما لاحظته بالفعل " .

ثم ألقى نظرة على ساعته .

" لا أجد سوى أن أوافقك الرأى بشأن عدم جدوى النوم الآن . وسيكون من الأجدى أن أغطس لبعض الوقت فى البحيرة ثم أتناول إفطارا دسما " .

وهرول أنطونى فى خفة صاعدا نحو غرفة نومه . وهو يطلق صفيرا منغوما . وخلع عنه ملابسه . وارتدى الروب ، والتقط منشفة .

إلا أنه توقف بغتة عند منضدة الزينة . وهو يحدق فى ذلك الشيء القابع أمام المرآة .

ظل للحظات غير مصدق لما يراه أمامه . إلا أنه التقطه . وأخذ يتفحصه عن قرب . لا يمكن أن يكون هناك أى خطأ .

لقد كانت رزمة الرسائل الموقعة باسم فيرجينيا ريفيل كانت مرتبة . ولا توجد رسالة مفقودة .

ألقى أنطونى بجسده على المقعد . والرسائل فى يده تمتم لنفسه : " لابد أن عقلى اختل . إننى عاجز عن فهم أى مما يجرى داخل هذا المنزل . لماذا تظهر لى هذه

الرسائل الآن ، وكأن هناك ساحرا ملعوناً يتلاعب بى ؟ ومن الذى وضعها على منضدة الزينة ؟ ولماذا ؟ " .

ولم يكن هناك من سبيل للحصول على رد شافٍ لكل تلك الأسئلة .

www.liilas.com / vb3

uploaded and scanned by:

THE GHOST92

الفصل ٢١

حقيبة السيد إيزاكشتاين

كان اللورد كاترهام وابنته يتناولان إفطارهما فى الساعة العاشرة من ذلك الصباح . وكانت بندل غارقة فى أفكارها .

فى النهاية قالت : " أبى " .

لم يرد عليها اللورد الذى كان شديد الاستغراق فى مطالعة صحيفة التايمز .

فكررت بندل نداءها بحدة أكبر هذه المرة " أبى " .

رفع اللورد رأسه عن الجريدة . بعد أن كان منهمكا فى قراءة إعلانات عن أحد عروض بيع الكتب النادرة . نظر إليها وهو شارد الذهن .

" هاه ؟ هل كنت تتحدثين إلىّ ؟ "

" نعم . من هذا الذى تناول إفطاره الآن ؟ " .

كانت تشير برأسها ناحية مكان على المائدة كان من الواضح أن هناك من كان يشغله . فالإفطار لم يمس فى بقية الأماكن .

" أوه . ما اسمه ؟ " .

" آيكى البدين ؟ " .

كانت بندل ووالدها قد وصلا إلى درجة من التفاهم بينهما مكنتهما من فهم تعليقات بعضهما البعض المضللة نوعا ما .

" هذا هو " .

" لقد رأيتك هذا الصباح قبل الإفطار وأنت تتحدث مع المحقق . أليس كذلك ؟ " .

تنهد اللورد كاترهام .

" بالفعل . فلقد لحق بى فى البهو . لطالما اعتقدت أن تلك الساعات السابقة على موعد الإفطار لابد وأن تحترم . إنى أشعر باحتياج للسفر للخارج . فهذا التوتر الواقع على أعصابى ـــــ " .

قاطعته بشكل فظ قائلة :

" وما الذى قاله لك ؟ " .

" قال لى إن بوسع من يريد أن يغادر المكان أن يغادره " .

" حسنا . لا بأس فى هذا . هذا ما كنت تريده " .

" أعلم هذا . إلا أنه لم يكتف بذلك . بل قال لى إنه بالرغم من ذلك يرغب فى أن أطلب من الجميع البقاء " .

قالت وهى تداعب أنفها : " لا أفهم شيئا " .

فرد اللورد كاترهام متذمرا . " طلب مريب ومتناقض . كما أنه جاء قبل الإفطار " .

" وماذا كان ردك ؟ "

" واصل اللورد حديثه معاودا التأكيد على شكواه الأساسية مما حدث : لقد وافقته الرأى بالطبع . فلا جدوى من الجدال مع هؤلاء الناس . وخاصة قبل الإفطار " .

" ومن الذى طلبت منه ذلك حتى الآن ؟ "

" كيد . لقد كان مستيقظا فى ساعة مبكرة من هذا الصباح . وقد وافق على البقاء . وليس لى اعتراض . فليس من اللائق أن أدفعه إلى الرحيل ؛ كما أننى معجب به ـ معجب به جدا " .

" وكذلك فيرجينيا " . قالتها بندل وهى ترسم شكلا بالشوكة فوق المائدة .

" ماذا ؟ " .

" وكذلك أنا إلا أن هذا غير ذى أهمية " .

فتابع اللورد كلامه قائلا : " كما طلبت هذا من إيزاكشتاين " .

" وبعد ؟ " .

" ولكن من حسن الحظ أن عليه أن يعود إلى البلدة بالمناسبة لا تنسى أن تطلبى له السيارة بحلول الساعة العاشرة وأربعين دقيقة " .

" حسنا " .

وواصل اللورد كلامه وقد ارتفعت روحه المعنوية بعض الشيء : " والآن أتمنى لو تخلصت من فيش أيضا " .

" ظننت أنك أحببت النقاش معه حول الكتب العتيقة " .

" بالفعل . بالفعل . لكن المزعج أن يجد المرء نفسه ينفرد وحده بكل الكلام فيش شخص مُسل . إلا أنه لا يتحدث إلا حينما يبادره أحد بالكلام " .

فقالت بندل : " هذا أفضل من أن يبقى المرء منصتا على الدوام . وهو ما أشعر به مع جورج لوماكس " .

تضايق اللورد كاترهام عندما جاء ذكر اسمه .

فقالت . " جورج بارع فى الكلام . بل وجدت نفسى مأخوذة بحديثه . رغم أننى أعلم طيلة الوقت أن أغلب حديثه هراء . وعلى أى فأنا اجتماعية بطبعى ـــــ " .

فقال اللورد فى عجالة : " أعلم هذا يا عزيزتى . أعلم هذا "

" لا بأس . فلن أقحم السياسة فى هذا المنزل . فهذا ما يفعله جورج ـ حديثه عام وسط حياة خاصة . لابد أن نمنعه من هذا ولو بقانون من البرلمان " .

" وأنا أؤيدك فى هذا "

" وماذا عن فيرجينيا . هل ستطلب منها البقاء ؟ " .

" لقد طلب منى باتل التحدث مع الكل "

" إنه جاد إذن ! وهل عرضت عليها الزواج ؟ " .

قال اللورد فى أسى : " لا أعتقد أنها ستوافق . مع أنها نادتنى بعزيزى ليلة أمس . إلا أن هذا أسوأ ما يمكن

أن تتصف به امرأة شابة جذابة ذات طباع رقيقة جميعهن يقلن أى شيء . ولا يعنين به أى شيء " .

وافقته بندل الرأى قائلة : " كان الأمل فى موافقتها على الزواج سيكون أكبر لو أنها ألقت بحذائها فى وجهك . أو حاولت أن تغرس أنيابها فى جسدك " .

فقال اللورد فى حزن : " أنتم أيها الشباب تمتلكون آراء غير متفائلة تجاه الحب والغرام " .

قالت بندل : " كل هذا سببه قراءة " شيخ القبيلة " حب الصحراء . والهجر . وغير ذلك " .

" ما هو " شيخ القبيلة " هذا ؟ هل هى قصيدة ؟ "

نظرت إليه بندل فى شفقة ورثاء . ثم نهضت وقبلته على جبينه .

" أوه يا والدى العزيز " . قالتها وهى تخرج فى خفة عبر نافذة الشرفة .

بينما عاد اللورد ليطالع قسم العروض فى جريدته .

إلا أنه انتفض بغتة حينما ناداه فيش . الذى دخل دون أن يشعر به أحد كعادته وكأنه ظهر من العدم .

" صباح الخير يا لورد كاترهام "

" صباح الخير . صباح الخير . يوم جميل " .

قال فيش : " الطقس ممتع "

وصب لنفسه بعض القهوة . وتناول قطعة من الخبز المحمص .

وبعد دقيقة أو دقيقتين سأله : " هل ما سمعته عن السماح بمغادرة المنزل صحيح . وأننا قد صرنا الآن أحرارا من هذا الحظر ؟ "

" بالفعل . . . نعم . . . نعم . . . فى الحقيقة كنت أقصد أن من دواعى سرورى . . . سأكون سعيدا جدا لو بقيت معنا قليلا " .

" فى الحقيقة يا لورد كاترهام ـــــ "

بادره اللورد قائلا : " أعلم أنها لم تكن بالزيارة السعيدة وهذا مؤسف . ولن ألومك لو كنت تريد الرحيل " .

" لقد ساء حكمك على يا لورد كاترهام . مع أن من غير الممكن أن ننكر أن تداعيات الأحداث كانت مؤلمة إلا أن حياة الريف الإنجليزى . كما هى فى قصور العظماء . تجذبنى وبشدة . وأنا مهتم بدراسة هذه الظروف . فهى حياة نفتقر إليها تماما فى أمريكا وسيكون من دواعى سرورى أن اقبل دعوتك الكريمة لى بالبقاء "

فقال اللورد : " أوه . حسنا إننى سعيد بهذا جدا . بالطبع سعيد جدا " .

وهكذا أوقع اللورد نفسه فى شراك كرهه الزائف . ولم يجد وسيلة للفكاك منه إلا بأن يتمتم بكلمات غير مفهومة عن ضرورة أن يخرج ليطمئن على بعض الأمور ، ومن ثم هرع خارجا من الغرفة .

وفى طريقه شاهد فيرجينيا فى البهو وهى تهبط الدرج .

سألها فى رقة : " هلا اصطحبتك إلى الإفطار ؟ " .

" لقد تناولته فى فراشى ، أشكرك . فقد كنت أشعر بنعاس شديد ولم أقو على مغادرة الفراش "

قالتها وتثاءبت .

" أكانت ليلة سهاد إذن ؟ "

" ليست كذلك تحديدا . بل من الممكن القول بأنها ليلة جيدة " . ثم دست ذراعها فى ذراعه وهى تضيف :

" أوه لورد كاترهام إننى مستمتعة بوقتى هنا . وكم أنا سعيدة لكونى سأبقى لمزيد من الوقت "

" ستبقين إذن ؟ إن باتل قد قرر رفع الحظر . إلا أننى أود منك أنت بالأخص أن تبقى . وكذلك هى رغبة بندل "

" بالطبع سأبقى . لطف منك أن تطلب منى هذا "

هنا تنهد اللورد

" ما كل هذا الأسى الذى يرتسم على وجهك ؟ هل أساء إليك أحدهم ؟ " .

قال فى أسى : " يمكنك أن تقولى هذا "

وبدا على فيرجينيا الدهشة والحيرة

" أيراودك شعور الآن بأنك تود لو قذفتنى بحذائك ؟ كلا . لا أرى مثل هذا الشعور مرتسما على وجهك " .

استدار اللورد على عقبيه وابتعد فى حزن . بينما خرجت فيرجينيا عبر باب جانبى يفضى إلى الحديقة .

ظلت فيرجينيا واقفة للحظات . وهى تستنشق هواء أكتوبر الطلق ، الذى كان كفيلا بأن ينعش أى شخص فى مثل ما هى عليه من إرهاق .

جفلت قليلا حينما وجدت باتل إلى جوارها بغتة . يبدو أن الرجل قد اعتاد أن يظهر دوما دون أقل تنبيه وكأنه بزغ من العدم .

" صباح الخير يا سيدة ريفيل . أرجو ألا يكون الإرهاق قد نال منك " .

هزت فيرجينيا رأسها .

" لقد كانت ليلة مشوقة بالفعل . تستحق ألا ينال المرء بسببها أقل قدر من النوم . أسوأ ما فى الأمر أن يتلوها هذا النهار الممل " .

علق المحقق باتل قائلا : "هناك مكان لطيف ظليل اسفل شجرة الأرز . هلا أتيت بكرسى لك هناك ؟ "

وافقته فيرجينيا فى وقار قائلة : " لا بأس بهذا ، إن كنت ترى أن هذا أفضل شىء لى الآن " .

" أنت لماحة جدا يا سيدة ريفيل بالفعل . فأنا أود أن أتحدث معك قليلا " .

التقط باتل كرسيا طويلا من الخوص وحمله عبر المرج بينما تبعته فيرجينيا وهى تحمل مسندا أسفل ذراعها .

علق المفتش قائلا : " صارت الشرفة مكانا خطيرا الآن . ذلك إن كان المرء يود أن يتحدث داخلها حول أسرار " .

" لقد نجحت فى إثارة فضولى أيها المحقق باتل "

" فى الحقيقة لا يوجد شىء ذو أهمية " وأخرج ساعة كبيرة وألقى عليها نظرة . " إنها العاشرة والنصف . على الذهاب إلى ويفيرن آبى خلال عشر دقائق لكى ألتقى السيد لوماكس . لا يزال أمامى وقت . كنت أريد فقط أن اعرف منك المزيد عن السيد كيد "

" السيد كيد ؟ " .

كانت فيرجينيا مندهشة بالفعل من هذا الطلب .

" نعم ، متى التقيته لأول مرة . ومنذ متى وأنت تعرفينه ؟ وأشياء من هذا القبيل " .

كانت نبرة كلام باتل هادئة ودودة . بل إنه لم يكن ينظر إليها . وهو الأمر الذى لم يشعرها بالارتياح .

فقالت فى النهاية : " الأمر أعقد مما نظن . فلقد سبق أن أسدى إلى معروفا ذات مرة ـــــ "

قاطعها باتل قائلا :

" قبل أن تسترسلى فى حديثك يا سيدة ريفيل . أود أن أقول شيئا . الليلة الماضية . وبعدما توجهت والسيد ايفرسلاى إلى غرفتيكما ، أخبرنى السيد كيد بكل شىء عن الرسائل . وعن الرجل الذى لقى مصرعه داخل منزلك " .

سألته مشدوهة : " صحيح ؟ "

" بالفعل ، وهو تصرف حكيم منه . فقد أزال الكثير من سوء الفهم . إلا أنه لم يخبرنى بأمر واحد - لم يخبرنى منذ متى وهو يعرفك . فأنا لا أعرف الكثير عن علاقتكما . وعليك أن تؤكدى لى ما إذا كنت مخطئا أم على حق . واعتقد أن ذلك اليوم الذى أتى فيه إلى منزلك فى شارع بونت كان أول يوم التقيته فيه . آه ! أرى الآن أنى على حق . كان أول يوم بالفعل " .

لم تعلق فيرجينيا بشيء . ولأول مرة شعرت بخوف تجاه هذا الرجل الذى لا تستطيع أن تستشف أى شيء من ملامحه المتبلدة . الآن فهمت ما كان أنطونى يعنيه حينما قال إنه لا سبيل لخداع باتل .

تابع باتل كلامه : "ألم يخبرك من قبل بأى شيء عن حياته ؟ أعنى تلك الفترة التى سبقت حياته فى جنوب أفريقيا أو فى كندا ؟ أو قبل ذلك . فى السودان ؟ أو حتى عن فترة صباه ؟ " .

اكتفت فيرجينيا بأن هزت رأسها . ولم تعلق

" إلا أننى أعتقد أن لديه ما يخفيه عنا . فلا يمكننى أن أخطىء وجه رجل عاش حياة مليئة بالمغامرات . كان بوسعه أن يخبرك بالعديد من الحكايات المشوقة إذا كان يبالى بذلك " .

سألته فيرجينيا . " لو أنك تريد أن تعرف أى شيء عن حياته السابقة . فما المانع أن تراسل صديقه السيد ماكجراث ؟ " .

" لقد فعلنا . ولكن يبدو أن الأمر سيستغرق وقتا قبل أن نصل إليه . ومع هذا ، فلا شك أن السيد كيد كان فى بولاوايو فى الفترة التى ذكرها لنا . إلا أننى أتساءل عما كان يفعله قبل مجيئه إلى جنوب أفريقيا . فهو لم يتول العمل مع شركة كاسل إلا منذ شهر فقط " ، وأخرج ساعته من جديد ثم قال : " علىّ الذهاب الآن . فالسيارة بانتظارى " .

شاهدته فيرجينيا ينصرف إلى داخل المنزل . إلا أنها لم تتحرك عن كرسيها . كانت تتمنى لو ظهر أنطونى الآن وشاركها الجلسة . إلا أن بيل إيفرسلاى كان هو من ظهر ، وهو يتثاءب فى قوة .

قال لها شاكيا : " حمدا لله ، ها قد واتتنى فرصة للحديث معك يا فيرجينيا " .

" هلا حدثتنى بهدوء يا عزيزى بيل ، وإلا انفجرت فى البكاء " .

" هل تعرض لك أحد بأى أذى ؟ "

" ليس بالضبط . بل لقد توغل فى داخل عقلى ، ليقلبه رأسا على عقب . أشعر وكأن فيلا تعارك معى " .

" لا تقولى لى إنه باتل "

" هو بالتحديد . إنه لرجل مزعج "

" دعك من باتل الآن يا فيرجينيا . فإنى أحبك حبا جما ـــــ "

" ليس هذا الصباح يا بيل فأن منهكة . وعلى كل . وكما كنت أقول لك دائما . فإن أفضل الناس لا يتقدمون للزواج قبل تناول الغداء" .

" إنى على استعداد لأن أتقدم لك قبل الإفطار" .

ارتعدت فيرجينيا وهى تقول :

" بيل ، كن عاقلا وذكيا ولو للحظة . فإنى أريد منك نصيحة "

" لو أعملت عقلك وقررت الموافقة على الزواج منى . فسوف تكونين أحسن وأسعد حالا . بل واشد استقرارا . أنا واثق من ذلك "

" اسمعنى يا بيل إن عرضك للزواج منى ليس سوى نزوة . فكل الرجال لا يعرضون الزواج على أية سيدة إلا حينما يصيبهم الملل ، ولا يجدون ما يقولون . عليك أن تتذكر سنى . وأننى أرملة . وابحث عن أخرى أصغر منى سنا "

" عزيزتى فيرجينيا ـــــ أوه . انظرى ! ها هو ذلك الفرنسى المعتوه يتلصص علينا "

كان هو السيد ليموان بلحيته السوداء وسلوكه المتنزن كعادته

" طاب صباحك يا سيدتى . أنا على يقين من أنك لست مرهقة "

" إطلاقا "

" ممتاز . طاب صباحك يا سيد إيفرسلاى " .

" هلا تمشينا قليلا عبر المتنزه نحن الثلاثة ؟ " .

فقالت فيرجينيا : " ما رايك يا بيل ؟ " .

فقال الشاب فى غير اقتناع : "وما المانع ؟! " .

نهض متثاقلا عن الأرض . وتمشى ثلاثتهم فى تؤدة . تتوسطهما فيرجينيا . وأدركت على الفور ما يعتمل داخل الفرنسى من انفعال خفى غريب . على أنها لم تر سببا ظاهرا لكل هذا .

وسرعان ما نجحت بمهارتها المعتادة فى أن تهدىء عصابه . فاخذت تطرح عليه الأسئلة . وتستمع إلى ردوده . حتى استطاعت أن تغريه تدريجيا على الكلام بحرية . فقد أخذ يحكى لهما عن طرائف الملك فيكتور الشهير . كان لبق الحديث . إلا أن بعض المرارة كانت تشوب نبرة كلامه . وهو يصف لهما مختلف الأساليب التى خدع بها إدارة المباحث .

ولكن على الرغم من استرسال ليموان فى حكيه . فقد كان هناك شعور يلازم فيرجينيا طوال الوقت بأن لديه موضوعا آخر أهم علاوة على أنها رات أن ليموان يسلك مسارا بعينه عبر المتنزه وهو يحكى متعمدا . لم يكونوا يتريضون على غير هدى . بل كان يقودهما عمدا فى اتجاه معين .

توقف ليموان عن حكيه بغتة . وأخذ ينظر حوله . كانوا يقفون عند المكان الذى يقطع فيه طريق السيارات المتنزه . قبل أن ينعطف عند ركن شديد الانحدار تحفه أشجار كثيفة . كان ليموان ينظر إلى سيارة تقترب منهم قادمة من جهة المنزل

كانت عينا فيرجينيا تتبعانها

قالت " إنها عربة الحقائب . تنقل حقائب إيزاكشتاين وخادمه إلى محطة القطار " .

فقال ليموان : " هل هذا صحيح ؟ " رمق ساعته وهو يخيف " أعتذر لكما كثيرا فقد قضيت هنا وقتا أطول مما كنت أنتويه ـــــ الا أنها كانت صحبة جميلة هل تعتقدين أن من الممكن أن يصطحبونى معهم حتى القرية ؟ " .

فسار حتى وقف فى منتصف الطريق . وأخذ يشير لعربة الحقائب بذراعه . فتوقفت . وبعد أن شرح لهم ليموان ما يريد . صعد إليها . بعدها رفع قبعته محييا فيرجينيا . وانطلقت العربة بعيدا .

وقف الاثنان يراقبان العربة حتى اختفت عن الأنظار . والدهشة لا تزال ترتسم على وجهيهما . إلا أن العربة وهى تنعطف عند أحد المنحنيات أسقطت واحدة من الحقائب التى كانت تحملها . بينما واصلت طريقها .

فبادرت فيرجينيا تقول لـ " بيل " . " تعال معى لابد أننا سنرى شيئا مثيرا . هناك من أسقط هذه الحقيبة " .

قال بيل : " لم يلحظ أحد شيئا " .

وهرعا عبر الطريق نحو الحقيبة وما إن وصلا إليها حتى ظهر لهما ليموان عند المنعطف . كان العرق يتصبب منه بعد المسافة التى قطعها ركضا .

قال لهما فى لطف : " اضطررت إلى النزول من العربة . فقد اكتشفت أننى نسيت شيئا " .

فقال بيل وهو يشير إلى الحقيبة : " هذه ؟ "

كانت حقيبة جلدية أنيقة . عليها حرفا الهاء والألف .

فقال ليموان : " يا للخسارة ! لابد أنها سقطت هلا رفعناها عن الطريق ؟ " .

والتقط الحقيبة دون انتظار لردهما . وحملها حتى منطقة الأشجار . حيث توقفا هناك . وشاهدا شيئا يلتمع فى يده . قبل أن يريا قفل الحقيبة وهو ينفتح

كان يتحدث إليهما ولكن بنبرة مغايرة تماما كانت نبرة سريعة وآمرة .

" ستكون العربة هنا خلال دقيقة ؟ أهى بادية لكما ؟ " .

التفتت فيرجينيا وراءها نحو المنزل

" كلا "

" جيد " .

فأخذ يخرج محتويات الحقيبة بسرعة . قنينة ذات غطاء ذهبى ، بيجامات من الحرير ، مجموعة متنوعة من الجوارب . إلا أنه توقف فجأة . فقد التقطت يده ما بدا أنه حزمة من الملابس الداخلية الحريرية ، فأخذ يفكها بسرعة .

صدرت عن بيل آهة تعجب ودهشة خفيفة . فلم تكن تلك الحزمة تغلف سوى مسدس ثقيل .

قالت فيرجينيا : " إننى أسمع صوت بوق السيارة " .

فأعاد ليموان محتويات الحقيبة إلى داخلها فى سرعة البرق . ولف المسدس بمنديله الحريرى ، ووضعه فى جيبه . وأغلق أقفال الحقيبة ، ثم التفت سريعا إلى بيل .

" خذ هذه . وستبقى السيدة معك . أوقف العربة ، وقل لهم إنها قد سقطت من عربة الحقائب . ولا تذكر لهم أى شىء عنى " .

اتجه بيل سريعا عبر الطريق عندما ظهرت عند المنعطف الليموزين طراز لانكستر ، وهى تقل إيزاكشتاين فأبطأ سائقها السرعة بعض الشيء . بينما كان بيل يلوح بالحقيبة تجاهه .

• قال له : " لقد سقطت عن عربة الحقائب . وعثرنا عليها صدفة " .

لمح بيل شحوب وجه رجل الأعمال للحظات وهو ينظر إليه ، قبل أن تعاود الليموزين الانطلاق به .

عادا إلى حيث ليموان ، الذى كان يقف والمسدس فى يده ، وعلى وجهه نظرة رضا وارتياح .

قال لهما : " لقد كانت محاولة استغرقت طويلا ، طويلاً جدًا . إلا أنها آتت أكلها " .

" جيد " .

فأخذ يخرج محتويات الحقيبة بسرعة قنينة ذات غطاء ذهبى ، بيجامات من الحرير ، مجموعة متنوعة من الجوارب . إلا أنه توقف فجأة . فقد التقطت يده ما بدا أنه حزمة من الملابس الداخلية الحريرية ، فأخذ يفكها بسرعة .

صدرت عن بيل آهة تعجب ودهشة خفيفة . فلم تكن تلك الحزمة تغلف سوى مسدس ثقيل .

قالت فيرجينيا : " إننى أسمع صوت بوق السيارة "

فأعاد ليموان محتويات الحقيبة إلى داخلها فى سرعة البرق . ولف المسدس بمنديله الحريرى . ووضعه فى جيبه . وأغلق أقفال الحقيبة . ثم التفت سريعا إلى بيل

" خذ هذه وستبقى السيدة معك أوقف العربة وقل لهم إنها قد سقطت من عربة الحقائب . ولا تدلى لهم أى شىء عنى " .

اتجه بيل سريعا عبر الطريق عندما ظهرت من المنعطف الليموزين طراز لانكستر ، وهى تقل إيزاكشتاين فأبطأ سائقها السرعة بعض الشىء . بينما كان بيل يلوح بالحقيبة تجاهه .

قال له : " لقد سقطت عن عربة الحقائب . وعثرت عليها صدفة " .

لمح بيل شحوب وجه رجل الأعمال للحظات وهو ينظر إليه . قبل أن تعاود الليموزين الانطلاق به .

عادا إلى حيث ليموان ، الذى كان يقف والمسدس فى يده . وعلى وجهه نظرة رضا وارتياح .

قال لهما : " لقد كانت محاولة استغرقت طويلا ، طويلا جدًا . إلا أنها آتت أكلها " .

الفصل ٢٢

الإشارة الحمراء

كان المحقق باتل يقف فى المكتبة فى ويفيرن آبى .

بينما كان جورج لوماكس جالسا أمام مكتب مكدس بالأوراق ، وهو يتميز غيظا .

بدأ باتل إجراءاته بأن سرد على مسامعه تقريرا رسميا مقتضبا . ومن بعدها صار جورج هو المتحكم فى مجريات الحوار . وارتضى باتل بأن يرد بين الحين والآخر بردود قصيرة مقتضبة على أسئلته .

على المكتب - وأمام جورج - قبعت رزمة الرسائل التى كان أنطونى قد وجدها على منضدة الزينة .

قال جورج فى سخط وهو يتناول الرزمة : " لا يمكننى فهمها على الإطلاق . إنها مكتوبة بالشفرة . أليس كذلك ؟ " .

" بالفعل يا سيد لوماكس " .

" هل قال لك إنه قد وجدها على منضدة الزينة بغرفته ؟ "

فأعاد باتل سرد كل ما قاله له أنطونى كيد كلمةً كلمة عن كيفية استعادته للرسائل .

" وجاء بها على الفور إليك ؟ معقول ـــــ معقول جدا . ولكن من الذى يمكن أن يكون قد وضعها فى غرفته ؟ " .

هز باتل رأسه .

صاح جورج فى تعجب : " ولكن من المفترض أن تعرف مثل هذه الأمور . فيبدو لى أن فى الأمر سرا لا أفهمه . وما الذى نعرفه عن هذا الرجل كيد ؟ لقد ظهر بطريقة غامضة وفى ظروف مريبة إلى أقصى حد ، ولا نعرف أى شيء عنه . أنا شخصياً لا تعنينى تصرفاته على الإطلاق . هل أجريت عنه تحريات ؟ " .

اكتفى باتل بابتسامة صبورة .

" لقد أبرقنا على الفور إلى جنوب أفريقيا ، وتأكدنا من صدق كل ما قصه علينا . فقد كان فى بولاوايو مع السيد ماكجراث فى ذات الفترة التى ذكرها لنا . وكان يعمل مع شركة رحلات تسمى كاسل قبل لقائهما " .

قال جورج : " هذا ما كان يجب أن أتوقعه . فهو شخص يصعب أن يثق فيه المرء كثيرا ، ولا يناسبه سوى نوع معين من الأعمال . إلا أن علينا أن نتخذ خطوات فورية تجاه هذه الرسائل ـــــ "

كان الرجل قد وصل بتبجحه إلى مداه .

هم المحقق باتل بفتح فمه ، إلا أن جورج سبقه بالكلام :

" لابد ألا يكون هناك أى تأخير . علينا فك شفرة هذه الرسائل دون أى إهدار للوقت . دعنى أر ، هناك رجل متخصص فى هذا المجال . من هو هذا الرجل ؟ لقد كان على صلة بالمتحف البريطانى . خبير فى الشفرات . وقد دار إحدى إداراتنا خلال الحرب . أين الآنسة أوسكار ؟ من المؤكد ستعرفه . اسمه يبدأ بـ ـــــ وين ـــــ "

قال باتل : " اسمه البروفيسور وينوود " .

" بالضبط . تذكرته الآن . علينا أن نرسل فى طلبه على الفور " .

" لقد فعلت هذا بالفعل يا سيد لوماكس منذ ساعة مضت . وسيصل إلى هنا فى قطار الثانية عشرة وعشر دقائق " .

" جميل ـــــ جميل جدًا . أحمد الله أننى ألقيت عن عاتقى هذه المسألة . علىَّ أن أكون بالبلدة اليوم . أعتقد أن بوسعك أن ترافقنى إن أردت ؟ " .

" أعتقد هذا يا سيدى " .

" ابذل جهدك يا باتل . ابذل جهدك . فأنا على عجلة من أمرى الآن " .

" سوف أفعل يا سيدى " .

" بالمناسبة ، لماذا لم يأت معك السيد إيفرسلاى ؟ " .

" كان نائما يا سيدى . فقد بقينا مستيقظين طيلة الليل كما أخبرتك " .

" صحيح . كثيراً ما كنت أبقى مستيقظا طيلة الليل أيضا . حتى أنجز أعمال ست وثلاثين ساعة فى أربع وعشرين ساعة فقط ، هذه هى مهمتى التى لا تنتهى عليك أن ترسل فى طلب السيد إيفرسلاى فوراً عندما تعود ، هلا فعلت ذلك يا باتل ؟ " .

" سأوصل إليه رسالتك يا سيدي" .

" أشكرك يا باتل . إننى أدرك تماماً أنك كنت مخطراً لوضع قدر معين من الثقة فى الرجل . ولكن ، ألا ترى أنه كان من الضرورى أن تشمل ابنة عمى السيدة ريفيل بثقتك هذه كذلك ؟ " .

" إننى أثق بها يا سيد لوماكس ، بالنظر إلى الاسم الذى وقعت به هذه الرسائل "

تمتم جورج وقد عقد حاجبيه ، ناظرا إلى تلك الرسائل : " إنها لوقاحة . إننى أتذكر ذلك ملك هيرتزوسلوفاكيا الراحل . كان رجلاً قل نظيره . إلا أنه كان ضعيف الشخصية لدرجة ملحوظة . كان أداة فى يد امرأة معدومة الضمير . هل كونت نظرية حول الطريقة التى يمكن أن تكون قد عادت بها هذه الرسائل إلى غرفة السيد كيد ؟ " .

" رأيى أن من يعجز عن إتمام أمر ما بوسيلة معينة . فإنه يجرب غيرها " .

" هلا فسرت لى ما تقصده "

" هذا المحتال ، هذا الملك فيكتور كما يسمونه ، يعلم علم اليقين الآن أن قاعة المجلس مراقبة . فكان عليه أن يترك لنا الرسائل ، ونعمل على فك شفرتها . ومن ثم نصل إلى الخبيئة . وعندها . . . يتدخل هو ! إلا أننى وليموان متحسبان لأمر كهذا " .

" لديكما خطة . أليس كذلك ؟ " .

" لا يمكن القول بأننا قد وضعنا خطة حتى الآن . ولكن لدىّ تصوراً معينا وهذا يفيد أحيانا " .

عندها قرر المحقق ان ينصرف .

لم تكن لديه نية لأن يخبر جورج بأكثر من هذا .

وفى طريق عودته التقى أنطونى . فتوقفا .

سأله أنطونى : " هل ستصطحبنى معك إلى المنزل ؟ ... سوف يكون هذا جيدا " .

" أين كنت يا سيد أنطونى ؟ " .

" عند محطة القطار . أسأل عن مواعيد القطارات "

ارتفع حاجبا المحقق باتل فى تعجب وهو يسأله

" هل تفكر فى الرحيل مجددا ؟ " .

ضحك أنطونى وهو يقول : " ليس فى الوقت الحالى بالمناسبة ، ما الذى ضايق السيد إيزاكشتاين ؟ فقد وصل إلى المحطة وأنا أهم بالانصراف . وبدا على محياه وكأن هناك من أهانه " .

" السيد إيزاكشتاين ؟ " .

" نعم "

" لست أدرى . ومن الصعب أن يتعرض مثل هذا الرجل لإهانة ـــــ فى رأيى "

" هكذا أرى . فهو من رجال الأعمال الصلدين "لكتومين " .

مال المحقق باتل فجأة إلى الأمام وهو يربت على كتف السائق . قائلا :

" هلا توقفت ؟ انتظرنى هنا " .

وقفز بسرعة من السيارة وسط دهشة أنطونى . إلا أن الأخير شاهد بعد لحظات السيد ليموان وهو يقترب ليلاقى المحقق الإنجليزى . ورأى أنه لم يتوقف إلا بإشارة من هذا الرجل

ودار بينهما حديث سريع . وبعدها عاد المحقق باتل إلى السيارة . آمرا السائق بأن ينطلق .

كانت ملامحه قد تغيرت كلية .

قال فجأة وباقتضاب : " لقد عثروا على المسدس " .

" ماذا ؟ "

كان أنطونى يحدق فيه بدهشة كبيرة

" أين ؟ " .

" فى حقيبة إيزاكشتاين " .

" أوه . مستحيل ! " .

" لا يوجد شىء اسمه المستحيل . كان علىّ أن أتذكر هذا " .

كان يقبع فى مكانه ساكنا . وهو يضرب بيده على ركبته .

" ومن الذى عثر عليه ؟ " .

هز باتل رأسه على كتفه وهو يقول :

" ليموان . يبدو أنه ذكى وذو فراسة بالفعل . كما يقولون عنه فى إدارتهم بباريس "

" ولكن ألا يقضى هذا على كل نظرياتك ؟ " .

رد المحقق باتل فى بطء : "كلا . لا يمكن أن أقول هذا . أعترف أنها كانت هى مفاجأة . إلى حد ما فى البداية . لكنها تتناسب تماما مع تصور كان قد خطر لى " .

" وما هو ؟ "

عندها قرر المحقق أن يغير الموضوع تماما

" أتساءل عما إذا كنت ستمانع فى أن تحضر لى السيد إيفرسلاى يا سيدى ؟ فمعى رسالة له من السيد لوماكس . عليه التوجه فورا إلى آبى " .

قال أنطونى والسيارة تتوقف عند البوابة الكبيرة " لا بأس . ربما لم يستيقظ من نومه بعد " .

" لا أعتقد هذا . فها هو ذا يسير تحت الأشجار بصحبة السيدة ريفيل " .

فقال أنطونى وهو يترجل من السيارة لقضاء مهمته : " بصرك حاد . أليس كذلك يا باتل ؟ "

وأبلغ بيل بتلك الرسالة . مما أصاب هذا الأخير بالسخط .

غمغم بيل لنفسه متعضا وهو يسرع الخطى نحو المنزل " تبا . لماذا لا يتركنى هذا الرجل لحالى ؟ ولماذا لا يستطيع هؤلاء المستوطنون اللعناء البقاء فى مستعمراتهم ؟ ما الذى دعاهم إلى المجيء إلى هذه البلاد . ويستولون على كل شىء جميل ؟ لقد طفح بى الكيل بالفعل "

سألت فيرجينيا فى لهفة . بينما تراقب بيل " هل سمعت بأمر المسدس ؟ "

" أخبرنى باتل بذلك أمر مريب . أليس كذلك ؟ لقد كان إيزاكشتاين يتلهف أمس على الرحيل . ولكننى ظننت أنه مصاب ببعض التوتر فحسب . فقد كان الشخص الذى كنت أراه دوما فوق مستوى الشبهات . هل يمكنك تصور الدافع الذى يجعله راغبا فى إزاحة الأمير مايكل عن طريقه ؟ " .

وافقته فيرجينيا الرأى وهى تفكر : "من المؤكد أن فى الأمر شيئا غامضا " .

فقال أنطونى فى غير اقتناع "لا أستطيع ان أبنى أى تصور منطقى فى هذه الجريمة . لطالما رأيت نفسى محققا هاويا . إلا أننى لم أنجح فى هذه القضية سوى فى أن أكشف النقاب عن شخصية المربية الفرنسية بعد كثير من العراقيل وقليل من التكاليف "

" هل كان هذا هو السبب الذى دعاك إلى الذهاب لفرنسا ؟ "

" نعم . فقد توجهت إلى ديناردى . حيث التقيت بالكونتيسة بريتيل . والتى كانت معجبة بمهارتى . وكنت أتوقع بالفعل أن تقول إنها لم تسمع من قبل بامرأة اسمها الآنسة بران . إلا أنها أخبرتنى بأنها كانت واحدة من أهم الشخصيات بمنزلها على مدار سبع سنوات . وما لم تكن تلك الكونتيسة بدورها محتالة فإن نظريتى تكون قد انهارت تماما "

هزت فيرجينيا رأسها .

" بالطبع إن مداه بريتيل فوق مستوى الشبهات . فانا عرفها جيدا . بل أعتقد أننى التقيت هذه الآنسة هناك . ولا شك أننى أتذكر وجهها جيدا . كما يعرف المرء المربيات والرفاق والأشخاص الذين يجلسون أمامه . إنه أمر سيئ . ولكننى حقا لا أنظر إليهم بتركيز . هل تفعل أنت ذلك ؟ داخل القطارات ؟ "

" فقط إذا كان الوجه ذا جمال استثنائى "

" فى تلك الحالة ـــــ " . إلا أنها قطعت كلامه لتسأله . " ما الأمر ؟ "

كان أنطونى ينظر إلى شخص خرج من بين الأشجار ليقف على مقربة منهما فى انتباه . كان ذلك الخادم البيرتزوسلوفاكى ـــــ بوريس .

قال لها : " معذرة . ولكن على أن أتحدث إلى خادمى الذى يتبعنى كالكلب الأمين " .

فأسرع الخطى إلى حيث كان يقف بوريس .

" ما خطبك ؟ ما الذى تريده منى ؟ " .

انحنى بوريس وهو يقول : " سيدى " .

" لا بأس . لا بأس . ولكن عليك ألا تتبعنى فى كل مكان هكذا . فالأمر لافت للأنظار " .

لم يرد بوريس بكلمة . ولكنه مد يده بقصاصة ورقية متسخة . كان من الواضح أنها منتزعة من خطاب . وناولها إلى أنطونى .

" ما هذه ؟ " .

لم تحمل الورقة سوى عنوان .

" لقد سقطت منه . فجلبتها إلى سيدى "

" من هذا الذى سقطت منه الورقة ؟ " .

" السيد الأجنبى " .

" ولكن لماذا أحضرتها لى ؟ " .

كان بوريس ينظر إليه نظرة لوم وتأنيب .

" حسنا . ابتعد الآن فأنا مشغول " .

فحياه بوريس ، ثم استدار على عقبيه فى حدة وانصرف . وعاد أنطونى إلى فيرجينيا . وهو يدس الورقة فى جيبه .

سألته فى فضول : "ما الذى كان يريده ؟ ولماذا تنعته بالكلب ؟ " .

فقال مجيبا عن السؤال الأخير أولا : " لأنه يتصرف كالكلب بالفعل . ولابد أنه كان فى الأصل من فصيلتهم . ثم تراجع فى اللحظة الأخيرة . لقد أحضر لى قصاصة ورق من خطاب يقول إنه سقط من السيد الأجنبى . أعتقد أنه يقصد ليموان " .

قالت فيرجينيا : " أعتقد هذا " .

" إنه يتبعنى فى كل مكان تماما كالكلب . إنه لا يقول أى شىء تقريبا . فقط يرمقنى بنظرات عينيه الواسعتين المستديرتين . إننى عاجز عن فهمه " .

" ربما كان يقصد إيزاكشتاين فمنظره هو الآخر كالأجنبى . ولا يعلم حقيقته سوى الله " .

غمغم أنطونى فى فروغ صبر . " إيزاكشتاين . من أين أتى بالله عليك ؟ "

سألته فيرجينيا على غير توقع منه : "هل تشعر بالأسف لكونك قد ورطت نفسك فى لغز كهذا ؟ " .

" الأسف ؟ كلا بالتأكيد . بل إننى أحب هذا . فقد قضيت معظم حياتى وأنا أبحث عن المتاعب . كما تعلمين . ربما كانت المتاعب هذه المرة أكبر مما توقعت لا كثر " .

فقالت فيرجينيا . وقد فوجئت بعض الشىء بنبرة كلامه الجادة على غير المعتاد : " لكنك قد نجوت من لخطر " .

" ليس تماما " .

وظلا يسيران معا لبضع دقائق وقد خيم الصمت عليهما .

بعد ذلك واصل انطونى الحديث كاسرا حاجز الصمت . " هناك بعض الناس لا يحترمون الإشارات . فالقاطرة المنظمة تبطئ من سرعتها أو تتوقف حينما ترى الإشارة حمراء . لذا فقد أكون مصابا بعمى الألوان . فحين أرى الإشارة حمراء . لا يسعنى سوى أن أزيد من سرعتى وأنطلق مهما كانت العواقب . وهو ما ينتهى بى إلى كارثة حتمية كما تعلمين . بالإضافة إلى أن هذا يتسبب فى وقوع آخرين غيرى فى المتاعب " .

كانت نبرة كلامه لا تزال على جديتها .

فقالت فيرجينيا : " أرى أن حياتك قد شهدت العديد من المخاطر . أليس كذلك ؟ " .

" كل المخاطر التى يمكنك تصورها ... عدا الزواج "

" هذا أمر مثير للسخرية " .

" بل إن الزواج . الزواج كما أتخيله . هو أكبر مغامرة يمكن للمرء أن يخوضها "

قالت فيرجينيا فى خجل : " يالها من حكمة بليغة ! " .

" هناك امرأة بعينها هى التى أرغب الزواج منها — امرأة من نوعية لم أصادفها طيلة حياتى . إلا أننى سأتساءل حينها . هل هى من سيقود حياتى . أم أننى من سأقود حياتها ؟ " .

" لو أنها تحبك ... "

" إنها العاطفة يا سيدة ريفيل . تعلمين أنها العاطفة . فالحب ليس دواء مخدرا تتناوليه كى يذهب عقلك عن كل ما يحيط بك . يمكن أن تتعاملى معه من هذا المنطلق . إلا أن هذا محزن — فمعنى الحب يمكن أن يفوق هذا بكثير . فى رأيك كيف كانت نظرة ذلك الملك وخادمته الشحاذة عن حياة الزوجية بعد عام أو عامين من زواجهما ؟ ألم تندم على أسمالها البالية وقدميها الحافيتين ؟ من المؤكد أنها فعلت . هل استفاد هو أى شىء من تخليه عن العرش من أجلها ؟ لم يفده بشىء . والمرأة لا تحترم الرجل الذى لا يحسن تسيير حياته " .

سألته فيرجينيا فى عذوبة . " وهل حدث وأن وقعت فى حب شحاذة من قبل يا سيد كيد ؟ " .

" بل حدث العكس . إلا أن المبدأ واحد فى كلتا الحالتين " .

" أليس هناك من مخرج ؟ " .

فأجاب فى تجهم . " بل هو موجود على الدوام . لقد توصلت إلى نظرية مفادها أن بوسع المرء دائما التحصل على أى شىء يريده . لو أنه دفع الثمن . أتعلمين ما هو هذا الثمن فى أغلب الأحوال ؟ إنه التنازل . يالله من أمر مريع أن يضطر المرء إلى أن يتنازل . ولكنه لا يجد أمامه سوى هذا . كلما اقترب من مرحلة منتصف العمر . وهو

ما يحدث معى الآن . فلكى أنال المرأة التى أريدها سأضطر أن يكون لى عمل منتظم " .

ضحكت فيرجينيا .

فواصل أنطونى كلامه " أتعلمين أننى فى الأصل كنت تاجرا ؟ " .

" وتخليت عن تجارتك ؟ " .

" بالفعل "

" لماذا ؟ " .

" مسألة مبدأ "

" أود ! " .

التفت إليها أنطونى فجأة وهو يقول " يا لك من امرأة غريبة ! " .

" لماذا تقول هذا ؟ " .

" لأنك قادرة على أن تمنعى نفسك من طرح الأسئلة "

" أتقول هذا لأنى لم أسألك عن نوع تجارتك ؟ " .

" تماما " .

وعادا ليسيرا فى صمت من جديد كانا قد اقتربا من المنزل . يستنشقان عن قرب الرائحة العطرة التى تفوح من حديقة الزهور .

كان أنطونى هو من قطع حبال الصمت من جديد

" إنك تدركين تماما حين يقع شخص فى هواك ، ولا أعتقد أنك تعيرينى أو تعيرى أى شخص آخر أى قدر من

الاهتمام ، ولكن أقسم لك إننى أود أن أجعلك تهتمين بى وتقعين فى حبى " .

أجابته هامسة " وهل تعتقد أنك قادر على هذا ؟ " .

" ربما أفشل . لكننى سأحاول "

سألته فجأة " هل أنت نادم على معرفتك بى ؟ "

" يا إلهى . لا إنها الإشارة الحمراء تظهر من جديد . فحينما رأيتك لأول مرة فى ذلك اليوم فى شارع بونت . أدركت أننى أمام منعطف جديد ومثير فى حياتى . فلامح وجهك أوحت لى بذلك كان محياك هو ما أسرنى . فيك سحر غريب يشمل كيانك كله هناك الكثيرات على هذه الشاكلة . لكننى لم ألتق امرأة تمتلك كل هذا القدر منه مثلك من قبل . أعتقد أنك ستتزوجين من رجل ثرى محترم . بينما سأعود أنا إلى حياة الصعلكة التى اعتدتها . لكننى سأقبلك ولو مرة قبل أن أبتعد عن حياتك ــ أقسم إنى سأفعلها " .

فقالت له فى رقة " لا يمكنك أن تفعلها الآن فذاك هو المحقق باتل يراقبنا عبر نافذة المكتبة "

نظر إليها أنطونى

وقال فى هدوء . " يا لك من شيطانة يا فيرجينيا . ولكنك عزيزة على قلبى أيضا " .

بعد ذلك لوح بيده محييا باتل

" هل ألقيت القبض على أى مجرمين هذا الصباح يا باتل ؟ " .

" ليس بعد يا سيد كيد " .

" هذا مبشر " .

تخطى باتل نافذة المكتبة فى خفة لم تتناسب مع ضخامة جسده ، وانضم إليهما داخل الشرفة .

قال لهما هامساً : " لقد أحضرت البروفيسور وينوود إلى هنا . لقد وصل للتو . وهو يعمل على فك شفرة الرسائل الآن . هل تودان رؤيته وهو يعمل ؟ " .

كانت نبرته أقرب إلى نبرة مخرج استعراضى يتحدث عن عرض لحيوان أليف . وما إن وافقاه ، حتى قادهما إلى النافذة ودعاهما إلى النظر داخل الغرفة من خلالها .

شاهدا رجلا ضئيل الحجم أحمر الشعر فى أواسط عمره ، يجلس إلى طاولة وقد تناثرت الرسائل أمامه . بينما هو مشغول بالكتابة على قطع ورقى كبير . كان يتمتم لنفسه بشيء ما فى غضب وهو يكتب ، ويمسح أنفه بحركة عصبية بين الحين والآخر . حتى ضاهى احمرار أرنبتها احمرار شعره .

إلا أنه رفع رأسه عن الورق ونظر نحوهم .

" هذا أنت يا باتل ؟ ما الذى تريده من هذه الرسائل التافهة ؟ بوسع أى طفل أن يفك شفرتها . أى طفل لم يبلغ عامين من عمره . هل تسمى هذه بالشفرة ؟ إنها واضحة للعيان يا رجل " .

قال باتل فى لطف : " كم يسعدنى هذا يا بروفيسور . إلا أننا لا نتسم بنفس قدر براعتك ، كما تعلم " .

" الأمر لا يحتاج إلى أية براعة . بل هو عمل روتينى . هل تريدنى أن أطلع على كل الرسائل ؟ سيستغرق هذا وقتاً طويلا . والمزيد من الجهد والتدقيق ، إلا أنه لا يحتاج إلى ذكاء . لقد انتهيت من الرسالة المعنونة بتشيمنيز التى ذكرت لى أنها مهمة . ويمكننى أن أصطحب معى بقية الرسائل إلى لندن وأسلمها لواحد من معاونىَ . فليس لدىَّ الوقت الكافى لها . فقد استدعيتنى وأنا وسط مهمة صعبة بمعنى الكلمة ، وعلىَّ أن أعود لاستكمالها " .

وتألقت عيناه بعض الشيء وهو يقول هذا .

فقال له باتل فى تسليم : " حسنا يا بروفيسور . أنا آسف لأننا استدعيناك لمثل هذه المهمة البسيطة . سوف أشرح الأمر للسيد لوماكس . إلا أننا كنا متعجلين على هذه الرسالة بالذات . وأعتقد أن اللورد كاترهام يتوقع منك أن تبقى حتى موعد الغداء " .

فقال البروفيسور : " أنا لا أتناول وجبة الغداء . فهى عادة سيئة . فيكفى أى عاقل صحيح البدن تناول موزة وقطعة بسكويت فى وسط النهار " .

نهض وتناول معطفه القابع على ظهر أحد المقاعد . بينما توجه باتل إلى مقدمة المنزل ، وما هى إلا دقائق حتى سمع أنطونى وفيرجينيا صوت سيارة تنطلق بعيدا .

وعاد باتل إليهما . وهو يحمل بيده الورقة التى أعطاه البروفيسور إياها .

قال لهما باتل وهو يشير إلى البروفيسور الذى رحل " هو دوما هكذا . على عجالة شديدة من أمره . إلا أنه رجل بارع فى مجاله . ها هو فحوى رسالة جلالتها . هل تودان أن تلقيا عليها نظرة ؟ " .

مدت فيرجينيا يدها تريد الورقة ، بينما وقف أنطونى إلى جانبها يقرؤها . لقد كان يذكر أن مضمون الرسالة كان طويلا ، وكان عبارة عن مزيج من العاطفة واليأس . إلا أن عبقرية البروفيسور وينوود قد حولتها إلى رسالة جادة صرفة .

" تمت العمليات بنجاح ، إلا أن س نجح فى خداعنا ونقل الجوهرة من مخبئها . إنها ليست بغرفته . فقد بحثت عنها . ووجدت المذكرة التالية والتى أعتقد أنها تشير إليها : ريتشموند . سبع للأمام . ثمان لليسار . ثلاث إلى اليمين " .

قال أنطونى : " س ؟ إنه ستيلبتيتش بالطبع . يا له من عجوز ماكر ! لقد غيّر مكانها " .

قالت فيرجينيا وهى تفكر : " ريتشموند . ترى هل تم إخفاء تلك الماسة فى مكان ما فى ريتشموند ؟ " .

وافقها أنطونى الرأى قائلا : " إنها المكان المفضل للأسر الملكية " .

إلا أن باتل هز رأسه فى غير اقتناع .

" ما زلت أعتقد أنها إشارة إلى شىء ما فى هذا المنزل " .

عندها صاحت فيرجينيا فجأة " الآن عرفت " .

فالتفت كلاهما إليها فى ترقب .

" لوحة هولبين فى قاعة المجلس . لقد كانا ينقران على الجدار أسفلها تماما وهى لوحة لإيرل ريتشموند ! " .

فصاح باتل وهو يضرب بيده على ساقه : " لقد توصلت إلى المكان " .

ثم تابع بنبرة لم تكن معتادة منه أبدا من قبل

" سنبدأ من هناك . من عند اللوحة . وهذان المحتالان لا يعلمان أكثر مما نعلمه عنها والتمثالان المدرعان يقفان أسفل اللوحة مباشرة . فخطر لهما أن الماسة مخبأة فى واحد منهما ربما كانت المقاييس بالبوصات . ولما تبين لهما خطأ ذلك . فكرا فى احتمال وجود ممر أو سلم سرى . أو جدار منزلق . هل لديك خلفية عن أى من هذه الأشياء يا سيدة ريفيل ؟ " .

هزت فيرجينيا رأسها فى تأكيد .

" هناك فجوة سرية . وممر سرى واحد على الأقل وأعتقد أننى قد رأيتهما ذات مرة . إلا أننى لا أتذكر

الكثير عنهما الآن . ها قد أتت بندل وهى تعرف أكثر منى " .

كانت بندل قادمة تسرع الخطى عبر الشرفة متجهة نحوهم .

" إننى ذاهبة إلى البلدة بعد الغداء هل يريد أحد منكم أن أقله معى ؟ ألا تود المجيء يا سيد كيد ؟ سوف نعود بحلول موعد العشاء " .

فقال أنطونى : " كلا . أشكرك . فأنا سعيد بوجودى هنا ومشغول " .

فقالت بندل : "يبدو أن الرجل يخشى من أسلوب قيادتى للسيارة . أو أنه يخشى فتنتى ! فأى منهما تخشى ؟ " .

" الثانية . وعلى الدوام " .

فقالت فيرجينيا : " عزيزتى بندل . هل هناك من ممر سرى يفضى إلى خارج قاعة المجلس ؟ "

" بالفعل إلا أنه عتيق مهجور . يفترض أنه يمتد من تشيمنيز وحتى ويفيرن آبى . هكذا كان حاله منذ زمن بعيد . إلا أنه صار مسدودا تماما الآن . ولم يعد من الممكن السير فيه إلا لمائة ياردة من هذه الجهة . لكن الآخر الموجود فى القاعة البيضاء بالطابق العلوى أكثر جمالا . كما أن الفجوة السرية لا بأس بها " .

علقت فيرجينيا بقولها . " إننا لا ننظر إليه من وجهة نظر فنية . إنه عمل . كيف تصلين إلى الممر الخاص بقاعة بغرفة المجلس ؟ " .

" عن طريق لوح ذى مفصلة . يمكننى أن أريكم إياه بعد الغداء إن رغبتم "

فقال المحقق باتل . " أشكرك . ما رأيك فى أن يتم هذا عند الثانية والنصف ؟ "

نظرت بندل إليه وقد رفعت حاجبها فى دهشة

تساءلت : "هل لهذا صلة بالمحتال ؟ "

عندها ظهر تريدويل عند الشرفة معلنا

" الغداء جاهز يا سيدتى "

الفصل ٢٣

مواجهة فى الحديقة

التقى الجميع عند الساعة الثانية والنصف فى قاعة المجلس . بندل وفيرجينيا والمحقق باتل وليموان وأنطونى كيد .

بدأ باتل الكلام قائلا . " لا جدوى من الانتظار حتى وصول السيد لوماكس . نحن هنا بصدد أمر لا يحتمل أى إبطاء " .

فقالت بندل : " لو كان تصورك أن الأمير ميكل قد لقى مصرعه على يد شخص اتى من هذا الطريق . فأنت مخطيء . فهذا غير ممكن . فالممر مسدود من الناحية الأخرى تماما " .

رد ليموان بسرعة : " لا جدال حول هذا الأمر يا سيدتى . إن بحثنا مختلف تماما "

بادرته بندل . " إنكم تبحثون عن شيء فيه ، وليس عن خلفيته التاريخية . أليس كذلك ؟ " .

وبدا ليموان متحيرا .

فقالت لها فيرجينيا مشجعة : " فسرى لنا ما تريدين قوله يا بندل . بوسعك هذا إذا حاولت " .

" أقصد تلك المأساة التاريخية التى تعود لأحد العصور القديمة " .

فسألها باتل : " من أخبرك بهذا يا سيدة إيلين ؟ " .

" لطالما كنت أعرف تلك القصة . أخبرنى بها واحد من الخدم وقتما كنت فى الثانية عشرة من عمرى " .

فقال المراقب فى دهشة : " أحد الخدم . يا إلهى ! كم كنت أود لو كان السيد لوماكس معنا ليسمع هذا ! " .

سألته بندل : " هل هذا واحد من أسرار جورج ؟ يا له من أمر مثير للسخرية ! لم أكن أظن أنها قصة حقيقية لقد كان جورج أحمق دائماً ـ لابد أن يعلم أن الخدم يعرفون كل شيء " .

توجهت صوب اللوحة . ولامست زنبركا كان مخبئاً فى مكان ما فى أحد جوانبه . وعلى الفور سمع الجميع صوت صرير . ودار جزء من اللوح إلى الداخل . كاشفاً عن فتحة معتمة .

صاحت بندل بصوت مسرحى : " تفضلوا بالدخول أيتها السيدات والسادة . هيا ... هيا ... هيا . إلى أفضل عروض الموسم . فقط ستة بنسات " .

كان باتل وليموان يحملان كشافات . وكانا أول من دلفا إلى داخل الفتحة المعتمة . بينما تبعهما الباقون .

علق باتل قائلاً : " الهواء لطيف ونقى طبيعية . لابد أن هناك مصدر تهوية فى مكان ما " .

كان باتل يسير فى المقدمة . كانت الأرضية مرصوفة بأحجار غير مصقولة . إلا أن الجدران كانت من القرميد . وكما قالت بندل ، فإن الممر يمتد مسافة مائة ياردة تقريباً . وبعدها ينسد بكومة من بقايا مواد البناء . واقتنع باتل بعدم وجود أية فرصة للمضى قدماً . فالتفت وهو يقول :

"علينا أن نعود أدراجنا . إذا سمحتم . فقد كنت أود فقط أن أتفحص المكان إذا جاز التعبير " .

وما هى إلا دقائق حتى عادوا إلى المدخل من جديد .

قال باتل : " لنبدأ من هنا . سبع للأمام . وثمان إلى اليسار . وثلاث إلى اليمين . لنجرب الأولى باعتبارها خطوات " .

فأتبع القول بالفعل . وسار سبع خطوات بعناية . ثم انحنى ليتفحص الأرض .

" أرى أن التخمين صحيح . فقد كانت هنا علامة بالطباشير فى وقت ما . والآن ، ثمان إلى اليسار . وهى ليست خطوات هذه المرة . فالممر ليس عريضاً " .

فاقترح أنطونى : " لنقل إنه عدد القراميد "

" معك حق يا سيد كيد . ثمانية قراميد من أسفل أو من أعلى على يسارنا لنبدأ من الأسفل أولاً فهذا أسهل " .

وأحصى ثمانية قراميد .

" والآن ثلاثة على اليمين . واحد ... اثنان ثلاث ... ما هذا ؟ " .

قالت بندل : " لا أحتمل كل هذا القدر من الإثارة . إننى على وشك أن أصرخ . ما هذا ؟ " .

كان المحقق باتل يعمل طرف سكينه فى القرميد وأخذ يتفحصه بعينيه عن قرب ، وسرعان ما تبين لعينه الخبيرة أن هناك قرميدا بعينه مختلف عن بقية القراميد وما هى إلا دقيقة أو دقيقتان . حتى تمكن من خلعه من مكانه . ومن ورائه ظهرت لهم كوة صغيرة معتمة . فمد باتل يده داخلها .

بينما راقبه الباقون وهم فى غاية اللهفة .

سحب باتل يده من جديد .

كان يتمتم بعبارات هى مزيج من الدهشة والغضب .

التف حوله الباقون وهم يحدقون فى ثلاثة أشياء كانت فى يده . مرت لحظة بدا لهم فيها ان أعينهم تخدعهم .

فكانت بيده بطاقة مزدانة بأزرار صغيرة من اللؤلؤ . وقطعة نسيج خشنة . وقصاصة ورقية مدون عليها صفوف من حرف واحد هو حرف E !

علق باتل ساخطا : "سحقا لى . ما معنى هذا ؟ " .

فتمتم الفرنسى بالفرنسية : " يا إلهى . نحن أمام لغز جديد ! " .

وصاحت فيرجينيا فى دهشة . " ولكن ما معنى كل هذا ؟ " .

فقال أنطونى : " معناه ؟ ليس لذلك سوى معنى واحد . لابد أن الكونت ستيلبتيتش الراحل كان يمتلك حس دعابة قويا ! وهذا مثال على روحه الدعابية . إلا أننى لا أجد أية دعابة فيما نحن أمامه الآن ! " .

فسأله المحقق باتل : "هلا فسرت لنا شيئا مما تعنيه يا سيدى ؟ " .

" بالتأكيد . كانت هذه دعابة صغيرة من دعابات الكونت . فلابد أنه قد شك فى أن تكون مذكرته قد وصلت لأحد ليقرأها . وحينما أتى المحتالان كى يستعيدا الجوهرة . كانا سيجدان بدلا من ذلك هذا اللغز بالغ الحذق . هو نوع من الألغاز التى تتطلب فراسة وحسن تخمين " .

" فلهذه الأشياء معنى إذن ؟ " .

" لا شك فى هذا . فلو كان الكونت لا يقصد سوى السخرية ، لكان قد ترك لهم إعلانا عليه كلمة " مباع " أو صورة حمار . أو شيء ساخر من هذا القبيل " .

تمتم باتل فى غير اقتناع : " قطعة نسيج . وأحرف E كبيرة ، والكثير من الأزرار " .

غمغم ليموان غاضبا : " هذا محير " .

بينما قال أنطونى : " الشفرة رقم ٢ . ترى هل سيكون للبروفيسور وينوود أى نفع فى هذا ؟ " .

سأل الفرنسى بندل : " متى كانت آخر مرة استعمل فيها هذا الممر يا سيدتى ؟ "

أخذت بندل تفكر فى السؤال

" لا أعتقد أن أحدا قد دخل إلى هنا منذ عامين . بينما نعرض تلك الفجوة للأمريكيين والسياح عموما " .

تمتم الفرنسى : " أمر مثير للفضول "

" لماذا ؟ "

انحنى ليموان ليلتقط شيئا ما من فوق الأرضية .

قال : " هذا هو المثير للفضول . فعود الثقاب هذا حديث . ولا يمكن أن يكون قد سقط هنا منذ عامين — ولا حتى يومين "

ثم سألهم : " هل أسقط أحدكم أيتها السيدات والسادة هذا العود ولو سهوا ؟ " .

ردوا عليه جميعهم بالنفى

فقال باتل : " حسنا إذن . لقد رأينا كل ما يمكننا رؤيته هنا . فأرى أن نخرج من هذا المكان "

وهكذا خرج الجميع من الممر السرى . كان ذلك الجزء من الجدار قد انغلق . إلا أن بندل بينت لهم كيف يتم فتحه من الداخل . وفتحت المزلاج . لينفتح فى هدوء . واندفعت بسرعة عبر الفتحة . لتدلف إلى قاعة المجلس بصوت مدو

" تبا " . نهض اللورد كاترهام فزعا من فوق المقعد حيث كان النعاس قد غلبه وهو يجلس عليه

فقالت بندل : " يا لوالدى العجوز المسكين . هل أفزعتك ؟ "

" لقد عجزت عن أن أفهم سبب عدم هجوع الناس بعد تناول الغداء . لقد صارت القيلولة عادة من الماضى فيما يبدو لى . ويعلم الله مدى اتساع تشيمنيز . ومع هذا فإنى لا أستطيع أن أعثر على غرفة واحدة يمكننى أن أنعم فيها ببعض الهدوء دون أن يضايقنى أحد . يا ربى ، وكم عدد من كانوا هناك ؟ يذكرنى هذا بعروض البانتومايم التى اعتدت الذهاب إليها وأنا صبى . حيث كان عشرات الشياطين يخرجون من أبواب مسحورة " .

جاوبته فيرجينيا ، وهى تقترب منه وتمسح بيدها على رأسه : " لا تغضب . فقد كنا نستكشف ممرات سرية . هذا كل شىء "

تذمر اللورد وهو لم يستعد رباطة جأشه بعد . " لابد أن شعبية تلك الممرات السرية فى ازدياد هذه الأيام . فقد كان على أن أريها جميعا لذلك الشخص المسمى فيش طيلة هذا الصباح ! "

بادره باتل قائلا : " متى كان هذا بالتحديد ؟ "

" قبيل الغداء . يبدو لى أنه قد سمع بالممر هنا . فرافقته ليراها . ثم رافقته إلى القاعة البيضاء . وانتهى بنا المطاف عند فجوة الكاهن كما نسميها . لكنى لاحظت حينئذ أن حماسه قد فتر . وبدا أن الملل قد اعتراه إلى أبعد

الحدود . لكننى أقنعنه بأن يواصل المشاهدة " . كان اللورد كاترهام يضحك بينه وبين نفسه وهو يتذكر .

وضع أنطونى يده على ذراع ليموان .

قال فى لطف : " تعال معى إلى الخارج . أود أن أتحدث معك " .

وخرجا معا عبر النافذة . وحينما صارا على مسافة كافية من المنزل . أخرج أنطونى من جيبه القصاصة الورقية التى كان بوريس قد أعطاها له هذا الصباح

" انظر لهذه . هل انت من أسقطها ؟ "

تناولها ليموان وأخذ يتفحصها بشيء من الاهتمام

" كلا . فلم أرها من قبل . لماذا تسألنى ؟ "

" هل أنت متأكد ؟ "

" بالتأكيد يا سيدى "

" هذا غريب بالفعل " .

وكرر على مسامع ليموان ما كان بوريس قد ذكره له بينما أنصت إليه الآخر فى اهتمام

" كلا . لست أنا من أسقطها . تقول إنه قد وجدها وسط تلك الأشجار ؟ "

" أعتقد هذا . إلا أنه لم يقل هذا يقينا " .

" ربما سقطت من حقيبة السيد إيزاكشتاين . عليك أن تسأل بوريس من جديد" . ثم أضاف بعد لحظات وهو يناول الورقة لأنطونى : "ما الذى تعرفه عن بوريس هذا ؟ "

هز أنطونى كتفيه وهو يقول

" عرفت أنه كان الخادم الأمين للأمير الراحل "

" ربما كان هذا صحيحا . ولكن عليك أن تعمل على التحقق من هذا . عليك أن تسأل عنه من يعرفه . كالبارون لولوبريتجزيل مثلا . ربما لم يكن هذا الرجل خادمه سوى من وقت قريب . وبالنسبة لى . فأعتقد أنه صادق . ولكن من يعلم ؟ فذلك الملك فيكتور قادر على التنكر فى شخصية خادم أمين وبكل سهولة " .

" هل تعتقد حقا أن ـــــ ؟ "

قاطعه ليموان قائلا

" سأصارحك بشيء . إننى شديد الاهتمام بالملك فيكتور . حتى إننى صرت أراه فى كل شيء . بل إننى أسأل نفسى هذه اللحظة ـ هل هذا الرجل الذى أمامى وأتحدث إليه . هذا السيد كيد . هو نفسه الملك فيكتور ؟ "

فقال أنطونى : " يا إلهى . لقد بلغ الأمر معك إلى منتهاه " .

" ما الذى يدعونى إلى الاهتمام بالعثور على الماسة ؟ لاكتشاف قاتل الأمير مايكل ؟ لقد تركت هذا الأمر لزميلى فى سكوتلاند يارد . فعمله يقتضى هذا . أما أنا فجئت الى إنجلترا لغرض وحيد . ألا وهو أن ألقى القبض على الملك فيكتور متلبسا . ولا شيء يهمنى سوى هذا "

فسأله أنطونى وهو يشعل سيجارة : " أتعتقد أنك ستنجح فى هذا ؟ " .

فقال ليموان فى يأس مفاجيء : " ومن أين لى أن أعلم هذا ؟ " .

" هممم " .

وعادا أدراجهما إلى الشرفة ، بينما وقف المحقق باتل بالقرب من النافذة الفرنسية ساكنا .

فقال أنطونى : " انظر إلى صديقنا العجوز المسكين باتل ، هلم بنا نرفه عنه ولو قليلا " . وسكت لحظات . قبل أن يقول : " أتدرى أن لك أطوارا غريبة فى بعض الأمور يا ليموان ؟ "

" وما هى يا سيد كيد ؟ "

" لو كنت فى مكانك ورأيت تلك القصاصة . لكان على أن أدون ذلك العنوان الذى أريته إياك . قد يكون غير ذى أهمية ـ وهو الأمر الواضح لأى شخص ـ ولكنه قد يكون غاية فى الأهمية أيضا "

حدق فيه ليموان للحظات . ثم تبسم قليلا ، وهو يجذب طرف الكم الأيسر لقميصه الذى يرتديه أسفل معطفه . كان مدونا عليه تلك الكلمات : " هرست مير . طريق لانجلى . دوفر " .

" أعتذر لك . أعتذر لك بشدة "

وعاد ليلحق بالمحقق باتل .

" تبدو منهوما جدا يا باتل "

" هناك الكثير مما يشغل بالى يا سيد كيد " .

" بالفعل ، هذا واضح " .

" لا يوجد اى ترابط بين كل الأمور . لا يوجد أى ترابط على الإطلاق "

قال أنطونى فى تعاطف : " هذا أمر مجهد . لا تهتم يا باتل . فما زال بوسعك دائما أن تلقى القبض على حال وصلت الأمور إلى أسوأ ما يمكن . فلا تيأس أن لديك آثار أقدامى " .

إلا أن المحقق لم يبتسم .

سأله : " هل لديك عداوات هنا يا سيد كيد ؟ "

فقال أنطونى ساخرا : " أعتقد أن الخادم الثالث يكرهنى . فهو يبذل وسعه كى ينسى أن يحضر لى ما أختاره من خضراوات . لماذا تسأل هذا السؤال ؟ "

فقال المحقق باتل : " وصلتنى رسائل مجهولة الهوية . أو بالأحرى رسالة مجهولة الهوية "

" تتعلق بى أنا ؟ "

لم يجبه باتل ، بل أخرج من جيبه ورقة مطوية من مفكرة . وناولها لأنطونى . كان عليها كلمات دونت بخط يد سيئ :

انتبه للسيد كيد . فهو ليس كما يبدو .

أعادها إليه أنطونى وهو يضحك

" أهذا هو كل شيء ؟ لا تبتئس يا باتل . فأنا ملك فى التنكر . كما تعلم "

ودلف إلى المنزل . يصفر صفيرا منغوما وهو يسير . وبينما كان يدلف إلى غرفة نومه ويغلق الباب من خلفه . تغيرت ملامح وجهه ، حيث صارت أشد صرامة . جلس على حافة الفراش وأطال النظر إلى أرضية الغرفة .

قال لنفسه : " إن الأمور تزداد خطورة . لابد من فعل شيء حيال هذا . الموقف صعب ـــــ "

وجلس فى مكانه للحظات ، قبل أن يتوجه صوب النافذة وظل لدقيقة أو دقيقتين ينظر إلى لا شيء ، ثم تركزت أنظاره فجأة على بقعة بعينها ، فبش وجهه بعض الشيء .

" بالطبع . إنها حديقة الورد ! هى بالفعل ! حديقة الورد " .

سارع بهبوط الدرج مرة أخرى ، وخرج نحو الحديقة عبر باب جانبى . اقترب من حديقة الورد من طريق دائرى كان لها بوابة صغيرة عند كل طرف فدخلها من البوابة الأبعد . وسار نحو الساعة الشمسية التى كانت قابعة فوق ربوة عالية بوسط الحديقة تماما .

وما إن وصلها أنطونى ، حتى وقف بلا حراك ينظر إلى شخص آخر كان يقف بدوره عند الحديقة . وكان مندهشا لرؤيته بنفس القدر .

قال له أنطونى فى هدوء : " لم أكن أعلم أنك مهتم بالورد يا سيد فيش "

فقال السيد فيش : " بل أنا شديد الاهتمام بالورد يا سيدى "

وأخذا ينظران إلى بعضهما البعض فى حذر . وكأنهما خصمان يدرس كل منهما قوة الآخر .

قال أنطونى : " أنا مهتم بها أيضا " .

" صحيح ؟ "

فقال أنطونى فى توجس : " بل أنا شغوف بها "

بدت ابتسامة بسيطة جدا على وجه السيد فيش . وابتسم أنطونى فى ذات الوقت . فخفت درجة التوتر المخيمة على الموقف بعض الشيء .

قال السيد فيش وهو ينحنى ليشير إلى واحدة بعينها : " انظر إلى هذا الجمال الآن . أعتقد أن اسمها مدام آبيل شاتينداى . هى بالفعل كذلك كانت هذه الوردة البيضاء تعرف فى فترة ما قبل الحرب باسم فراو كارل دروسكى لكن أعتقد أنهم غيروا اسمها ربما بسبب الحساسية السياسية القائمة . إلا أن هذا ينم عن وطنية حقيقية فالمسميات الفرنسية هى الأكثر شعبية . هل أنت مهتم بالورود الحمراء يا سيد كيد ؟ ها هى وردة قرمزية بهية ـــــ "

إلا أن بندل التى كانت تطل من نافذة بالطابق الأول . قطعت استرسال نبرة كلامه المتشدقة البطيئة .

" هل تود أن ترافقنى إلى البلدة يا سيد فيش ؟ فأنا ذاهبة الآن " .

" أشكرك يا سيدة إيلين . لكننى سعيد جدا هنا " .

" وأنت يا سيد كيد . ألم تغير رأيك ؟ "

فضحك أنطونى وهو يهز رأسه رافضا . فانصرفت بندل .

بينما قال أنطونى وهو يتثاءب فى قوة . " إن النعاس يغالبنى إنها قيلولة ما بعد الغداء ! " . ثم أخرج سيجارة وهو يضيف . " أمعك ثقاب ؟ "

ناوله السيد فيش علبة ثقاب فأشعل أنطونى عودا منها . ثم أعادها إليه شاكرا .

قال " الورود رائعة إلا أننى لا أشعر برغبة خاصة فى التأمل فى جمالها هذه الظهيرة " .

وأومأ برأسه وهو يبتسم ابتسامة ودودة .

عندها سمعا صوتا يصم الآذان . كان آتيا من عند مدخل المنزل .

فعلق أنطونى بقوله : " إن محرك سيارتها فى غاية القوة ها هى تنطلق " .

وشاهدا السيارة وهى تنطلق فى سرعة عبر طريق السيارات الطويل

تثاءب أنطونى من جديد . وهو يسرع الخطى نحو المنزل .

مر أنطونى من الباب وما إن صار بالداخل . حتى تبدل حاله كلية . فقد أسرع الخطى نحو بهو المنزل . ومنه عبر واحدة من النوافذ الطويلة عند الجانب الآخر منه . ثم عبر المتنزه . كان يعلم أن على بندل أن تنعطف بشدة عند البوابات . ومنها إلى الطريق المؤدى إلى القرية .

أخذ أنطونى يركض فى سرعة كبيرة . كان يسابق الزمن قبل أى شىء آخر . ووصل سور المتنزه فى نفس اللحظة التى سمع فيها صوت محرك السيارة بالخارج . فقفز بنفسه أعلى السور . ومنه إلى الطريق

وأخذ يصيح فى قوة مناديا إياها " هاااى ! "

انحرفت بندل بالسيارة فى قوة وسط الطريق وقد تملكتها الدهشة . ونجحت فى التوقف بدون أى حوادث . وركض أنطونى وراء السيارة . وفتح الباب . وقفز فى سرعة إلى جوار بندل .

" إنى ذاهب معك إلى لندن . كنت عازما على هذا منذ البداية " .

فقالت بندل " يا لك من شخص غير عادى ! وما هذا الشىء الذى بيدك ؟ "

" مجرد عود ثقاب "

كان يحدق فيه متأملا إياه كان وردى اللون . ورأسه أصفر بعد ذلك ألقى بسيجارته التى لم يكن قد أشعلها من الأصل . ووضع عود الثقاب بكل حرص فى جيبه

الفصل ٢٤

منزل دوفر

قالت بندل بعد دقيقة أو دقيقتين " اعتقد انك لن تمانع لو أنى قدت السيارة بسرعة أكبر ؟ فلقد ضجرت " .

كان أنطونى يعتقد انهما ينطلقان بالسيارة بسرعة قصوى بالفعل . إلا أنه سرعان ما تيقن من قدرة بندل على أن تخرج من سيارتها أفضل ما فى قدراتها .

قالت بندل . وهى تبطئ من سرعتها قليلا وهى تعبر بالسيارة فى إحدى القرى : " يخاف البعض من أسلوبى فى قيادة السيارات . ومنهم والدى المسكين فلا شىء يمكن أن يغريه على مرافقتى فى أى مشوار أقوم به بهذه السيارة العتيقة "

التمس أنطونى العذر للورد كاترهام فى سره ، فلا يمكن لرجل عصبى فى منتصف العمر مثله أن يجد أى تسلية أو متعة فى الركوب معها وهى تنطلق بمثل هذه السرعة .

تابعت بندل كلامها فى استحسان ، وهى تنعطف بسيارتها عند إحدى النواصى بأقصى سرعة ، حتى أن إطارين فقط كانا كل ما يلامس أرض الطريق " إلا أنك لا تبدو عصبيا تماما " .

أجابها أنطونى فى بطء " إنه تدريب جيد لى كما ترين " . ثم أضاف بعد تفكير : " والحقيقة أننى أيضا فى عجلة من أمرى" .

فسألته برقة : " أتود أن أزيد السرعة قليلا ؟ " .

فسارع بالرد فى هلع : " كلا بالتأكيد فنحن بالفعل نكاد نتعدى سرعة الخمسين "

قالت بندل بعد أن ضغطت عدة مرات على بوق السيارة ، لينطلق صوت أصم آذان كل من كان بالجوار . " إننى أتحرق شوقا لمعرفة السبب الذى دفعك إلى أن تغادر فجأة هكذا . لكننى أعتقد أننى لا يجب أن أسألك فلا أعتقد أنك هارب من العدالة . أليس كذلك ؟ " .

" لست متيقنا من هذا . لكننى سأعرف قريبا " .

فقالت بندل وهى تفكر : " تبين لى أننى قد أسأت تقدير مهارة رجل سكوتلاند يارد ذاك "

" هو بالفعل رجل قدير " .

" أنصحك بالانخراط فى السلك الدبلوماسى ، فمن الصعب أن يستخرج منك المرء الكثير من المعلومات "

" مع أنى أرى نفسى ثرثارا "

" أوه ! لا تقل لى إنك متآمر مع الآنسة بران " .

رد أنطونى فى حماسة : " لست مذنبا ! "

خيم الصمت عليهما لبضع دقائق ، كانت بندل خلالها مهتمة بتخطى ثلاث سيارات كانت أمامها على الطريق . ثم سألته بغتة :

" منذ متى وأنت تعرف فيرجينيا ؟ " .

أجابها فى صدق واضح : " هذا سؤال يصعب الإجابة عنه . فأنا لم ألتقها كثيرا فى الواقع ، ومع هذا يبدو لى وكأنى أعرفها منذ أمد بعيد "

أومأت بندل برأسها ثم علقت فجأة :

" هى إنسانة ذكية وماحة على الرغم من أن أغلب حديثها هراء . إلا اننى لا أشك فى رجاحة عقلها فقد أبلت بلاء حسنا فى هيرتزوسلوفاكيا ، ولو كان زوجها تيم ريفيل قد عاش . لكان الآن يشغل واحدا من المناصب المهمة ـ والفضل كان سيرجع إليها . فقد كانت تساعده بكل طاقتها . وفعلت كل شيء لأجله ـ وأنا أعلم السبب " .

قال أنطونى وهو ينظر إلى الطريق أمامه " لأنها كانت تحبه ؟ " .

" كلا . بل لكونها لم تحبه ألم تدرك هذا بعد ؟ لم تكن تحبه ـ لم تحبه أبدا . لهذا كانت تفعل كل هذا كنوع من التعويض هذا هو ملخص شخصية فيرجينيا

ولكن إياك أن تخطىء فهم شخصيتها بعدما عرفته عنها . والمؤكد أنها لم تكن أبدا تحب تيم ريفيل " .

التفت إليها قائلا : "يبدو لى أنك متيقنة جدا من كلامك " .

كانت يدا بندل الصغيرتان تقبضان بشدة على مقود السيارة . وذقنها بارز إلى الخارج دليل على التصميم :

" أعلم عنها القليل . فقد كنت صبية وقتما تزوجت هى . إلا أننى سمعت عنها القليل . ومع تعاملى معها صرت قادرة على أن أربط بين كل ما عرفت بسهولة كافية . فقد كان تيم ريفيل مخدوعا فى فيرجينيا ـ كان أيرلنديا . كما تعرف . ويتمتع بجاذبيه قصوى وعبقرية فى التعبير عن نفسه ولفت الأنظار إليه . بينما كانت فيرجينيا فتاة فى الثامنة عشرة . لم تكن تذهب إلى أى مكان إلا ووجدته أمامها فى حالة يأس مزرية ، كان يقسم لها بأنه سينتحر أو يدمن الخمر لو رفضت الزواج منه والفتيات يصدقن مثل هذه الأمور ـ أو هذا ما كن عليه فيما مضى ـ فقد تقدمن كثيرا خلال السنوات الثمانى الأخيرة تركت فيرجينيا نفسها لتيار التعاطف هذا . وتزوجته ـ فكانت ملاكا يرعاه على الدوام . لو كانت قد أحبته حقا لما تصرفت معه بهذه الملانكية . فهناك الكثير من الشر كامن داخلها . إلا اننى متيقنة من أمر بعينه ـ وهو أنها مستمتعة بحريتها الآن وسيكون من الصعب على أحد أن يقنعها بالتخلى عن هذه الحرية " .

سألها أنطونى فى توجس : "لماذا تخبريننى بكل هذا ؟ " .

" من الممتع أن يعرف المرء شخصية من حوله ، أليس كذلك ؟ وهذا لا يتعلق بكل الناس بالتأكيد "

فأقر قائلا " كنت بحاجة إلى معرفة مثل هذه المعلومات بالفعل "

" وأنت لم تكن تعرف أى شىء من قبل عن فيرجينيا . ولكن يمكنك أن تثق بى وبنصائحى . هى إنسانة ودودة . بل إن حتى النساء يحببنها لكونها ليست بتلك المرأة شرسة الطباع " . ثم أنهت حديثها بلهجة بدت غامضة بعض الشىء : " وعلى المرء أن يتحلى بالروح الرياضية كذلك " .

فأجابها مؤيدا : " أوه بالتأكيد " ـ ولكنه كان لايزال مندهشا . فلم يكن يدرى السبب وراء كل هذه المعلومات التى تطوعت بندل بتقديمها له . إلا أنه لم ينكر أن هذا قد أسعده .

قالت بندل وهى تتنهد : "ها قد وصلنا إلى خط الترام أعتقد أن على توخى الحرص فى قيادتى منذ هذه اللحظة " .

" وأنا كذلك " .

إلا أنه وجد أن من الصعب أن تتماشى وجهة نظره عن القيادة الحريصة مع وجهة نظرها عنها . كنا قد اجتزنا ضواحى المدينة ، ووصلا بالفعل إلى شارع أكسفورد

فقالت وهى ترمق ساعة يدها " لم تكن بالرحلة السيئة ، أليس كذلك ؟ " .

وافقها أنطونى الرأى فى حماس .

" إلى أين تريدنى أن أوصلك ؟ " .

" أنزليني فى أى مكان . إلى أين أنت ذاهبة ؟ "

" سأعبر جسر نايتس " .

" حسنا . وأنا سأنزل عند ناصية الهايد بارك "

فقالت له وهى تقترب من المكان الذى ذكره : " إلى أن نلتقى . وماذا عن رحلة الإياب ؟ " .

" سأعرف طريقى إلى العودة بنفسى . أشكرك " .

تمتمت بندل لنفسها . " يبدو أننى قد أرعبته "

" لن أنصح أحدا بان يجلس إلى جوارك وأنت تقودين السيارة ، وخاصة السيدات العجائز العصبيات إذا أردن تقوية أعصابهن . أما أنا فقد استمتعت بهذه الرحلة كانت آخر مرة راودنى مثل هذا الإحساس بالخطر حينما كنت أركض بأقصى سرعة هربا من فظيع من الأفيال البرية " .

" أعتقد أن فى هذا ظلما جائرا . إننى حتى لم أرتطم بأى شىء اليوم " .

فأجاب بذكاء وحدة : " إذن فأنا آسف لكونى كنت سببا فى ألا تنطلقى كما تريدين فى هذه الرحلة " .

قالت بندل : " أما أنا فلا أعتقد أن الرجال على هذا القدر الذى يدعونه من الشجاعة " .

فقال أنطونى : " تلك عبارة قاسية . وإنى لأنسحب بكل انهزام " فأومأت له بندل برأسها وهى تنطلق بسيارتها مبتعدة بينما أوقف أنطونى سيارة أجرة . وهو يقول لقائدها بعد أن دلف إلى الداخل " إلى محطة فيكتوريا " .

لما وصل إلى هناك ناول السائق أجرته . ثم توجه يسأل عن أول قطار متجه إلى دوفر . إلا أنه اكتشف أن قطارا متوجها إلى هناك كان قد قام من المحطة منذ قليل

وجد أن عليه الانتظار ما يزيد على الساعة . فأخذ يجول جيئة وذهابا وهو يعقد حاجبيه . وأخذ يهز رأسه بين الحين والآخر فى نفاد صبر

وصل أنطونى إلى دوفر أخيرا بعد رحلة خلت من أى احداث مثيرة . فسارع بالخروج من المحطة . إلا أنه عاد مرة أخرى إليها . وكأنما تذكر امرا ما . ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة . وهو يسأل أحدهم عن عنوان بعينه .. هرست مير . طريق لانجلى .

كان الطريق المنشود طويلا . يمتد يمين البلدة وحسبما شرح له ذلك الشخص - وكان واحدا من الحمالين بالمحطة - كان هرست مير آخر منزل على الطريق فأخذ أنطونى يسير فى طريقه وهو مجهد فى اطراد . وعادت تلك التقطيبة بين حاجبيه . مع أنه كان يشعر بشىء من الجذل يتولد داخله . كما هو حاله كلما اقترب منه خطر .

كان المنزل ، وكما أخبره الحمال ، آخر منزل فى طريق لانجلى . كان يبدو شامخا وسط أراض تتبعه . إلا أن عدم الاعتناء باد عليها . حدس أنطونى أن المكان مهجور منذ سنوات . ولما دفع البوابة الحديدية الكبيرة ، صدر عن مفصلاتها صوت صرير يقشعر له البدن ، بينما لاحظ هو أن الاسم المنقوش على لافتة البوابة قد أزيل فى معظمه .

فتمتم لنفسه قائلا : " بقعة منعزلة . واختيار مثالى " .

تردد أنطونى لدقيقة أو دقيقتين . وهو ينظر نظرة سريعة إلى الطريق الممتد - والذى خلا من كل شيء - ثم تسلل عبر البوابة إلى طريق السيارات فى هدوء . وسار قليلا عبر الطريق الذى طغت عليه الحشائش . ثم وقف يسترق السمع . كان لا يزال بعيدا عن المنزل . فلم يمكنه أن يسمع أى صوت من أى مكان . بينما تساقطت من فوقه بضع أوراق مصفرة من الأشجار التى تظلل الطريق . بحفيف ناعم كان مخيفا وسط هذا السكون . فعاود انطونى السير ، ثم ابتسم .

غمغم قائلا : " لم أكن أعلم من قبل أننى بهذه الأعصاب القوية " .

تقدم عبر الطريق ، ومع انعطافه تسلل عبر الشجيرات وتابع سيره بحيث لا يراه أى أحد داخل المنزل . فجاء وقف منتصبا بلا حراك وهو يحدق عبر أوراق الشجيرات

كان هناك كلب ينبح على مبعدة من مكانه ، إلا أن صوتا آخر أقرب هو الذى لفت انتباه أنطونى .

إن سمعه الحاد لم يخطئ . فقد كان أحدهم يقترب بسرعة من عند ركن المنزل . كان قصيرا وبدينا ، أجنبى الملامح . لم يتوقف بل واصل السير ، ودار حول المنزل ، واختفى من جديد .

أومأ أنطونى برأسه وهو يتمتم .

" إنه حارس المكان . لقد أجادوا تأمينه إذن " .

وما إن تخطاه الرجل ، حتى عاود أنطونى السير وهو ينحرف نحو اليسار ، متتبعا خطى الخفير .

كان يتعمد ألا يصدر عن خطواته أى صوت .

كان جدار المنزل على يمينه . وفى هذه اللحظة كان قد وصل إلى بقعة من المشى المفروش بالحصى قد سلطت عليها الأنوار . وعندها كان يسمع بوضوح أصوات حديث عدد من الرجال .

غمغم أنطونى لنفسه : " يا إلهى ! يا لهؤلاء الأغبياء . إنهم يستحقون بالفعل أن أباغتهم " .

اقترب فى سرعة من النافذة ، ثم انحنى قليلا حتى لا يراه أحد . انحنى ثم رفع رأسه بمنتهى الحذر حتى مستوى عتبة النافذة ، وأخذ يشاهد ما يدور فى الداخل .

شاهد أنطونى ستة رجال يجلسون من حول إحدى الطاولات : أربعة منهم ضخام الجثة . ذوو وجنات بارزة ، وأعين تدل على أن أصولهم واحدة . بينما الاثنان

الآخران على النقيض من هذا ، تميزهما ضآلة الجسد وإيماءات الجسد السريعة . كانا يتحدثان الفرنسية ، إلا أن الأربعة الضخام كانوا يتحدثون بلكنة ركيكة ، وصوت حنجرى أجش .

قال أحدهم متذمرا : " متى سيأتى الزعيم ؟ " .

فهز واحد من قصار القامة كتفيه قائلا :

" ننتظر وصوله فى أى وقت الآن " .

فقال الأول بصوت متذمر : " ها قد حان الوقت . لم يسبق لى رؤية زعيمكم هذا ، ولكننا قد نضيع على أنفسنا فرصة القيام بعمل عظيم ورائع ، ونحن جالسون هكذا لا نحرك ساكنا " .

فقال القصير الآخر ساخرا : " غبى . فأقصى ما كان يمكنكم تحقيقه هو أن تسقطوا بين يدى الشرطة أنتم وجماعتكم الغالية من دون طائل . لستم سوى غوريلات متخبطة " .

صاح فيه آخر من ضخام الجثة : " أنت تسيء إلى الرفاق إذن ؟ عما قريب سوف أحيط رقبتك بعلامة اليد الحمراء " .

وهم بالانقضاض عليه ، وعيناه تلتمعان فى غضب من الفرنسى ، إلا أن واحدا من رفاقه أعاده إلى مكانه .

وقال له فى غضب : " لا نريد عراكا هنا . فنحن فى ذات المركب . ومما سمعته عنه ، فإن الملك فيكتور لا يغفر لمن يعصى أوامره " .

سمع أنطونى . وهو قابع فى تلك البقعة المعتمة ، صوت خطوات الخفير وهو عائد ، فاختفى وراء شجيرة .

قال واحد ممن بالداخل : "من هناك ؟ " .

" إنه كارلو - يجول حول المكان " .

" أوه ! وماذا عن السجين ؟ " .

" بخير . يفيق من الغيبوبة بسرعة الآن . ويتعافى بصورة حسنة من ذلك الشج الذى أصبنا به رأسه " .

ابتعد أنطونى من مكانه فى خفة .

قال لنفسه : "يا لها من عصابة ! إنهم يتناقشون فى شئونهم والنافذة مفتوحة . وذلك المغفل كارلو يقضى نوبته وهو يخطو على الأرض وكأنه فيل . وعيناه كعينى خفاش . أما مصيبة المصائب فهى أن كلا من الهيرتزوسلوفاكيين والفرنسيين على وشك العراك مع بعضهم البعض . وها قد صار بلاط الملك فيكتور محفوفا بالمخاطر . كم أنا تواق ، تواق جدا إلى أن ألقنهم درسا " .

ووقف حائرا يفكر فى خطوته التالية . وهو يبتسم .

إلا أنه سمع صوت أنين آت من مكان ما فوقه .

فنظر إلى أعلى . فسمع الأنين من جديد .

نظر أنطونى بسرعة يمنة ويسرة . ولم يكن كارلو قد اقترب بعد . فأخذ يتسلق الجدار فى مشقة ، حتى وصل إلى عتبة إحدى النوافذ . كانت النافذة مغلقة . إلا أنه استطاع فتحها بأداة كانت فى جيبه .

بقى لحظة يسترق خلالها السمع . ثم قفز فى خفة إلى داخل الغرفة ، حيث وجد فراشا فى ركنها البعيد ، يرقد فوقه رجل لم يستطع تبين ملامحه وسط العتمة .

اقترب أنطونى من الفراش . وسلط ضوء كشافه الصغير على وجه الرجل . كان وجهاً لأجنبى . يبدو شاحب منهكاً ، بينما تحيط الضمادات برأسه .

كان الرجل مقيد القدمين واليدين . وكان يحدق فى أنطونى وهو فى غير كامل وعيه .

مال أنطونى نحوه ، وحينها سمع صوتا من خلفه . فالتفت فى سرعة ، بينما دس يده فى جيب معطفه .

إلا أن صوتاً آمرا حادا ثبته فى مكانه :

" ارفع يديك لأعلى ، يا بنى . أعلم أنك لم تتوقع أن ترانى هنا ، ولكن تصادف أننى التحقت بنفس القطار الذى التحقت به فى فيكتوريا " .

لم يكن صاحب الصوت الذى كان يقف عند مدخل الباب سوى السيد هيرمان فيش . كان يبتسم ، وفى يده مسدس آلى أزرق اللون .

الفصل ٢٥

ليلة ثلاثاء فى تشيمنيز

كان اللورد كاترهام يجلس بصحبة فيرجينيا وبندل فى المكتبة بعد تناول العشاء . كان ذلك مساء أمسية الثلاثاء . وقد مرت قرابة الثلاثين ساعة منذ غادر أنطونى المنزل بتلك الصورة الدراماتيكية .

كررت بندل على مسامعهم ربما للمرة السابعة على الأقل ما قاله لها أنطونى وهو يفارقها عند ناصية الهايد بارك .

فرددت فيرجينيا كلماته وهى تتأمل فيها : "سأعرف طريقى إلى العودة بنفسى ... لا يبدو لى من كلماته هذه أنه كان يتوقع أن يغيب كل هذه المدة . كما أن كل متعلقاته لا تزال هنا " .

" ألم يخبرك بالمكان الذى سيتوجه إليه ؟ " .

ردت فيرجينيا وهى تنظر أمامها مباشرة : " كلا . لم يخبرنى بشيء " .

بعدها خيم الصمت عليهم لدقيقة أو دقيقتين ، إلا أن اللورد كاترهام قطعه قائلا :

" إن البقاء فى فندق أفضل من البقاء فى منزل ريفى "

" ما الذى تعنيه ... ؟ "

" ذلك الإعلان الصغير الذين يعلقونه دائما فى الغرف . إنهم يشترطون على نزيل الفندق أن يخطرهم بنيته بالمغادرة قبل حلول الساعة الثانية عشرة "

ابتسمت فيرجينيا لهذا التلميح .

بينما تابع كلامه قائلا : "على أننى أرى أننى قد صرت عتيقا لا يتماشى مع هذا العصر . فقد صارت صيحة حديثة أن يظهر المرء بغتة ويختفى فجأة . وكأنه نزيل فندق - حرية تامة فى الحركة دون دفع أية فواتير فى النهاية ! "

فقالت بندل : " يالك من عجوز طماع ! فأنا وفيرجينيا معك وبصحبتك ، ماذا تريد أكثر من هذا ؟ "

بادرها اللورد مطمئنا : " لا شيء أكثر من هذا . لا شيء أكثر من هذا . إلا أن هذا ليس قصدى الوحيد . بل هو المبدأ ذاته . فمثل هذه التصرفات تشعر المرء بعده الارتياح . ورغم هذا فإنى أعترف بأن الأربع وعشرين ساعة الماضية كانت الأهدأ على الإطلاق . هدوء ... هدوء مطلق . فلم تكن هناك حوادث سطو أو أى جرائم عنف اخرى ، أو أمريكيون . لكننى صرت لا أجد متعة

فى هذا الهدوء ، صرت أقول لنفسى : " لابد أن أحدهم سيظهر بين لحظة وأخرى " . ومثل هذا الخاطر كفيل بالقضاء على أى استمتاع بهذا الهدوء "

قالت بندل : " لكن أحدا لم يظهر . صرنا وحيدين . بل مهملين . وأجد غرابة فى الطريقة التى اختفى بها السيد فيش . ألم يخبرك بأى شيء ؟ " .

" ولا كلمة واحدة . آخر مرة رأيته فيها كان يتجول داخل حديقة الورد ظهيرة الأمس ، وهو يدخن واحدا من سيجاره الكريه الرائحة . بعدها تبخر وكأنه لم يكن هنا من قبل "

علقت بندل فى تمن : " لابد أن أحدا قد اختطفه "

فقال والدها فى وجوم : " أتوقع أن أطلب من سكوتلاند يارد أن تبدأ فى غضون يوم أو يومين فى مسح البحيرة للعثور على جثته . أنا أستحق كل ما يجرى لى الآن . فقد كان من الأفضل لى أن أرحل إلى خارج البلاد فى هدوء وأعتنى بصحتى . لا أن انساق وراء مخططات جورج لوماكس المتهورة . أنا ـــــ "

وقاطعه تريدويل

فسأله اللورد كاترهام فى انزعاج : " ما الأمر ؟ "

" المخبر الفرنسى موجود هنا يا سيدى ، وسيسعده أن تتفرغ له ولو لبضع دقائق "

فقال اللورد : "ما الذى كنت أقوله لكما ؟ كنت أعلم أن هذا أجمل من أن يدوم . يبدو أنهم قد عثروا على جثة فيش داخل بركة السمك الذهبى " .

سأله تريدويل بكل أنفة ، وهو يعيده إلى الأمر الذى أتى من أجله .

" هل أفهم من هذا أنك ستلتقيه يا سيدى ؟ " .

" أجل ، أجل . أحضره إلى هنا " .

وانصرف تريدويل . ثم عاد بعد دقيقة أو دقيقتين وهو يعلن بصوت جهورى :

" السيد ليموان " .

دلف الفرنسى بخطوة سريعة وخفيفة . وأنبأتهم خطواته أكثر من ملامح وجهه بأن هناك أمرا مهما سرعان ما سيفصح عنه .

سأله اللورد كاترهام : " طاب مساؤك يا ليموان . هلا قدمت لك شرابا ؟ " .

انحنى الفرنسى فى احترام للسيدتين : " لا ، أشكرك أخيراً أحرزت تقدما ، ورأيت أن من الضرورى أن أطلعك على ما توصلت اليه ـ أهم ما توصلت إليه خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية " .

فقال له اللورد : " كنت أخمن أن هناك أمرا مهما يجرى من حولى " .

" سيدى ، لقد أقدم واحد من ضيوفك على مغادرة المكان ظهيرة الأمس بصورة أثارت لدىّ الشكوك . وعلى

أن أقول لك إن الشكوك كانت تراودنى منذ البداية . فنحن أمام شخص ظهر بغتة . ومنذ شهرين فحسب كان موجودا فى جنوب أفريقيا . فأين كان قبل ذلك ؟ " .

عندها زفرت فيرجينيا فى قوة معبرة عن سخطها . فركز الفرنسى عينيه فى شك ، ثم تابع كلامه :

" أين كان قبل ذلك ؟ لا أحد يدرى . كما أنه أقرب شخص إلى ذلك الشخص الذى أبحث عنه ــ غريب الأطوار ، جريء ، متهور . شخص لا يخشى القيام بأى شيء . لقد أرسلت البرقية تلو البرقية . لكننى لم أتلق أى رد بمعلومات عن حياته الماضية . فقد كان يعيش فى كندا منذ عشر سنوات . هذا صحيح ، ولكن لا أحد يدرى شيئا عن حياته بعدها . وهكذا تنامت شكوكى . إلى أن وقعت ذات يوم على قصاصة ورقية فى موضع كان قد مر من عنده مؤخرا . كان بالورقة عنوان ــ عنوان لمنزل فى دوفر . وفيما بعد ، أسقطت تلك الورقة عمدا ولكن بصورة بدت عفوية . وراقبت بوريس الهيرتزوسلوفاكى وهو يلتقطها ويذهب بها إلى سيده . كنت متأكدا طيلة الوقت من أن بوريس هذا جاسوس لرفاق اليد الحمراء . ونحن نعلم أن هؤلاء الرفاق يعملون بالتعاون مع الملك فيكتور على تحقيق غرضهم من المجيء إلى هنا . ولو أن بوريس قد درك أن رئيسه هو السيد أنطونى كيد ، فمن المنطقى إذن ن يلتحق بخدمته . ما الذى يدعوه إلى أن يعرض خدماته

على غريب لا أهمية له ؟ كان الأمر مثيرا للشكوك لأقصى درجة فى نظرى .

" إلا أن ما أدهشنى هو أن أنطونى كيد قد أتى على الفور بنفس الورقة إلىّ وهو يسألنى عما إذا كانت قد سقطت منى . كنت مندهشا بالفعل - ولكن ليس إلى درجة كبيرة ! فربما كان بريئا . أو أنه بارع للغاية . وبالطبع أنكرت أنها تخصنى . أو أنها سقطت منى . ولكن فى غضون ذلك كنت أفتش وراءه . ولم أصل لشىء إلا هذا النهار . فقد عرفت أن ذلك المنزل فى دوفر قد هجر فجأة . لكن ثلة من الأجانب كانت تقطنه حتى ظهيرة الأمس . ومن المؤكد أن ذلك المكان كان مقر الملك فيكتور . عليكم الآن أن تتنبهوا لأهمية ما سأقوله . فالسيد كيد غادر المنزل فى ظهيرة الأمس بغتة . فلابد أنه قد عرف أن حيلته قد فشلت منذ أن سقطت منه تلك الورقة . فسارع بالذهاب إلى دوفر . وعمل على تشتيت عصابته وإخراجها من المنزل فى الحال . لا أدرى ما هى خطوته التالية . إلا أننى متيقن من أنه لن يعود إلى هنا ثانية . ولأننى على دراية بأساليب الملك فيكتور . فإنى أقول لكم بأنه لن يتخلى عن مخططه من دون أن يحاول العثور على الجوهرة من جديد . وعندها سألقى القبض عليه ! "

نهضت فيرجينيا فجأة . وسارت حتى رف الموقد . ثم قالت له فى صوت بارد رنان .

" أعتقد أن هناك أمرا لم تحسب حسابه يا سيد ليموان . فلم يكن السيد كيد الشخص الوحيد الذى غادر هذا المكان بشكل مثير للشكوك بالأمس " .

" ما الذى تقصدينه يا سيدتى ؟ "

" أقصد أن كل ما قلته ينطبق وبالقدر نفسه على شخص آخر . ماذا عن السيد هيرام فيش ؟ "

" أوه . السيد فيش "

" نعم . السيد فيش . ألم تخبرنا فى تلك الليلة ان الملك فيكتور قد أتى مؤخرا إلى إنجلترا قادما من أمريكا ؟ وهو ما ينطبق على السيد فيش القادم من أمريكا بدوره صحيح أنه قد جلب خطاب تعارف من شخص معروف وذى ثقة . ولكن لاشك أن هذا أمر تافه بالنسبة لشخص مثل الملك فيكتور . ومن المؤكد أن هذه ليست هويته الحقيقية . ولقد علق اللورد كاترهام من قبل على كونه شخصا مستمعا . يفضل أن يسمع لغيره على أن يتكلم . كما أن هناك العديد من الحقائق الغامضة ضده . فقد كانت غرفته مضاءة ليلة الجريمة . ثم تلك الأمسية فى قاعة المجلس حينما لقيته عند الشرفة وهو فى كامل ثيابه . ربما كان هو من سقطت منه تلك الورقة . فانت لم تر بعينك السيد كيد وهو يفعلها . ربما ذهب السيد كيد إلى دوفر . ولو صح هذا . يكون قد ذهب ليستكشف أمرا ما . وربما اختطفوه هناك . ما أود قوله هو أن الشكوك

تجاه تصرفات السيد فيش أقوى من الشكوك الموجهة نحو تصرفات السيد كيد " .

جاوبها الفرنسى بصوت رنان فى حدة :

" ربما كانت هذه وجهة نظرك . وأنا لن أجادلك فيها . كما أننى أوافقك على أن هناك غموضا يحيط بشخص السيد فيش " .

" وبعد ؟ " .

" لكن هذا لا يحدث أى فارق فى الأمر . فأود أن أقول لك يا سيدتى إن السيد فيش رجل مباحث أمريكي"

هنا صاح اللورد مشدوها : " ماذا ؟ "

" بالفعل يا سيدى اللورد وقد أتى إلى هنا مقتفيا أثر الملك فيكتور . وأنا والمحقق باتل نعلم هذا منذ فترة"

لم تعلق فيرجينيا بشيء . وعادت لتجلس فى مقعدها ببطء شديد . فقد هدمت تلك المعلومة الجديدة نظريتها التى كانت تظنها راسخة الأركان .

تابع ليموان كلامه قائلا : " وكما ترون . فجميعنا عرف أن الملك فيكتور سيقصد تشيمنيز فى نهاية المطاف وهو المكان الذى كنا متيقنين من أننا سنلقى القبض عليه فيه " .

نظرت إليه فيرجينيا وقد التمعت عيناها . ثم أخذت تضحك فجأة .

" أنت لم تلق القبض عليه بعد " .

نظر ليموان إليها فى توجس .

" كلا يا سيدتى . إلا أننى سأفعل" .

" من المفترض أنه مشهور بقدرته على خداع كل من يفوقونه حيلة ودهاء . أليس كذلك ؟ " .

عندها احمر وجه الفرنسى غضبا .

وقال من بين أسنانه : " ستكون هذه المرة مختلفة" .

فقال اللورد كاترهام : " إنه شخص جذاب جذاب جدا . ولكن من المؤكد أنه . لماذا أخبرتنى بأنه واحد من أصدقائك القدامى يا فيرجينيا ؟ " .

فقالت فى هدوء " هذا هو السبب فى دفاعى عنه . فانا أعتقد أن السيد ليموان مخطيء فى تقديره " .

التقت عيناها بعينى المحقق فى ثبات . إلا أن الانزعاج لم يكن باديا عليه

قال : " الزمن هو الحكم بيننا يا سيدتى "

فسألته : " أتقول بأنه هو من قتل الأمير مايكل ؟ " .

لكنها هزت رأسها وهى تضيف :

" أود كلا ! . كلا ! فأنا متيقنة تماما من أن أنطونى كيد لم يقتل الأمير مايكل أبدا "

كان ليموان يراقبها عن كثب .

قال ببطء : " هناك احتمال أن تكونى محقة يا سيدتى . مجرد احتمال ربما كان بوريس الهيرتزوسلوفاكى قد تخطى أوامره وأطلق العيار النارى الذى قتل الأمير . ومن يدرى ؟ فربما أساء الأمير مايكل إليه . وأراد الرجل أن يثأر لنفسه " .

فوافقه اللورد كاترهام قائلا : "يبدو لى أنه واحد من فئة القتلة هؤلاء . فإننى أتذكر أن الخادمات يصرخن لرؤيته كلما مر عليهن فى الردهات " .

فقال ليموان : " حسنا . علىّ الذهاب الآن . لكننى شعرت أن من الضرورى أن أخبرك سيدى اللورد بمستجدات الموقف" .

أجابه اللورد : "هذا لطف منك بالتأكيد . ألست راغبا بالفعل فى تناول شراب ؟ حسنا إذن . طابت ليلتك" .

قالت بندل عندما خرج الرجل مغلقا الباب من خلفه . "أكره هذا الرجل ولحيته السوداء الصغيرة المتأنقة وكذلك نظارته . كم أتمنى لو خيب أنطونى ظنونه . وأود أن أراه يميز من الغضب . ما رأيك يا فيرجينيا ؟ " .

فقالت فيرجينيا : " لا أدرى . فأنا مرهقة وعلىّ أن آوى إلى فراشى الآن " .

فعلق اللورد قائلا : " فكرة وجيهة . فالساعة الآن الحادية عشرة والنصف " .

وبينما كانت فيرجينيا تجتاز البهو الفسيح ، وقع نظرها على شخص عريض المنكبين كان يوليها ظهره وهو ينسل خارجا عبر باب جانبى . وبدا لها أنها قد رأته من قبل .

فنادت عليه فى غطرسة : " سيادة المحقق باتل " .

كان هو باتل بالفعل . وقد عاد أدراجه مرغما .

" أجل سيدة ريفيل " .

" لقد كان السيد ليموان هنا . وقال ـ أخبرنى أنت . هل صحيح أن السيد فيش مخبر أمريكى ؟ " .

أومأ المحقق برأسه قائلا :

" بالفعل " .

" وهل كنت تعرف هذا منذ البداية ؟ " .

فأجاب باتل عن سؤالها بالإيجاب بإطراقة من رأسه .

فقالت وهى تبتعد صوب الدرج :

" فهمت . أشكرك " .

كانت ترفض حتى هذه اللحظة أن تصدق ذلك .

فما العمل الآن ؟ ـــــ

جلست فيرجينيا أمام منضدة الزينة بغرفتها ، وهى تواجه المسألة بقوة وثبات . فقد صار لكل كلمة قالها لها أنطونى معنى جديد الآن .

أكانت هذه هى " التجارة " التى كان يتحدث عنها ؟

تلك التجارة التى تخلى عنها . ولكن فى هذه الحالة ـــــ

قطع عليها أفكارها صوت غير عادى . رفعت رأسها نحو مصدر الصوت فى دهشة . نظرت إلى ساعتها الذهبية الصغيرة فوجدت أنها قد تعدت الواحدة . فعلمت أن ساعتين قد مرتا عليها وهى تفكر .

تكرر الصوت مرة أخرى . كان طرقا شديدا بالحصى على لوح النافذة الزجاجى . توجهت فيرجينيا صوب

النافذة وفتحتها . نظرت لأسفل لترى شخصا طويل القامة ينحنى ليقبض بيده على حفنة أخرى من الحصى .

تسارع نبض قلب فيرجينيا ـ حتى تعرفت على صاحب تلك البنية القوية الهيرتزوسلوفاكية . لقد كان بوريس .

سألته بصوت خفيض - " ما الذى تريده ؟ " .

لم تجد أن من الغريب أن يقف بوريس فى مكانه وفى هذه الساعة من الليل ليقذف نافذتها بالحصى .

كررت سؤالها فى صبر "ما الأمر ؟ " .

فقال بوريس بنبرة منخفضة إلا أنها مسموعة جيدا " لقد أتيت من عند السيد . لقد أرسل فى طلبك" .

قالها وكأنه أمر مسلم به .

" أرسل فى طلبى أنا ؟ "

" نعم . وعلى أن أصحبك إلى هناك . وقد ترك معى رسالة . سأقذفها إليك الآن " .

تراجعت فيرجينيا قليلا . لتبتعد عن مسار الحجر الصغير الذى سقط عند قدميها بكل دقة . حاملا قصاصة ورق . وسرعان ما تناولتها لتقرأ ما فيها :

(كان أنطونى من كتبها) . . . عزيزتى . إننى فى مكان آمن ، ولكننى عازم على استكمال ما بدأته . هلا وثقت بى وأتيت إلى ؟

بقيت فيرجينيا واقفة فى مكانها قرابة دقيقتين . وهى تقرأ تلك الكلمات مرارا وتكرارا .

بعد ذلك رفعت رأسها . وتلفتت حولها . تمعن النظر فى محتويات الغرفة الفاخرة . وكأنها تراها بعين جديدة .

بعد ذلك توجهت إلى النافذة تطل منها

" ما الذى علىَّ أن أقوم به ؟ " .

" إن المحققين فى الجانب الآخر من المنزل . خارج قاعة المجلس . فاهبطى واخرجى عبر الباب الجانبى ستجدينني هناك . هناك سيارة بانتظارنا بالخارج على الطريق " .

أومأت فيرجينيا برأسها . وسرعان ما أبدلت ملابسها . مرتدية رداء من التريكو لونه بنى فاتح مائل إلى الاصفرار . وقبعة جلدية صغيرة لها نفس اللون .

بعد ذلك ابتسمت بعض الشيء وهى تدون رسالة قصيرة موجهة إلى بندل . ثم ثبتتها إلى مغرز الدبابيس .

هبطت فيرجينيا الدرج خلسة . وفتحت مزالج الباب الجانبى ثم توقفت لحظات . قبل أن ترفع رأسها فى شموخ البواسل . نفس شموخ أجدادها وهم فى طريقهم لخوض الحروب . ثم مرت من الباب .

الفصل ٢٦

الثالث عشر من أكتوبر

فى العاشرة من صباح الأربعاء . الثالث عشر من أكتوبر . ذهب أنطونى كيد إلى فندق هاريدج وسأل عن البارون لولوبريتجزيل والذى كان يشغل جناحا هناك .

مر بعض الوقت قبل أن ينم اصطحاب أنطونى إلى ذلك الجناح . كان البارون واقفاً بكل أبهته فوق بساط المدفأة . بينما كان الكابتن أندراسى ـ على نفس أناقته ـ موجودا . وإن بدا متحفزا بنظرة عدائية .

كثير من الانحناءات الرسمية . وغيرها من التحيات التى يفرضها (الإتيكيت) . فقد صار أنطونى الآن ملما بهذا الروتين .

قال مبتسما . وهو يخفض قبعته ليضعها فوق طاولة :

" أرجو أن تغفر لى هذه الزيارة المبكرة . يا سيدى البارون . الحقيقة أن لدىَّ عرضا أود أن أقدمه لك " .

فقال البارون . " ها ! هل هذا هو سبب الزيارة ؟ " .

بدا الكابتن أندراسى ـ الذى لم يستطع أن يخفى انعدام ثقته فى أنطونى ـ غامض التصرفات والنظرات

فقال أنطونى : " إن الصفقة تعتمد على مبدأ العرض والطلب فأنت تريد شيئا يملكه الرجل الآخر يبقى فقط الاتفاق على السعر "

نظر البارون إليه فى ترقب . إلا أنه لم يعلق .

فقال أنطونى بسرعة . " لابد أن يسير الاتفاق بين نبيل هيرتزوسلوفاكى وسيد إنجليزى فى يسر " .

خجل بعض الشيء من عبارته الأخيرة ، فمثلها لا يمكن لإنجليزى أن ينطقها بسهولة ، إلا أنه قد لاحظ فى مناسبة سابقة ذلك الأثر الهائل الذى تتركه مثل هذه العبارات على تفكير البارون . وكان محقا فى تقديره . فقد كان لسحره تأثيره عليه

قال البارون فى استحسان . وهو يومىء برأسه " بالتأكيد . بالتأكيد "

بل إنها تركت أثرها على الكابتن اندراسى أيضا . فقد أطرق برأسه وقد خف توتره قليلا

فقال أنطونى : " جميل . وأنا بدورى سأتوقف عن اللف والدوران ـــــ "

فقاطعه البارون : " ماذا قلت ؟ اللف والدوران ؟ لم أفهم ما تعنيه " .

" مجرد عبارة مجازية يا سيدى البارون سأكرر ما أعنيه بلغة بسيطة ـ *أنت* تريد البضاعة . ونحن نملكها ،

فالسفينة بخير . إلا أنها بحاجة إلى ربان واقصد بالسفينة حزب الموالين الهيرتزوسلوفاكى . فأنت فى هذه اللحظة تفتقر إلى مبدأ أساسى تبنى عليه برنامجك السياسى وأنتم من دون أمير ! الآن افترض ـ مجرد افتراض ـ أن بوسعى أن أوفر لكم هذا الأمير ؟ "

حدق فيه البارون . قبل أن يقول

" أنا لم أفهم ما ترمى إليه تماما " .

عندها تدخل الكابتن أندراسى قائلا وهو يداعب شاربه فى توتر : "سيدى . أنت تسيء إلينا بهذا الكلام ! "

فقال أنطونى . "مطلقا . بل أحاول أن أساعدكم إنه العرض والطلب ، لابد انك تفهم هذا . إنها صفقة عادلة بكل المقاييس . لن أقدم لكم سوى أمير حقيقى ـ وستتأكد من هذا . وستجد أننى كنت على حق . هذا لو توصلنا إلى اتفاق . فأنا أعرض عليكم أميرا أصليا لا غبار عليه " .

إلا أن البارون عاد ليكرر : " لم أفهم أية كلمة مما قلت " .

فقال أنطونى فى لطف : " لا يهم . كل ما أريده أن تستوعب الفكرة وبلغة العامة . إن لدىّ ما أساعدكم به . أنتم تريدون أميرا . وأنا تحت ظروف معينة ـ سأتولى مسئولية توفير أمير ـ كفء "

حدق فيه البارون وأندراسى . بينما التقط أنطونى قبعته وارتداها من جديد . وهو يتهيأ للانصراف .

" فكرا فى الأمر . بقى شيء واحد الآن يا سيدى البارون . عليك أن تأتى إلى تشيمنيز بحلول هذا المساء ـ وكذلك الكابتن أندراسى فمن المتوقع أن يحدث عدد من الأمور المثيرة هناك . هلا حددنا موعدا لهذا ؟ هلا التقينا فى قاعة المجلس هناك بحلول الساعة التاسعة ؟ أشكركما أيها السادة . وسأعول على وجودكما هناك ، أليس كذلك ؟ " .

تقدم نحوه البارون وهو يمعن النظر فى وجهه .

ثم قال فى أنفة " سيد كيد . أرجو ألا يكون غرضك هو التلاعب بى ؟ " .

فعاود أنطونى النظر إليه فى ثبات ، وهو يقول بنبرة غامضة : " سيدى البارون أعتقد أنه حينما يمضى هذا المساء ستكون أنت أول من يعترف بأن الصفقة فى غاية الجدية "

وانحنى محييا إياهما ، وغادر الغرفة .

كان مقصده التالى فى المدينة ، حيث أرسل بطاقة تعريف به إلى السيد هيرمان إيزاكشتاين قاصدا لقاءه .

مضى بعض الوقت قبل أن يستقبل أنطونى من قبل أحد مرءوسى إيزاكشتاين . كان شابا شاحب الوجه يرتدى زيا فى غاية الأناقة وله أسلوب متأنق . ويحمل رتبة عسكرية .

قال له الشاب " أتريد لقاء السيد إيزاكشتاين ؟ معذرة ، إنه مشغول جدا هذا الصباح ـ اجتماعات مجلس

إدارة ، وأمور من هذا القبيل . هل هناك شيء يمكننى القيام به من أجلك ؟ " .

فقال أنطونى : " لابد أن أقابله شخصيا " ، ثم أضاف فى لامبالاة " فلقد أتيت إليه خصيصا من تشيمنيز " .

بوغت الشاب قليلا لدى ذكر تشيمنيز .

فقال فى تشكك : " أوه ! حسنا . سأرى إن كان من الممكن أن تلتقيه " .

" قل له إن الأمر مهم " .

" هل هى رسالة من اللورد كاترهام ؟ "

" شيء من هذا القبيل ، إلا أنه من المحتم أن ألتقيه على الفور " .

مرت دقيقتان قبل أن يتم اصطحاب أنطونى إلى معتكف داخلى فاخر . حيث أثار إعجابه الحجم الهائل والعمق الواسع للمقاعد المغطاة بالجلد .

نهض السيد إيزاكشتاين محييا إياه .

فقال أنطونى " أرجو أن تعذرنى لاضطرارى إلى أن ألتقيك من دون موعد . فأنا أعلم أن مشاغلك كثيرة . كما أننى لن أضيع عليك الكثير من الوقت . فهى صفقة أود أن أعرضها عليك " .

نظر إليه إيزاكشتاين فى اهتمام للحظات بعينيه السوداوين الخرزيتين .

قال فجأة وهو يمد يده بعلبة مفتوحة : " تناول سيجارا " .

فتناول أنطونى واحدا وهو يقول : " أشكرك . لا أمانع بالطبع " .

تابع أنطونى كلامه والرجل يشعل له سيجاره بعود ثقاب : " الأمر يتعلق بتلك المشكلة القائمة فى هيرتزوسلوفاكيا " ولمح ذلك التغير اللحظى فى نظرة الرجل الثابتة إليه . فتابع قائلا " فلابد أن مصرع الأمير مايكل قد أحبط جميع المخططات " .

رفع السيد إيزاكشتاين حاجبه فى دهشة ، وهو يتمتم متسائلا : " هاه ؟ " ، بينما نقل نظراته نحو السقف .

فقال أنطونى ، وهو يمسح بعينيه سطح المكتب المصقول متأملا : " النفط . ياله من شيء رائع ذلك النفط ! " .

شعر أنطونى بالدهشة القليلة التى اعترت رجل الأعمال للحظات .

" هلا دخلت فى صلب الموضوع يا سيد كيد ؟ "

" لا أتخيل أبدا يا سيد إيزاكشتاين أنك ستكون سعيدا لو أن شركات أخرى قد نالت امتيازات النفط تلك ؟ " .

فسأله الأخير وهو ينظر إليه مباشرة : " ما العرض الذى أتيت به ؟ " .

" أمير مناسب يطالب بالعرش . تدعمه بريطانيا دعما كاملا "

" ومن أين أتيت به ؟ "

" هذه هى مهمتى "

عبر إيزاكشتاين عن إعجابه بهذا الرد بابتسامة خفيفة ، وصارت نظرته أشد قوة وحدة .

" هل هو أمير أصلى ؟ فلا يمكننى أن أتحمل مسئولية أى صفقة يشوبها التهريج " .

" أضمن لك أنه أمير أصيل " .

" لا حيلة وراء هذه الصفقة ؟ " .

" أبداً " .

" وأنا سأصدقك " .

فقال أنطونى وهو ينظر فى فضول إلى السيد إيزاكشتاين : " لا يبدو لى أنك بحاجة إلى كثير من الإقناع ، أليس كذلك ؟ " .

" لم أكن لأصل إلى ما أنا عليه الآن لو لم أكن قد تعلمت أن أميز بين الصادق والمخادع . ما هى شروطك ؟ " .

" نفس القرض الذى قدمته للامير مايكل ، ووفق نفس الشروط "

" وماذا عنك أنت ؟ "

" لا شيء الآن ، فيما عدا أنى أريدك أن تحضر إلى تشيمنيز هذه الليلة " .

فقال إيزاكشتاين بشيء من الحسم : " كلا لا يمكننى الذهاب إلى هناك " .

" والسبب ؟ "

" لدىّ عشاء عمل مهم الليلة " .

" أخشى أنه سيكون عليك أن تؤجله هذا لمصلحتك أنت "

" ما الذى تعنيه ؟ "

نظر إليه أنطونى لدقيقة كاملة ، قبل أن يقول وهو يؤكد على كل كلمة :

" أتعلم أنهم قد عثروا على المسدس ، ذلك الذى قتل به الأمير مايكل ؟ أتعلم أين وجدوه ؟ فى حقيبتك "

" ماذا ؟ " .

كاد إيزاكشتاين يقفز من فوق مقعده ، بينما ارتسم الفزع على وجهه .

" ما الذى تقوله ؟ ما الذى ترمى إليه ؟ "

" سوف أخبرك "

وهكذا اضطر أنطونى إلى أن يردد على مسامع الرجل قصة العثور على المسدس . ولاحظ أنه كلما استفاض فى الحكى ، زاد الفزع المتجسد على محيا الرجل .

ضاع فيه وعندما انتهى من حكايته صاح فيه الرجل :

" ولكن هذا غير صحيح . فأنا لم أضعه فى حقيبتى . ولا أعلم عنه شيئا تلك مؤامرة " .

فقال أنطونى مهدئا إياه : " لا داعى لهذه العصبية فلو كنت صادقا ، سيسهل عليك إثبات هذا " .

" أثبته ؟ وكيف لى أن أثبت هذا ؟ "

قال أنطونى بهدوء : " لو كنت مكانك ، لتوجهت إلى تشيمنيز هذه الليلة "

نظر إليه إيزاكشتاين فى شك

" هل هذه هى نصيحتك إذن ؟ "

مال أنطونى نحوه وهمس إليه بشيء ، فتراجع رجل الأعمال بظهره فى المقعد ، وهو يحدق فيه فى ذهول

" أتقصد أن ـــــ "

" تعال ، وسترى بنفسك "

الفصل ٢٧

الثالث عشر من أكتوبر (*تابع*)

دقت الساعة التاسعة داخل قاعة المجلس

فقال اللورد كارهام وهو يتنهد بعمق - " ها هم ذا قد أتوا جميعا . عادوا يجرون أذيال خيبتهم "

ونظر حوله فى حزن . قبل أن يتمتم وهو يحدق فى البارون :

" وما زاد الطين بلة هو مجيء ذلك النابح المزعج ـــ "

كان يوجه تلك الأسرار إلى بندل . التى اعترضت قائلة . " أعتقد أنك ظالم للبارون فقد أخبرنى بأنه يعتبرك مثالا لحسن الضيافة الإنجليزية "

فقال اللورد . " بوسعى ان أقول بأنه لا يتوقف عن قول أشياء من هذا القبيل . بل إنه يصاب بالإرهاق من كثرة الحديث فى ذلك . كما أننى لم أعد قادرا على الاستمرار على نفس منوال حسن الضيافة الذى اعتدته من قبل . وأفكر فى أن أبيع تشيمنيز لواحد من رجال الأعمال

الأمريكيين فى أقرب وقت ممكن . وأذهب لأعيش فى فندق . فحينما تصادفين متاعب هناك . يكون كل ما عليك هو أن تدفعى الفاتورة وتمضى لحال سبيلك "

" هون عليك وابتهج يبدو أننا قد فقدنا السيد فيش للأبد " .

فقال اللورد وهو فى حالة مزاجية مغايرة " لطالما أدهشنى هذا الرجل . إن صاحبك العزيز هو من ورطنى فى كل هذا . ما الذى يضطرنى إلى عقد اجتماع كهذا داخل منزلى ؟ لماذا لم يستأجر لهم قاعة لاركيس او إلمورست . أو فيلا لطيفة مثل التى فى ستريتهام ؟ " .

قالت بندل : " لن يكون للأمر نفس وقعه هنا" .

سألها أبوها فى عصبية : "وهل هناك من سيحاول أن يمارس ألاعيبه علينا ؟ فأنا لا أثق فى ذلك الفرنسى ليموان . فالشرطة الفرنسية معروفة بقدرتها على ممارسة جميع أنواع الحيل . فهم يضعون ضمادات من المطاط الهندى حول ذراعك ، ويستجوبونك ، ويجعلونك تقفزين ويتم تسجيل كل ما يصدر عن جسدك من انفعالات على ترمومتر . وأعلم أنهم لن يضعوا ايديهم على الجانى إلا بعد أن يكون المجرم قد أصابنى وتعديت المائة وعشرين عاما . وسوف يقتادونى إلى السجن إن لزم الأمر "

حينئذ فتح الباب . ليعلن تريدويل .

" السيد جورج لوماكس ، والسيد إيفرسلاى " .

فتمتمت بندل ساخرة : "ها هو المتحذلق وكلبه الوفى " .

سارع بيل بخطواته نحوها ، بينما حيا جورج اللورد بالطريقة الرسمية المعتادة فى المناسبات العامة .

فقال له وهو يصافحه : " عزيزى كاترهام . لقد وصلتنى رسالتك . فسارعت بالحضور " .

" هذا لطف منك يا عزيزى . لطف منك بالتأكيد وأنا سعيد لرؤيتك " . كان ضمير اللورد دائما يدفعه لاإراديا للمبالغة فى الكرم واللطف حين يدرك أنه لا يشعر بأى قدر منهما كلما كان عاجزا داخله وأضافت : " إلا أنها لم تكن رسالتى . ومع هذا فلا أهمية لذلك الآن "

فى ذات اللحظة كان بيل يهاجم بندل بحديثه الرقيق الهاجس .

" ما سبب هذا الاجتماع ؟ وما ذاك الذى عرفته عن مغادرة فيرجينيا للمنزل خفية فى منتصف الليل ؟ هل تم اختطافها ؟ " .

" أوه ، كلا . فقد تركت وراءها رسالة ثبتتها إلى المخيط " .

" أتعنين أنها لم تهرب مع أحد ؟ هل هربت مع لكولونيل جونى ؟ ان لم أرتح أبدا لذلك الشخص . ومما سمعته عنه عرفت أن هناك انطباعا عاما حوله هنا بانه هو المحتال الكبير لكننى عجزت عن تصور هذا "

" وما الذى منعك ؟ "

" إن الملك فيكتور هذا فرنسى . بينما كيد إنجليزى صرف " .

" ألم تعلم بأن الملك فيكتور يجيد العديد من اللغات بالإضافة إلى كونه نصف أيرلندى ؟ "

" أوه ، يا إلهى ! لذا فهو قادر على التخفى . أليس كذلك ؟ " .

" لا علم لى بهذا فقد اختفى أول أمس . كما تعلم إلا اننا تلقينا هذا الصباح برقية منه تقول بأنه سيكون هنا فى تمام الساعة التاسعة هذه الليلة . واقترح علينا أن نطلب من السيد جورج الحضور . كما أن الباقين قد عادوا بدورهم ... بطلب من السيد كيد " .

فقال بيل وهو ينظر حوله : " لقد تجمعوا بالفعل المخبر الفرنسى لدى النافذة ، ونظيره الإنجليزى عند المدفأة حضور أجنبى ملحوظ . إلا أن الأمريكى لم يحضر . أليس كذلك ؟ "

فهزت بندل رأسها .

" لقد اختفى السيد فيش . كما أن فيرجينيا ليست هنا . أما الباقون فموجودون ، ويراودنى شعور يا بيل بأننا قريبون جدا من اللحظة التى سيتم فيها كشف النقاب عن المجرم نحن فقط فى انتظار وصول أنطونى كيد " .

" لن يحضر " .

" ما الذى يدعوه إذن إلى عقد اجتماع الشركة هذا كما اسماهم أبى ؟ "

" هناك أمر خفى وراء كل ما يحدث . واعتقد أنه يريدنا أن نكون جميعا هنا . بينما هو فى مكان آخر مغاير تماما تعلمين مثل تلك الأمور بالطبع "

" أتعتقد أنه لن يحضر إذن ؟ " .

" وهل سيجرؤ على أن يضع رأسه داخل فم الأسد ؟ وما الذى يدعوه إلى هذا ، بينما الغرفة تعج بالمخبرين وكبار المسئولين ؟ "

" أنت لا تعلم الكثير عن الملك فيكتور ، هذا لو كنت تعتقد أن ذلك سيمنعه من تحقيق مراده . بل هو ميال إلى أن يضع نفسه فى موقف كهذا ، وينجح دوما فى الخروج منه منتصرا " .

فهز السيد إيفرسلاى رأسه فى عدم اقتناع .

" سيقتضى هذا منه أن يضع خطة ذكية ـ بالنظر إلى أن كل الظروف ضده الآن فهو لن ـــــ " .

عندها انفتح باب الغرفة . ليعلن تريدويل :

" السيد كيد "

دخل أنطونى المكان . وتوجه من فوره إلى مضيفه .

" لورد كاترهام . أعلم أننى قد سببت لك الكثير من المتاعب . وأنا فى غاية الأسف لذلك . لكننى أعتقد أن هذه الليلة ستشهد كشف النقاب عن هذا اللغز " .

بدا اللورد كاترهام راضيا فقد كان دائما معجبا بأنطونى لسبب يجهله .

قال له بترحاب : " لا مشكلة على الإطلاق " .

" هذا لطف بالغ منك . أرى أننا جميعا هنا . لذا علىّ أن أبدأ من فورى "

قال جورج لوماكس فى حنق " أنا لا أفهم شيئا مما يجرى . إلى أى شيء يستند السيد كيد فيما يقوم به فالموقف صعب وحساس للغاية . وأرى أن ـــــ "

قطع عليه المحقق باتل استرساله وهو يقترب من الرجل المهيب . ليهمس فى أذنه ببضع كلمات . فبدت الحيرة والاضطراب على محياه .

فقال له فى غيظ " حسنا . إن كان هذا هو رأيك" . ثم أضاف بصوت أعلى . " أنا موقن بأننا جميعا مستعدون لسماع ما سيقوله السيد كيد " .

تجاهل أنطونى التعطف والتنازل الذى كان واضحا فى نبرة صوته . وهو يقول مبتهجا :

" الأمر كله يتعلق بفكرة خطرت لى . ربما كان جميعكم يعلم بأننا قد عثرنا على رسالة مشفرة منذ يومين . كانت بها إشارة إلى ريتشموند . وكذلك بعض الأرقام " وتوقف لحظات قبل أن يتابع : "حاولنا أن نحل ذلك اللغز وفشلنا إلا أن هناك فى مذكرات الكونت الراحل ستينبتيتش (والتى تصادف أننى كنت قد قرأتها) إشارة إلى حفل عشاء بعينه (حفل " الزهرة " . حيث

ارتدى من حضرها شارة على شكل زهرة بينما ارتدى الكونت نفسه القرين المطابق لذلك الشيء المثير للفضول والذى وجدناه فى تلك الكوة داخل الممر السرى . كان يمثل زهرة تذكرون أنها كانت صفوفا من أزرار . وأحرف E كبيرة . وكذلك قطعة نسيج . والآن أيها السادة . ما هو ذلك الشيء فى هذا المنزل والذى يتخذ شكل صفوف ؟ إنها الكتب . أليس كذلك ؟ ونضيف إلى هذا أن الدليل الخاص بمكتبة اللورد كاترهام يبين أن بها كتابا عنوانه حياة إيرل ريتشموند . أعتقد أنكم الآن ستكونون فكرة واضحة جدا عن المكان الذى تم اخفاء ذلك الشيء فيه فمع هذا الكتاب . وباستخدام الأرقام للإشارة إلى الأرفف والكتب . فإننى أرى أنكم ستعثرون على الـ ـــــ على ما نبحث عنه داخل أحد الكتب . أو فى كوة وراء كتاب بعينه "

نظر أنطونى حوله فى تواضع . وكأنه ينتظر التصفيق الحاد

فقال اللورد كاترهام " أشهد بأن هذه عبقرية "

وافقه جورج الراى فى تنازل . " عبقرية حقا ويبقى أن نتأكد من أن ـــــ "

قاطعته ضحكات أنطونى

" تناول البودينج دليل على حسن مذاقه ـ أليس كذلك ؟ أنت تريد الإثبات . حسنا . سرعان ما سأقدم

لك هذا الإثبات " . ثم نهض وهو يضيف : "سأذهب إلى المكتبة ـــــ "

إلا أنه توقف بعد قليل . حينما التفت إليه ليموان وهو يبتعد عن النافذة مسارعا نحوه .

" لحظة من فضلك يا سيد كيد . هلا سمحت لى يا لورد كاترهام ؟ " .

توجه نحو المكتب . وخط بضعة أسطر بسرعة . ثم وضع الورقة فى مظروف . وأغلقه . وبعدها قرع الجرس . فظهر تريدويل . وناوله ليموان الرسالة . وهو يقول :

" احرص على أن يتم تسليمها على الفور ، إذا سمحت " .

" حسنا يا سيدى " .

ثم غادر المكان بكبريائه المعهود .

لم يسع أنطونى الذى كان يقف حائرا سوى أن يعاود الجلوس من جديد .

سأله فى هدوء : " ما الذى ترمى إليه يا ليموان ؟ "

بدت بوادر توتر مفاجئ تخيم على المكان .

" لو كانت الجوهرة فى المكان الذى خمنته ... فهى بالتالى هناك منذ سبع سنوات مضت ـ ولن يضيرها أن تنتظر ربع ساعة أخرى " .

" تابع كلامك . لم يكن هذا كل ما تريد أن تقوله "

" بالفعل . فمن غير الحكمة فى هذه الظروف أن أسمح لأى شخص بمغادرة هذه الغرفة . خاصة إذا كان ذلك الشخص محور شكوك وتساؤلات "

رفع أنطونى حاجبيه فى دهشة . وهو يشعل سيجارة

" أرى أن حياة الصلعة غير جديرة بنيل احترام الآخرين "

" لقد كنت منذ شهرين فى جنوب افريقيا يا سيد كيد . هذا أمر مسلم به . فأين كنت قبل ذلك ؟ "

عاد أنطونى بظهره إلى الوراء فى المقعد . وهو ينفث حلقات الدخان فى خمول .

" كنت فى كندا . وايلد نورث ويست " .

" ألم تكن نزيلا بأحد السجون ؟ سجن فرنسى تحديدا ؟ " .

تحرك المحقق باتل بشكل غريزى نحو الباب . وكأنما يحاول أن يمنعه من الهرب . إلا أن أنطونى لم يبد أية رغبة فى القيام بأى تصرف دراماى

بل أخذ يحدق فى المحقق الفرنسى . ثم انفجر فى الضحك .

" عزيزى المسكين ليموان . يبدو أنك تعانى من مشكلة التركيز المفرط على فكرة واحدة ! فأنت ترى الملك فيكتور فى كل مكان حولك لذا تتخيل أننى ذلك الرجل المشوق " .

" وهل تنكر هذا ؟ " .

مسح أنطونى بعض الرماد عن كم معطفه . وهو يقول في مرح .

" لم يحدث أن أنكرت أى شيء أعجب به . إلا أننى أجد فى هذا الاتهام عبثا شديدا " .

فمال الفرنسى بجسده للأمام . وهو يقول : " آه ! أتعتقد هذا ؟ " . كان وجهه يختلج بشكل مؤلم . ومع هذا فقد بدا أنه يعانى من حيرة بالغة ـ وكأنما هناك شيء ما يربكه فى اسلوب أنطونى "وماذا لو قلت لك يا سيد كيد إننى عازم هذه المرة ـ هذه المرة ـ على أن ألقى القبض على الملك فيكتور . ولن يمنعنى أى شيء عن هذا ! "

فعلق أنطونى بقوله "هذه مهمة أحمدك عليها . ومع هذا فإنى أعرف انك قد جئت من قبل إلى هذه البلاد من اجله . أليس كذلك يا ليموان ؟ وكان هو المنتصر أفلا تخشى من أن ينتصر هذه المرة كذلك ؟ وهو ذلك الشخص المراوغ المخادع . كما سمعت عنه" .

تحول الحوار إلى مبارزة بين المحقق وأنطونى . وأحس كل من بالغرفة بذلك التوتر بينهما . لقد كان صراعا حتى النهاية بين الفرنسى ـ الذى وصل بالحوار إلى درجة مؤلمة من الجدية ـ وشخص لم يتوقف عن تدخين سيجارته بكل هدوء . بينما تنضح كلماته بكل ما يتصف به من لامبالاة بكل العالم من حوله .

تابع أنطونى كلامه قائلا : " لو كنت مكانك يا ليموان ، لأخذت حذرى . وكنت حريصا فى كل خطوة أخطوها " .

فقال ليموان بتجهم : " لن تكون هناك أية أخطاء هذه المرة" .

" تبدو لى موقنا من أنك ستنتصر . إلا ان هناك شيئا اسمه الدليل ، كما تعلم " .

فابتسم ليموان ابتسامة كان فيها شيء لفت انتباه أنطونى فجلس وهو يطفيء سيجارته .

بينما قال المحقق الفرنسى : " أرايت تلك الرساله التى كتبتها للتو ؟ كانت مرسلة إلى رفاقى فى المقهى فقد وصلتنى من فرنسا بالأمس بصمات الأصابع ومقاييس الأذن الخاصة بالملك فيكتور ـ أو من يسمى بالكابتن أونيل . وقد طلبت منهم ان يرسلوها إلى هنا وما هى إلا بضع دقائق وبعدها سنتأكد مما إذا كنت هو ذلك الرجل أم لا " .

حدق فيه أنطونى بثبات وسرعان ما ارتسم شبح ابتسامة على وجهه .

"أنت بارع بالفعل يا ليموان . لم يخطر لى هذا ببال . فستصل هذه المستندات . وستجبرنى على أن أغمس اصابعى فى الحبر . أو أى كان ذلك السائل . وستاخذ مقاييس أذنى وتبحث عما لدىّ من علامات مميزة . ولو حدث وتطابقت الـ ـــــ "

فسأله ليموان : " وماذا إن تطابقت ؟ "

مال أنطونى بجسده إلى الأمام وهو جالس على المقعد .

قال فى هدوء شديد : " قل لى أنت . ما الذى سيحدث إن تطابقت ؟ " .

بوغت المحقق بهذا السؤال . " ما الذى سيحدث ؟ الذى سيحدث هو أننى عندها أكون قد نجحت فى أن أثبت للجميع أنك الملك فيكتور ! "

إلا أن نبرة كلماته عكست - وللمرة الأولى - شكوكا صارت تتنامى داخله الآن .

فقال أنطونى : " لا شك فى أن هذا سيرضيك تماما . ولكنى لا أدرى ما هو الضرر الذى سيصيبنى من جراء هذا . فأنا لم أقر بأى شيء . وحتى ولو افترضنا جدلا أننى الملك فيكتور - ربما كنت أحاول التوبة والتراجع عن كل أخطائى " .

" التوبة ؟ " .

" هذا ما أريد أن أقوله . ضع نفسك مكانه يا ليموان . استخدم خيالك . فهأنتذا قد خرجت للتو من السجن وتتهيأ للعودة للحياة من جديد . وقد فاتتك النشوة الجميلة الأولى لحياة المغامرة والشباب . بل ولنفترض أنك قد إلتقيت فتاة جميلة ، وتفكر فى الارتباط بها والاستقرار العائلى فى مكان ما فى الريف حيث يمكنك أن تمارس الزراعة . فأنت قد قررت من الآن فصاعدا أن تعيش حياة

بريئة . ضع نفسك فى مكان الملك فيكتور . ألا يمكنك أن تتخيل شعورا كهذا ؟ " .

فقال ليموان وهو يبتسم متهكما . " لا أعتقد أن هذا ممكن " .

" ربما تعجز عن تخيل هذا . إلا أنك فى النهاية لست الملك فيكتور ، أليس كذلك ؟ فلن يمكنك أن تعرف ما يشعر به " .

فاضطرب الفرنسى وهو يتمتم : " لكن ما تقوله ليس سوى محض هراء " .

" لا ، إنه ليس كذلك . قل لى الآن يا ليموان . لو كنت أنا الملك فيكتور ما هو الجرم الذى تتهمنى به ؟ لقد عجزت من قبل عن التحصل على أى دليل ضدى . أما أنا فأمضيت فترة عقوبتى . وهذا هو كل شيء . ربما يمكنك أن تقبض علىَّ محاسبا إياى على النية ليس إلا . ويا له من دليل غير مرض بالنسبة لك " .

قال ليموان : " لقد نسيت أمريكا ! ماذا عن تحصلك على المال من خلال انتحال هوية مزيفة . وادعائك بأنك الأمير نيكولاس أوبولوفيتش ؟ "

" لا فائدة يا ليموان . فأنا لم أكن أبدا فى أمريكا أو حتى فى مكان قريب خلال تلك الفترة . وهو الأمر الذى يسهل على إثباته فلو كان الملك فيكتور قد انتحل هوية الأمير نيكولاس فى أمريكا . فعندها لن أكون أنا الملك فيكتور . فهل أنت متأكد من كونه قد انتحل شخصيته

حقـا ؟ وأنـه لم يكـن الأمـير شخـصيا ولـيس شخـصا مزيفا ؟ " .

عندها قرر المحقق باتل فجأة أن يتدخل .

" نحن على يقين من أن الرجل كان محتالا بالفعـل يـا سيد كيد "

" ما كان لى أن أكذبك يا باتل . فلقد اعتدت أن تكـون دائما على حق . ولكن هل أنت على نفس هذا اليقين مـن أن الأمير نيكولاس قد لقى مصرعه فى الكونغو ؟ " .

نظر إليه باتل فى فضول .

" لا يمكننى أن أقسم على صحة هذا الأمر يا سيدى إلا أن هذا هو الاعتقاد السائد " .

" أنت رجل حريص . ما هو شعارك الذى أخبرتنـى به ؟ الكثير من الحبـال ، هـاه ؟ فهأنـذا أتبـع أسـلوبك . ومنحت السيد ليموان الكثير مـن الحبـال . فأنـا لم أنكـر اتهامه لى . لكننى أخشى أنه سيصاب بخيبـة الأمـل فـى نهاية المطاف . إننى أومن دائما بـأن هنـاك مـن سيخرج علينا بمفاجأة . وتوقعت أن خطبا ما سيحدث هنـا . لـذا فقد احتطت لنفسى تجاه ذلك بورقة رابحة كمـا يقولـون وهى ـ بل بالأحرى هو ـ فى الطابق العلوى " .

فتساءل اللورد كاترهام والذى كان معجبا بهـذه المبـارزة التى تجرى أمامه : " بالطابق العلوى ؟ " .

" بالفعل ، وقد عانى ذلك المسكين الأمـرين طيلـة كـل تلك الفترة التـى مـرت علينـا . لقـد شـج أحـدهم رأسـه . وكنت أعتنى بإصابته تلك " .

عندها تدخل السيد إيزاكشتاين فجأة بصوته العميـق : " هل يمكننا أن نخمن هوية ذلك الشخص ؟ " .

" لك هذا إن أردت ، ولكن ـــــ "

فقاطعه ليموان بشراسة مفاجئة :

" ما كل هذا إلا حماقة . هل تظن أنك ستخدعنى مـن جديد ؟ ربما كان ما تقوله صحيحا ـ وأنـك لم تكـن هنـاك فى أمريكا . فأنت أبرع من أن تكذب . إلا أن هنـاك أمـرًا غيره . جريمة القتل ! أجل ، هـذه الجريمـة التـى نحـن بصددها . جريمـة قتـل الأمـير مايكـل . لقـد تـصادف أن شاهدك فى تلك الليلة بينما كنت تبحث عن الجوهرة " .

" وهل سمعت من قبل عن أن الملك فيكتور قـد ارتكـب جريمة قتل يا ليموان ؟ " . كانت نبرة كلام أنطونى حادة هذه المرة : " أنت تعلم أكثـر منـى أنـه لم يـرق أيـة دمـاء طيلة حياته " .

فصاح فيـه ليمـوان : " ومـن غـيرك يكـون قـد قتلـه ؟ أجبنى ! "

ماتت هذه الكلمة الأخيرة على شفتيه ، حينمـا انطلـق صفير حـاد بالخـارج مـن عنـد الـشرفة . فـنهض أنطـونى بسرعة ، وقد ذهب عنه كل ما تظاهر به من لامبالاة .

صاح قائلا : "سألتنى عمن قتل الأمير مايكل ؟ وأنا لن أخبرك ـ بل سأريك إياه عيانا . فتلك الصافرة كانت الإشارة التى كنت أنتظرها . فقاتل الأمير مايكل موجود بالمكتبة الآن " .

فقفز من النافذة إلى الشرفة . وتبعه الباقون وهو يخطو عبر الشرفة . حتى وصلوا إلى نافذة المكتبة . فدفعها . فانفتحت فى سلاسة ويسر .

أزاح الستارة الثقيلة بهدوء جانبا . حتى يتسنى لهم النظر إلى ما فى الغرفة .

كان هناك شخص يقف عند أرفف الكتب غير واضح المعالم . يجذب الكتب فى عجالة ثم يعيدها إلى مكانها وهو فى غاية الاستغراق لدرجة أنه لم يلتفت إلى أى صوت بالخارج .

وبينما يراقبونه وهم يحاولون أن يخمنوا هوية ذلك الرجل الذى لا يبدو منه أى شيء فى تلك العتمة . التى لا يبددها سوى ضوء الكشاف الذى يحمله مرق من بينهم شخص وهو يزأر كوحش برى .

سقط الكشاف على الأرض . وانطفأ . وسرعان ما تعالى صوت عراك عنيف ليملأ الغرفة . فتحسس اللورد كاترهام طريقه حتى مفاتيح الإضاءة وأنارها .

كان هناك شخصان يتعاركان . وسرعان ما أتتهم النهاية وهم يراقبون ما يدور . فقد انطلقت رصاصة من مسدس . فترنح الجسد الضئيل ثم سقط صريعا . أما

الآخر فالتفت إليهم ـ وعيناه تلتمعان بالغضب . كان هذا هو بوريس .

قال وهو يهدر : " لقد قتلت سيدى . وتحاول الآن أن تطلق النار علىّ . كان من الممكن أن أنتزع منها المسدس لأقتلها به ، إلا أن الرصاصة انطلقت أثناء عراكنا قدرها أن تتلقى تلك الرصاصة لتموت هذه المرأة الشريرة " .

صاح جورج لوماكس فى دهشة : " امرأة ؟ " .

اقتربوا جميعا من الجثة التى جثمت على الأرض . ويدها لا تزال متشبثة بالمسدس . وقد انطبع على وجهها تعبير خبيث شرير ـ كانت جثة الآنسة برات .

الفصل ٢٨

الملك فيكتور

قال لهم أنطونى موضحا . " كنت أشك فيها منذ البداية . فقد كان هناك ضوء فى غرفتها ليلة الجريمة إلا أننى نحيت عنى هذه الشكوك فيما بعد . فقد قمت بالبحث عن خبايا حياتها فى بريتانى . واقتنعت حينها بأنها لم تكذب بشأن هويتها . إلا أننى كنت مغفلا . لأن الكونتيسة بريتيل كانت قد عينت امرأة اسمها الآنسة بران مربية لديها . وكان انطباعها عنها جيدا . إلا أنه لم يخطر لى أن تكون الآنسة بران الحقيقية قد اختطفت وهى فى طريقها لتسلم عملها الجديد . وأنها قد تكون استبدلت بامرأة أخرى . وبدلا من هذا نقلت شكوكى إلى السيد فيش . ولم تتبدد هذه الشكوك إلا حينما تبعنى إلى دوفر . وتناقش معى حينها فى كل هذه الأمور . وعندها اتضحت لى جوانب الصورة . فما إن علمت أنه محقق مباحث أمريكى . وأنه قد جاء فى أثر الملك فيكتور . حتى عادت شكوكى لتحوم حولها

إلا أن ما شغل بالى هو أن السيدة ريفيل كانت قد تعرفت بالفعل على هوية هذه المرأة . لكننى تذكرت أن هذا لم يحدث إلا بعد أن ذكرت لها أنها كانت مربية لدى السيدة بريتيل . فقالت لى وقتها إن هذا تفسير كون وجهها مألوفا بالنسبة لها . وسيخبركم المحقق باتل بأمر تلك المؤامرة التى حيكت لأجل منع السيدة ريفيل من الوصول إلى تشيمنيز . مؤامرة قامت على جثة قتيل . ولا شيء سوى هذا . ومع أن تلك الجريمة كانت من صنيع رفاق اليد الحمراء . كعقاب على خيانة مفترضة من جانب ذلك القتيل . إلا أن مسرح الجريمة . وغياب تلك العلامة التى يتركها أولئك الرفاق . هما ما جعلانى أعتقد أن من فعلها أذكى وأشد تنظيما منهم . ولقد انصب شكى منذ البداية فى وجود صلة مع هيرتزوسلوفاكيا . وقد كانت السيدة ريفيل المدعوة الوحيدة فى هذا الحفل والتى كانت هنا فى الريف من قبل . فشككت فى البداية فى أن يكون هناك من انتحل شخصية الأمير مايكل . إلا أنها كانت فكرة سرعان ما ثبت خطؤها . ولما أيقنت احتمال أن تكون الآنسة بران هى الجانى . وأضفت إلى هذا حقيقة أن وجهها كان مألوفا لدى السيدة ريفيل . بدأت الأمور تتضح أمام عينىّ . فقد كان واضحا أن من الحتمى والضرورى ألا يتعرف عليها أحد . وهو الأمر الذى كان سيفسده ظهور السيدة ريفيل "

فسأله اللورد كاترهام : " ولكن من هى ؟ هل هى امرأة تعرفت عليها السيدة ريفيل فى هيرتزوسلوفاكيا ؟ "

فقال أنطونى : " أعتقد أن سيدى البارون قد يستطيع إجابتك " .

نظر إليه البارون . ثم إلى ذلك الجسد القابع بلا حراك . وهو يسأله . " أنا ؟ "

" أمعن النظر إليها . ولا تخدعك كل هذه المساحيق . تذكر أنها كانت ممثلة ذات يوم " .

حدق فيها البارون من جديد . إلا أنه انتبه فجأة إلى ما قصده أنطونى

فقال فى دهشة : " يا إلهى . هذا محال " .

فسأله جورج : " ما هذا الذى هو محال ؟ من هى هذه السيدة ؟ هل تعرفت عليها يا سيدى البارون ؟ " .

تابع البارون التمتمة وكأنما لم يسمعه : " كلا . كلا . هذا محال . فقد لقيت مصرعها منذ زمن . كلاهما لقى مصرعه . على أعتاب القصر . وقد عثروا على جثمانها " .

نبهه أنطونى : " مشوها ولا يمكن التعرف عليه . لقد نجحت فى خداعكم . وأعتقد أنها قد فرت إلى أمريكا . حيث قضت هناك سنوات عديدة بعيدا عن جحيم رفاق اليد الحمراء . وتذكر أنهم كانوا ينادون بالثورة . أو لنقل إنها كانت هدفا لهم على الدوام . ولما أطلق سراح الملك فيكتور . خططا معا لاستعادة الجوهرة . كانت تبحث

عنها تلك الليلة حينما بوغتت بالأمير مايكل الذى تعرف عليها على الفور . لم يكن هناك أى خوف من أن تلتقيه فى أى محفل عام عادى ، والضيوف الملكيون لا يمكن أن يجمعهم بالمربيات مجلس واحد . كما أنها كانت تستطيع فى أى وقت بحجة إصابتها بالصداع النصفى ، مثلما فعلت يوم أن وصل البارون إلى هنا .

إلا أن الأقدار جمعتها بالأمير وجها لوجه ، وفى آخر لحظة توقعت أن تراه فيها . وهكذا انفضح أمرها . فلم تجد أمامها سوى أن تطلق النار عليه . وكانت هى من وضع المسدس فى حقيبة إيزاكشتاين . حتى تربك المحققين ، وكانت هى كذلك من أعاد الرسائل " .

عندها اقترب ليموان منه قائلا : " تقول إنها قد هبطت فى تلك الليلة لتبحث عن الجوهرة . ما الذى يمنع أنها كانت فى طريقها للقاء شريكها الملك فيكتور . والذى كان آتيا من الخارج ؟ هاه ؟ ما قولك فى هذا الرأى ؟ " .

تنهد أنطونى فى فروغ صبر .

" ألم تتجاوز هذه النقطة بعد يا عزيزى ليموان ؟ يا لك من عنيد ! ألم تنتبه إلى ما قلته لك من أن لدىَّ ورقة رابحة ؟ " .

حينها بدأ عقل جورج يتفاعل مع الموقف ببطء ، قائلا :

" الحيرة لا تزال تتملكنى . من هى هذه السيدة . أيها البارون ؟ يبدو لى أنك تعرفت عليها ، أليس كذلك ؟ " .

انتصب البارون بقامته فى أنفة

" أنت مخطيء يا سيد لوماكس . فأنا لم ألتق هذه المرأة من قبل . بل أقول لك بأنى لا أعرف عنها أى شيء تماما " .

" ولكنك ـــــ "

لم يستطع جورج أن يكمل عبارته ، وبقى ينظر إليه فى حيرة .

انتحى البارون به أحد أركان الغرفة . وأفضى إلى مسامعه ببعض الكلمات الهامسة . بينما تابعهما أنطونى باستمتاع كبير . خاصة لما انقلب وجه جورج وازداد احمرارا ببطء . وجحظت عيناه . بالإضافة إلى جميع أعراض السكتة الدماغية المعروفة . وسمعه يتمتم بصوت كالحشرجة .

" بالتأكيد .. بالتأكيد ... لا حاجة لذلك ... أبدا أبدا ... هذا يعقد الموقف ... لابد من التعامل معه بأقصى قدر من الحذر ... "

بينما ضرب ليموان سطح المنضدة براحة يده وهو يصيح : " آه ! لا يهمنى كل هذا ! لم يكن مقتل الأمير مايكل هو قضيتى . أريد الملك فيكتور " .

فهز أنطونى رأسه فى هدوء .

" إنى لآسف عليك يا ليموان . فأنت بحق شخص بارع . إلا أنك قريب من أن تفقد اللعبة بهجتها . فأنا على وشك أن ألعب بورقتى الرابحة " .

قالها وهو يخطو عبر الغرفة ليقرع الجرس . الذى أجابه تريدويل .

" أتى معى أحد السادة هذا المساء يا تريدويل " .

" أجل يا سيدى . سيد أجنبي"

" جميل هلا تفضلت وطلبت منه الحضور إلى هنا فى أسرع وقت ممكن ؟ "

" حاضر يا سيدى "

وهكذا انصرف تريدويل .

بينما قال أنطونى فى نبرة مسرحية . " الآن لتدخل ورقتى الرابحة ، السيد اكس الغامض . من هو ؟ ألن يخمن أحدكم من هو ؟ " .

فقال هيرمان إيزاكشتاين : " لو كانت الأمور منطقية . وبالنظر إلى تلميحاتك الغامضة هذا الصباح . وتصرفاتك هذا المساء ، فيمكننى القول بأن الحقيقة محسومة . فقد نجحت بطريقة أو بأخرى فى العثور على الأمير نيكولاس الهيرتزوسلوفاكى " .

" هل توافقه الرأى يا سيدى البارون ؟ " .

" نعم . ما لم يكن مجرد محتال آخر ينتحل شخصيته . إلا أننى أستبعد هذا فاتفاقاتك معى كانت فى غاية الشرف حتى الآن " .

" أشكرك يا سيدى البارون . ولن أنسى لك هذه الكلمات . إذن فأنتم توافقونه الرأى جميعا ؟ " .

مسح أنطونى بعينيه أرجاء المكان والوجوه المترقبة . وحده ليموان كان مشغول البال . مثبتا عينيه فى تجهم على سطح المنضدة

سمعت أذنا أنطونى المرهفتان صوت خطوات قادمة من الردهة .

فقال بابتسامة غامضة : " إلا أننى أقول لكم إنكم جميعا كنتم مخطئين ! "

قالها وهو يسرع نحو الباب ويفتحه

كان يقف عند مدخله رجل ذو لحية سوداء أنيقة . ونظارة ، والمظهر متأنق جدا لا يفسده سوى ضمادة أحاطت برأسه .

" اسمحوا لى أن أقدم لكم السيد ليموان الحقيقى من سوريتيه . مكتب التحريات الفرنسى " .

بعدها ساد الهرج والمرج فى المكان . تغلفهما الدهشة وعدم التصديق . ثم جاء صوت السيد هيرمان فيش المميز بخنفته رقيقا ومطمئنا فى هدوء من عند النافذة :

" كلا . لا تفعلها يا بنى ـ ليس هكذا . فلقد بقيت فى مكانى هنا طيلة المساء ولا هدف لى سوى أن أمنعك من الهرب . سوف ترى انى مسلح جيدا أيضا . وقد اتيت لأنال منك . وقد وصلت إليك بالفعل ـ إلا أنى أشهد لك بالبراعة ! " .

الفصل ٢٩

المزيد من التوضيح

قال له هيرمان إيزاكشتاين لاحقا فى ذلك المساء " أعتقد أنك مدين لنا بتوضيح يا سيد كيد "

فقال أنطونى فى تواضع - " ليس هناك الكثير مما يستدعى التوضيح . فلقد توجهت إلى دوفر بينما تبعنى فيش معتقدا أننى الملك فيكتور . وهناك عثرنا معا على غريب غامض محتجز هناك . وما إن سمعنا حكايته حتى تبينت لنا اغلب الحقائق - ترى أنها نفس الفكرة التقليدية تتكرر يتم اختطاف الشخص الحقيقى . ويستبدل بشخص مزيف - وفى هذه المرة كان الملك فيكتور نفسه ، ولكن بدا لى أن باتل ظل على الدوام يظن أن هناك أمرا غريبا فى زميلة الفرنسى هذا . فابرق إلى باريس طلبا لبصمات أصابعه وبقية ما يثبت لنا هويته " .

فصاح البارون - " آه ! البصمات . وبصمة الأذن . التى تحدث عنها ذلك المحتال ؟ "

قال انطونى مواصلا حديثه : " كانت فكرة عبقرية ، وقد أعجبت بها كثيرا لدرجة اننى لم أجد بدا من أن أساعد باتل على تنفيذها كما أن قيامى بهذا أصاب ليموان المزيف بارتباك شديد وترون أنى ما إن علمت بحقيقة ما تعنيه تلك الصفوف من الحروف ، وبمكان الجوهرة الحقيقى ، حتى صار عليه أن يبلغ شريكه بالخبر ، وأن يبقينا جميعا داخل الغرفة فى ذات الوقت . والحقيقة أن رسالته كانت فى طريقها إلى الآنسة براون . فقد أخبر تريدويل بأن يسلمها على الفور . فلم يسع تريدويل سوى أن يصعد إلى الطابق العلوى حيث غرفة الدرس وقد اتهمنى ليموان بأنى الملك فيكتور . وكان مقصده من ذلك تشتيت الانتباه حتى يمنع أى أحد من مبارحة المكان ، ومع اتضاح حقيقة الأمور وتوجهنا جميعا إلى المكتبة بحثا عن الجوهرة . كان مقتنعا بأنها لم تعد فى مكانها ! " .

هنا تنحنح جورج قائلا فى غرور :

" على أن أقول لك يا سيد كيد إننى قد وجدت فى تعاملك مع الموقف برمته الكثير من التهور الذى على أن اعنفك عليه فلو كان قد اصاب خطتك أى خلل ، لاختفت واحدة من ممتلكاتنا القومية بلا رجعة ، كان ذلك طيشا وتهورا منك يا سيد كيد " .

فتدخل السيد فيش فى الحوار قائلا : " يبدو لى أنك لم تتنبه إلى حقيقة بسيطة يا سيد لوماكس ، فتلك الجوهرة التاريخية لم تكن أبدا خلف الكتب بالمكتبة "

" أبدا ؟ " .

" ولا حتى منذ أمد بعيد " .

فبادر أنطونى بالتوضيح : " كما ترى ، فإن ذلك اللغز الذى تركه لنا الكونت ستيلبتيتش لم يكن يعنى سوى معناه الظاهرى ليس إلا - أى مجرد وردة ولقد توصلت إلى هذا فجأة ظهيرة يوم الاثنين ، فتوجهت من فورى إلى حديقة الورد . وكان السيد فيش قد توصل بالفعل إلى نفس الفكرة ، فلو وقفت وظهرك للساعة الشمسية ، ومن ثم سرت سبع خطوات للأمام ، وبعدها ثمان إلى اليسار وثلاثا إلى اليمين ، تصل إلى شجيرات حجرية ذات وردة حمراء زاهية ، يسمونها ريتشموند . لقد قلب المنزل رأسا على عقب بحثا عنها ، إلا أن أحدا لم يخطر بباله أن ينقب بالحديقة . وأنا أقترح عليكم أن نجتمع فنحفر لاستخراجها صبيحة الغد " .

" إذن فتلك الحكاية عن الكتب بالمكتبة كانت ـــــ "

" من وليد خاطر حتى أوقع بتلك السيدة . بينما بقى السيد فيش قابعا لأمد طويل يراقب الشرفة ، وأطلق صفيره حينما جاءت اللحظة الحاسمة ويمكننى القول بان السيد فيش وأنا قد فرضنا الأحكام العرفية على ذلك المنزل فى دوفر ، ومنعنا الرفاق من الاتصال بزعيمهم

ليمون المزيف . والذى كان قد أرسل لهم أمرا بإخلاء المنزل . فعاد إليه الرد من جانبنا بأن هذا قد تم . وهكذا قرر المضى قدما فى مخططه الرامى إلى اتهامى بأننى الملك فيكتور "

فقال اللورد مبتهجا : "جميل . جميل . فها قد اتضحت كل الأمور . وعادت إلى نصابها من جديد "

فبادره إيزاكشتاين : "جميعها سوى أمر وحيد "

" وما هو ؟ "

كان رجل الأعمال الكبير ينظر إلى أنطونى فى ثبات .

" ما الذى دعاك إلى أن تأتى بى إلى هنا ؟ ألمجرد أن أشارك فى ذلك المشهد الدرامى كمتفرج متحمس ؟ " .

فهز أنطونى رأسه نافيا هذا

" كلا يا سيد إيزاكشتاين . فأنا أعلم أنك رجل مشغول ووقتك ثمين . ولكنى أسألك . ما الذى أتى بك إلى هنا فى المرة الأولى ؟ "

" للتفاوض حول قرض "

" مع من ؟ "

" الأمير الهيرتزوسلوفاكى مايكل " .

" بالضبط . والأمير مايكل ميت الآن . فهل أنت مستعد أن تقدم نفس القرض ووفق نفس الشروط لابن عمه نيكولاس ؟ " .

" وهل بوسعك أن تأتى به ؟ فقد عرفت بأنه قد لقى مصرعه فى الكونغو ؟ "

" لقد قتل بالفعل . وأنا من قتله . مهلا . . . فأنا لست بقاتل ، وإنما أعنى بأنى من نشر شائعة مصرعه . وأعدك بأن تجلس مع أمير . هل أصلح لهذا الدور يا سيد إيزاكشتاين ؟ "

" أنت ؟ " .

" نعم . أنا هو . نيكولاس سيرجيوس ألكسندر فيرديناند أوبولوفيتش . اسم أطول من أن أحمله طيلة حياتى . لذا فقد رأيت أن أخرج من الكونغو واسمى أنطونى كيد " .

عندها قفز الكابتن أندراسى فى اندهاش :

" لكن هذا لا يصدق . لا يصدق . انتبه يا سيدى لما تقول "

فقال أنطونى فى هدوء : " بوسعى أن أعطيك العديد من الإثباتات . والتى أعتقد أنها قادرة على إقناع البارون " .

فرفع البارون رأسه .

" بالفعل . وسأتفحص هذه الإثباتات . لكننى لست محتاجا إليها فى الحقيقة . فتكفينى كلمتك . كما أنك شديد الشبه بأمك الإنجليزية . ولطالما كنت أقول لنفسى منذ أن رأيتك إنك لابد أن تكون من أصول عريقة " .

"كنت تثق بى على الدوام أيها البارون . وبوسعى أن اطمئنك بأنى لن أنسى لك هذا فيما سيتلو من أيام " .

بعدها نظر تجاه المحقق باتل . والذى بقى وجهه على تعبيراته المحايدة

قال له أنطونى متبسما " يمكنكم بالطبع أن تتفهموا أن موقفى كان حساسا للغاية تجاه كل من هم فى هذا المنزل . فربما كنت من المفترض أنا أول مستفيد من مصرع مايكل أوبولوفيتش فى نظرهم . فأنا الوريث التالى للعرش لذا فقد كنت على الدوام أخشى من باتل . كنت أشعر دائما بأنه لا يتوقف عن الشك فى ، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يضع يده على أى دافع لارتكابى الجريمة"

فقال المحقق " لم أعتقد أبدا ولو لدقيقة أنك من قتله يا سيدى . دوما ما يكون لأمثالنا حدس تجاه هذه الأمور كل ما لاحظته هو أنك خائف من أمر ما . وأن بك شيئا يحيرنى . ولو كنت قد أحطت علما فى وقت مبكر بهويتك الحقيقية . لكنت قد وجدت فى هذا دليلا كافيا ، ولألقيت القبض عليك " .

" كم أن سعيد لنجاحى فى إخفاء أحد الأسرار عنك . أما أنت فقد كنت تخفى عنى كل شيء . فأنت بارع بالفعل فى عملك يا باتل وسأبقى على احترامى الدائم لسكوتلاند يارد " .

عندها تمتم جورج قائلا " تلك قصة عجيبة . بالغة العجب ـ من الصعب علىّ تصديقها هل أنت متأكد أيها البارون من أن ـــــ "

فقال أنطونى وقد اكتسبت نبرة صوته بعض الصرامة " عزيزى السيد لوماكس . ليست لدىّ أية نية لأن أطلب من مكتب الخارجية البريطانى أن يدعمنى فى مطالبتى بالعرش . من دون أن أقدم له المستندات التى تثبت لكم هويتى . وأقترح عليكم ان يذهب كل منا إلى شأنه الآن . على أن تبقى أنت والبارون مع السيد إيزاكشتاين ومعى لنناقش شروط القرض " .

نهض البارون واقفا فى ثبات . وهو يضرب كعبيه ببعضهما البعض بحركة عسكرية

قال له فى جدية : "ستكون هذه هى أشد اللحظات فخرا فى حياتى . حينما أراك ملكا لبيرتزوسلوفاكيا "

فقال له أنطونى فى لامبالاة . وهو يدس يده فى ذراع الرجل " أوه . بالمناسبة أيها البارون . فقد نسيت أن أخبرك بشيء وهو امر له صلة بهذا الشأن . إننى متزوج " .

عندها تراجع البارون خطوة أو خطوتين . وقد ارتسمت خيبة الأمل على محياه .

قال فى وجوم " كنت أشعر بأن الأمور لن تسير كما أشتهى . يا إلهى الرحيم فى السماء ! لقد تزوج امرأة من زنوج أفريقيا ! "

فضحك أنطونى لدى سماعه هذا " حقا نينك . ليس الأمر على هذه الدرجة من السوء بل هى بيضاء . بيضاء تماما . باركها الله "

" فهى علاقة زوجية متكافئة إذن " .

" لا شك فى هذا . وستصبح ملكة تليق بملك . ولا تخشى شيئا . فهى مؤهلة تماما لأن تقوم بهذا الدور . فهى ابنة نبيل إنجليزى تعود أصول عائلته إلى زمن الفاتح . كما أن الاتجاه السائد هذه الأيام هو أن يتزوج أفراد العائلات الملكية من العائلات الأرستقراطية - كما أنها على معرفة بهيرتزوسلوفاكيا " .

هنا صاح جورج لوماكس مذعورا وخرج عن أسلوب حديثة المعتاد الذى يتسم بالحرص . " يا إلهى . لا تقل لى إنها . . . إنها فيرجينيا ريفيل "

"هى بالتأكيد . . . فيرجينيا ريفيل "

فصاح اللورد فى جذل : " يا لصديقى العزيز . أقصد . . . سيدى . إننى أهنئك على اختيارك . فهى مخلوقة بالغة اللطف " .

" أشكرك يا لورد كاترهام هى كما قلت وأكثر "

إلا أن السيد إيزاكشتاين بقى يحدق فيه بكل فضول إلى أن قال له :

" اعذرنى سموك فى هذا السؤال . ولكن متى تمت هذه الزيجة ؟ " .

عندها ابتسم له أنطونى قائلا :

" الحقيقة أننى لم أتزوجها إلا هذا الصباح " .

الفصل ٣٠

أنطونى يلتحق بوظيفة جديدة

قال أنطونى " لو ذهبتم الآن أيها السادة . فسأتبعكم خلال دقيقة "

انتظر حتى ذهب الآخرون . ثم التفت إلى حيث يقف المحقق باتل . والذى كان منشغلا فى تفحص ألواح الجدران .

" حسنا يا باتل ؟ ألا تود أن تطرح على أى سؤال ؟ "

" بالفعل يا سيدى . مع أنى لا أعلم كيف خمنت هذا . لكننى أدركت ومنذ البداية أن لديك فراسة خاصة . لقد فهمت أن السيدة التى لقيت مصرعها كانت الملكة فاراجا ؟ " .

" هذا صحيح يا باتل وأتمنى ألا يعرف أحد بهذا بوسعك أن تفهم ما أشعر به بالنسبة للعائلة والتكتم على فضائحها " .

" عليك أن تثق فى السيد لوماكس فى هذا الشأن يا سيدى ـ لن يعرف بهذا أى أحد وحتى وإن عرف بهذا عدد كبير . إلا أن السر لن يخرج لنعلن " .

" هل هذا ما كنت تود أن تسألنى عنه ؟ " .

" كلا يا سيدى ـ فتلك كانت ملحوظة سريعة . فلدىّ فضول لأن أعرف السبب الذى دفعك إلى تغيير هويتك ـ هذا إن كان لى أن أسأل من الأصل ؟ " .

" لا بأس فى سؤالك هذا وسأخبرك عن السبب لقد اشعت نبأ مصرعى لدوافع بعينها يا باتل فلقد كنت والدتى إنجليزية . كما أننى تلقيت تعليمى فى إنجلترا . لذا فقد كنت شديد الاهتمام بإنجلترا مقارنة بهيرتزوسلوفاكيا . وكنت أشعر بأنى واحد من هؤلاء المغفلين الذين يتحركون فى كل مكان من العالم محاطين بتلك الأبهة والبطانة الكوميدية . لما كنت صغيرا جدا كانت لدىّ أفكار ديمقراطية نؤمن بالمثل العليا وبأن الكل سواسية . ولم يكن لدىّ أى إيمان بفكرة الملوك والأمراء هذه "

فتساءل باتل فى خبث : " ومن وقتها ؟ " .

" أوه . من وقتها وأنا فى ترحال للتعرف على العالم وأتعلم أن هذه المساواة مفقودة إلا فى قليل من بقاعه وإننى مازلت على إيمانى بالديمقراطية . ولكن عليك أن تفرضها على الشعب بقبضة حديدية ـ وأن تطعمها لهم اطعاما . فالناس لا يريدون أن يصبحوا أخوة ـ قد يحدث

هذا يوما ما . إلا أنهم لا يريدون هذا الآن لقد ماتت قناعتى بهذه الأخوة فى ذلك اليوم الذى وصلت فيه إلى لندن منذ أسبوع . حينما رأيت أناسا يتقيئون داخل قطار المترو يرفضون أن يتنحوا قليلا ليفسحوا مكانا لمن يدلف إلى القطار عند المحطات . فليس بوسعك أن تحول الناس إلى ملائكة عن طريق التركيز على أفضل ما فى طبائعهم ـ إلا أنك ومن خلال القوة المنعقلة تستطيع أن تجبرهم على اتباع السلوك الحسن . والتعامل اللائق مع بعضهم البعض أنا ما زلت مؤمن بالأخوة بين البشر . إلا أن هذا لن يحدث بين عشية وضحاها ربما تطلب الأمر عشرة آلاف عام أو يزيد . وعليك ان تتحلى بالصبر والجلد . فالتطور عملية تستغرق وقتا "

فقال باتل وعيناه تختلجان : "إننى شديد الاهتمام بآرائك هذه يا سيدى وأنا على قناعة بأنك سوف تكون جديرا حقا بأن تكون ملك تلك البلاد . إن سمحت لى بقول هذا "

فتنهد أنطونى قائلا : " أشكرك يا باتل "

" ومع هذا . فأنت لا تبدو سعيدا بهذا يا سيدى ؟ " .

" لا أدرى بوسعى أن أقول إن الأمر سيكون ممتع ولكننى لا أرتاح لفكرة ممارسة عمل منظم وهو الأمر الذى كنت أهرب منه دائما فيما مضى "

" ولكنى أعتقد أنك ترى هذا المنصب واجبا عليك . أليس كذلك ؟ " .

" ليس الأمر هكذا على الإطلاق ! بل هى المرأة ـ فتش دائما عن المرأة يا باتل . يمكننى أن أفعل ما هو أكثر من أن أكون ملكا ، وكل هذا لأجلها هى "

" بالتأكيد يا سيدى " .

" لقد عملت على أن تجرى الأمور بحيث لا يعترض البارون وإيزاكشتاين . فالأول يريد ملكا والثانى يريد النفط وكلاهما سينال ما يريد . أما أنا فسأنال ... أوه يا إلهى ... هل سبق وأن وقعت فى الحب يا باتل ؟ " .

" إننى واقع فى غرام السيدة باتل يا سيدى " .

" واقع فى غرام السيدة . أوه ، أنت لم تفهم مقصدى ! فالأمر مختلف عن هذا كليا ! "

" معذرة يا سيدى ، فخادمك ذاك ينتظرك خارج النافذة "

" بوريس ؟ هو كذلك بالفعل . إنه شخص رائع . لقد كان من حسن الحظ أن انطلقت تلك الرصاصة خلال العراك فقتلت السيدة . وإلا لكان بوريس قد حطم عنقها بيديه تحطيما . وعندها كنت ستلقى أنت القبض عليه ليعدم. فبو شديد الارتباط بأسرة أوبولوفيتش المالكة لكن الغريب هو سرعة ارتباطه بى ما إن لقى مايكل مصرعه ـ رغم أنه قد يكون لم يدر شيئا بعد عن هويتى الحقيقية " .

" إنها الغريزة يا سيدى . مثل التى لدى أى كلب وفى "

" كنت أرى ذلك غريبا جدا وقتها . بل لقد خشيت أن يدفعنى هذا إلى الشك فى حقيقتى . أعتقد أن من الأفضل أن أذهب لأرى ما الذى يريده " .

خرج أنطونى عبر النافذة بينما تتبعه المحقق باتل ، ـ الذى صار وحيدا ـ بنظره لبضع لحظات . ثم عاد ليتأمل ألواح الجدران .

قال لنفسه : " سيكون ملكا جيدا " .

وفى الخارج . كان بوريس يحاول أن يشرح ما يريد .

" سيدى " ، قالها ثم تقدم عبر الشرفة .

تبعه أنطونى . وهو يتساءل عما قد يكون هناك .

إلا أن بوريس توقف وهو يشير بسبابته . كانت الليلة مقمرة . وشاهدا أمامهما تحت نور القمر مقعدا حجريا يجلس عليه شخصان .

قال أنطونى لنفسه : " إنه ليس وفيا فقط . بل مرشدا أيضا ! "

تقدم أنطونى للأمام . أما بوريس فاختفى كما ظهر .

نهض الشخصان للقائه فوجد أمامه فيرجينيا وبصحبتها شخص آخر . وسرعان ما قال هذا الأخير فى جذل وبصوت يتذكره جيدا

" مرحبا يا جو . إن صحبة فتاتك هذه لممتعة بالفعل " .

فصاح أنطونى : " جيمى ماكجراث . كم هى مفاجأة سعيدة ! أى ريح طيبة أتت بك إلى هنا ؟ "

" لم تكن رحلتى إلى الداخل كما توقعت . إلى أن جاءنى أحدهم يتلصص . وهو يريد أن يشترى منى المخطوط . بل لقد كادوا يسلبوننى حياتى فى إحدى الليالى بسبب ذلك المخطوط . وهو الأمر الذى جعلنى أومن بأننى قد أسديت إليك مهمة أصعب مما كنت أعتقد وظننت أنك قد تكون بحاجة لمساعدة . وهكذا لحقت بك مستقلا أول سفينة متجهة إلى هذه البلاد " .

فقالت فيرجينيا : " أليس هذا تصرفا نبيلا من جانبه ؟ " . ثم قرصت ذراع جيمى . وهى تضيف " لماذا لم تخبرنى بمدى لطفه من قبل ؟ أنت شخص عزيز يا جيمى " .

فقال أنطونى : "يبدو لى أنكما قد صرتما صديقين عزيزين بالفعل " .

رد جيمى : " بالتأكيد . لقد كنت أتتبع أخبارك حينما التقيت هذه السيدة وجدت أن شخصيتها على نقيض ما تخيلته ـ فلقد ظننتها سيدة مجتمع متكبرة . لن تسبب لى سوى المتاعب "

. فقالت : " لقد أخبرنى بكل شىء عن تلك الرسائل وكم خجلت من نفسى لأنى لم أكن فى ورطة حقيقية بسببها حينما ظهر لى هذا الفارس الرحالة " .

فعلق جيمى فى شهامة : " لو كنت أعرف حقيقة طباعك . لما أعطيته الرسائل . بل لقد كنت أتيت بها بنفسى إليك . قل لى أيها الشاب . هل انتهى كل شىء ؟ ألا يوجد أية مهمة يمكننى القيام بها ؟ " .

فقال أنطونى : "بالطبع ! انتظر لحظة ! "

وسارع إلى داخل المنزل . وما هى إلا دقيقة أو دقيقتان حتى عاد ومعه مجموعة من الأوراق وضعها بين ذراعى جيمى .

" اذهب إلى المرآب واختر السيارة التى تعجبك . وتوجه إلى لندن كى تسلم هذا الطرد فى ١٧ ميدان إيفردين . ذلك هو عنوان السيد بالدرسون . وفى مقابل ذلك سيسلمك الألف جنيه "

" ماذا ؟ هل هذه هى المذكرات ؟ لقد قالوا لى إنها قد أحرقت " .

فأنبه أنطونى قائلا : "هل كنت تعتقد أننى لأنخدع بشائعة كهذه ؟ لقد سارعت بالاتصال بالناشرين . وعرفت أن تلك المكالمة الأخرى كانت زائفة . واتفقت معهم على هذا الأساس . فاتفقنا على أن أعد طردا زائفا . لكننى وضعت الطرد الحقيقى فى خزانة المدير . وسلمتهم الزائف . وهكذا فإن المذكرات كانت بحوزتى طيلة الوقت " .

" هذا هو أنطونى الذى أعرفه " .

فصاحت فيرجينيا : " وهل ستتركهم ينشرونها ؟ "

" لا يمكننى أن أخذل صديقى جيمى . إلا أنه لا داعى لكل هذا القلق . فقد كان لدىّ الوقت الكافى لقراءتها . وعلمت الآن سبب الاعتقاد الشائع بأن الأشخاص المهمين لا يكتبون مذكراتهم ، بل يستأجرون من يقوم بكتابتها لهم . فأسلوب كتابة ستيلبنيتش بالغ السوء ومملّ . لقد أخذ يكتب عن فنون السياسة ، ولم يذكر أى قصص فاضحة أو طائشة . يبدو لى أن ولعه بالسرية قد سيطر عليه حتى النهاية . فليست هناك أية كلمة بالمذكرات من بدايتها وحتى نهايتها يمكن أن تؤثر فى أصعب السياسيين مراسا . وقد اتصلت بالدرسون اليوم . واتفقت معه على أن أسلم المخطوط قبل منتصف هذه الليلة . والآن صار بوسع جيمى أن ينجز مهمته بنفسه ، طالما وصل إلى هنا " .

" سأنصرف . كم أنا سعيد بأننى سأنال الألف جنيه ، خاصة بعد أن كنت قد فقدت الأمل فيها " .

فقال أنطونى : " لحظة . فلدىّ اعتراف أود أن أبوح به لك يا فيرجينيا . إنه أمر يعرفه الجميع ، إلا أننى لم أخبرك به من قبل " .

" لا يهمنى كم امرأة أحببتها من قبل ، طالما لم تخبرنى أنت بهذا " .

فقال أنطونى فى تواضع : " نساء ! أتتحدثين عن النساء ؟ اسألى جيمس إذن عن تلك النسوة التى كن معى فى آخر مرة التقانى فيها " .

فقال جيمى بكل جدية : " لم تكن منهن من كانت أقل من الخامسة والأربعين " .

" أشكرك على هذه الشهادة يا جيمى . أنت صديق مخلص . وما يحزننى هو أننى قد أخفيت عنك أيضاً هويتى الحقيقية " .

فقالت فيرجينيا فى اهتمام : " وهل هو اسم من تلك الأسماء المروعة ؟ هل هو على شاكلة بوبوليس مثلا ؟ تخيل لو أن اسمك السيد بوبوليس "

" تسيئين الظن بى على الدوام " .

" أعترف لك بأنى قد كنت أشك فى لحظات معينة فى أنك الملك فيكتور . إلا أن ذلك الشك لم يستغرق أكثر من دقيقة ونصف " .

" بالمناسبة يا جيمى ، لدىّ مهمة أخرى لك ـ ألا تود أن تنقب عن الذهب فى جبال هيرتزوسلوفاكيا ؟ " .

فسأله جيمى فى لهفة : "وهل يوجد ذهب هناك ؟ " .

" بالتأكيد . فهى بلاد رائعة " .

" فهل ستقبل نصيحتى وتذهب إلى هناك إذن ؟ "

" نعم . فلقد كانت نصيحتك أثمن مما تتخيل . والآن حان وقت الاعتراف . إننى لم أستبدل بطفل آخر عند ميلادى أو أى شىء من تلك القصص المؤثرة . ولكن اسمى الحقيقى هو الأمير نيكولاس أوبولوفيتش الهيرتزوسلوفاكى " .

فهتفت فيرجينيا : " أوه . أنطونى يا له من اسم جميل ! كما أننى قد تزوجتك ! والآن ما الذى سنقوم به حيال ذلك ؟ "

" سنذهب إلى هيرتزوسلوفاكيا . ونتصرف كملك وملكة وقد قال لى جيمى ماكجراث ذات مرة إن متوسط حياة الملك والملكة هناك يقل عن أربع سنوات فأتمنى ألا تجدى غضاضة فى هذا ؟ "

" أجد غضاضة ؟ ! بل إننى أحب هذا ! "

فتمتم جيمى قائلا : " كم هى رائعة ! "

بعد ذلك قرر أن ينسحب وسط الظلام دون أن يشعرا به . وما هى إلا دقائق حتى سمعا صوت سيارة .

فقال أنطونى فى ارتياح . " لا شىء أجمل من أن تتركى رجلا يقوم بعمله القذر بنفسه كما أننى لم أجد طريقة غير هذه حتى أتخلص منه . فلم أحظ بدقيقة واحدة معك وحدك منذ أن تزوجنا " .

" أوقات المرح لا تزال كثيرة أمامنا . أن نعلم قطاع الطرق ألا يكونوا قطاع طرق . والقتلة ألا يكونوا قتلة . نعمل على رفع المستوى الأخلاقى للبلاد ككل " .

" يعجبنى سماع هذه الأفكار المثالية . تشعرنى بأن تضحيتى لم تذهب سدى " .

فقالت فيرجينيا فى هدوء " ستستمتع بكونك ملكا . لا تنس أن الدم الملكى يجرى فى عروقك . ولقد تربيت وفق الأصول الملكية . ولديك ميل طبيعى تجاه هذه

المهمة . تماما كما يميل عمال الأدوات الصحية إلى ممارسة أعمالهم "

" لم أعتقد أبدا أن لديهم هذا الميل . ولكن تبا لكل هذا . دعينا لا نضيع الوقت فى الحديث عن السباكين . أتعلمين أنه كان من المفترض أن أكون فى هذه اللحظة بالذات مع إيزاكشتاين والعجوز لوليبوب ؟ يريدان التفاوض حول النفط النفط . يا إلهى ! يمكنهم أن ينتظروا منى الرضا الملكى فحسب . أتذكرين يا فيرجينيا يوم أن أخبرتك بأنى أحاول أن أجعلك تهتمين بى ؟ "

فقالت فيرجينيا فى عذوبة : " أتذكر هذا . إلا أن المحقق باتل كان ينظر من النافذة " .

" ولكنه لا ينظر إلينا الآن " .

ضم جسدها بغتة إليه . ثم قبّل رموش عينيها . وشفتيها . وشعرها الذهبى . . .

همس لها : " إننى متيم بك يا فيرجينيا أعشقك أتحبيننى ؟ " .

كان يتطلع إليها ـ وهو متيقن من الإجابة

فأسندت رأسها إلى كتفه وهى تجيبه بصوت هامس حيى عذب :

" بالتأكيد ! "

فصاح أنطونى فى جذل . وهو يقبلها من جديد . " أيتها الشيطانة الصغيرة . الآن تيقنت من أنى سأظل أحبك حتى الموت . . . "

الفصل ٣١

تفاصيل مختلفة

المشهد ــ تشيمنيز . الساعة الحادية عشرة صباح الخميس .

كان جونسون رئيس الشرطة يحفر الأرض وقد خلع عنه معطفه .

خيم على المكان جو جنائزى . حيث وقف الأصدقاء والأقارب حول القبر الذى يحفره جونسون .

كان جورج لوماكس يتصرف بما ينم عن أنه المنتفع الرئيسى من وصية المتوفى . بينما كان المحقق باتل ــ بوجهه الخالى من التعبيرات ـ سعيدا بأن مراسم الجنازة قد جرت بسلاسة . والفضل يرجع اليه بصفته القائم عليها . وكانت الجدية والصدمة معتزجتين على محيا اللورد كاترهام . كشأن أى إنجليزى يحضر مراسم دينية .

لم يكن السيد فيش حزينا إلى تلك الدرجة . فبدا غير متفاعل مع الموقف

كان جونسون يحفر بكل جد . حتى انتصب واقفا فجأة . فساد بعض الحماس

قال له فيش : " يكفى هذا يا بنى . يكفى هذا الآن " .

كان يعطى انطباعا بكونه طبيب العائلة

صعد جونسون من مكانه . بينما انحنى السيد فيش بكل جدية فوق الحفرة . وكأنه جراح على وشك القيام بعملية جراحية

أخرج لوماكس علبة صغيرة من القماش . وناولها بحركة مسرحية إلى المحقق باتل . الذى ناولها بدوره إلى جورج لوماكس . فى التزام تام بقواعد وأصول موقف كهذا

فك جورج لوماكس غلاف العلبة . وشق الطبقة الحريرية التى غلفت العلبة كذلك . وظل يقبض للحظات على شىء براحة يده ـ ثم سرعان ما دسه مرة أخرى فى قطن طبى .

حينئذ تنحنح فيش ثم بدأ الحديث بلباقة خطيب مفوه :

" فى هذه اللحظة السعيدة " .

نجح اللورد كاترهام فى أن ينسحب بنفسه بسرعة . حيث وجد ابنته لدى الشرفة .

" هل سيارتك على ما يرام يا بندل ؟ " .

" أجل . لماذا تسأل ؟ " .

" خذينى إذن إلى البلدة على الفور ـ فقد قررت أن أرحل خارج البلاد ـ اليوم " .

" ولكن يا أبى ... "

" لا تجادلينى يا بندل فحينما وصل جورج لوماكس هذا الصباح أخبرنى بأنه متلهف على أن يتحدث معى على انفراد بخصوص مسألة حساسة لقد قال إن ملك تيمبكتو على وشك الوصول إلى لندن وأن لن أخوض غمار ذلك من جديد يا بندل . هل تسمعيننى ؟ ولو فى مقابل خمسين من عينة جورج لوماكس ! لو كان لتشيمتيز أية قيمة لدى هذه الأمة ، فلتشترها الأمة إذا ، وإلا فسوف أبيعها لأية مؤسسة تجارية ، وبوسعها عندئذ أن تحولها إلى فندق " .

" وأين ذلك البرلمانى الآن ؟ "

كانت بندل تحاول أن تثبت أنها أهل للتعامل مع الموقف .

قال لها اللورد وهو ينظر إلى ساعته : " مضت ربع الساعة عليه الآن وهو يلقى بواحدة من خطبه "

ننتقل إلى صورة أخرى الآن

كان السيد بيل إيفرسلاى ـ والذى لم تتم دعوته إلى تلك المراسم فى المقبر ـ يتحدث عبر الهاتف

" كلا . بل أنا أعنى هذا . أقول ـ لا تكونى غضوبة .. ستتناولين العشاء معى هذه الليلة . على أية حال ؟ ... كلا . لقد التزمت بهذا رغم كل ما واجهته .

وأنت لا تعلمين طبيعة هؤلاء البرلمانيين .. تعلمين يا دولى وعن يقين حقيقة مشاعرى تجاهك ... وتعلمين بأنى لم أهتم بأحد سواك ... أجل . سأحضر العرض أولا . ماذا كانت تقول كلمات الأغنية القديمة ؟ والصغيرة تحاول . بالخطافات وبالأعين ... "

كان صوت السيد إيفرسلاى لا يطاق وهو يدندن بنغمة تلك الأنشودة .

فى تلك اللحظة كانت خطبة جورج على وشك نهايتها .

" ... السلام والرخاء الدائم للامبراطورية البريطانية ! " .

بينما قال السيد هيرام فيش هامساً لنفسه وللعالم كله :

" أعتقد أن هذا الأسبوع الذى مضى كان واحدا من الأسابيع التى لا تنسى " .

www.liilas.com vb3
uploaded and scanned by:
THE GHOST 92

****

سبحان الله و بحمده.....سبحان الله العظيم

تمت بحمد الله و توفيقه

أجاثا كريستي Agatha Christie

سر جريمة تشيمنيز

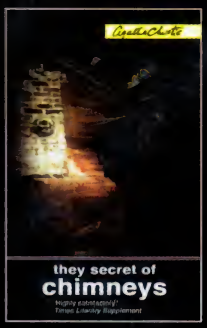

لم يكن «أنطوني كيد» يتصوّر أن مهمة تافهة سيقوم بها نيابة عن صديق، تجعله محور مؤامرة دولية خطيرة. فلن يتمكن أحد من منع عودة الملكية إلى الحكم في دولة (هيرتسولوفاكيا).

لم تنجح الجهود المشتركة لشرطة سكوتلانديارد والمباحث الفرنسية في الوصول إلى شيء، حتى وقعت جريمة القتل الأخيرة في (تشيمنيز)، تلك المقاطعة الريفية الكبيرة، والتي تخفي سراً عجيباً..

هذه القصة المثيرة . والمسلية . كانت أول قصة تصوّر الصراع المشوق بين باتيل وباندیل.

«رواية بوليسية جذابة أخرى، ستبقي القارئ في حيرة حتى الكلمة الأخيرة».

جريدة لتراري ريفيو

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore

6 281072 057602
282204275